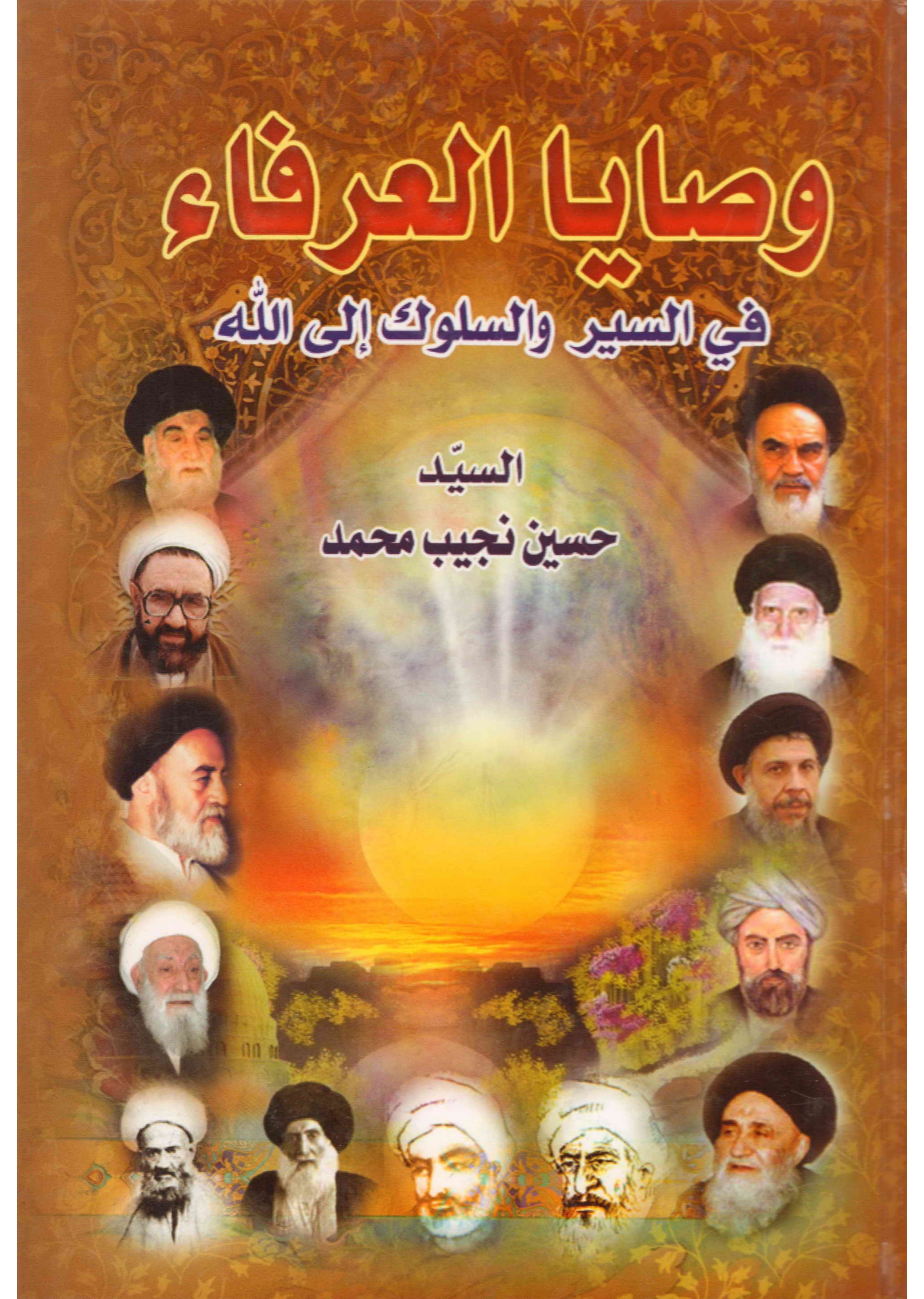

وصايا العرفاء
في السير والسلوك إلى الله
السيّد
حسين نجيب محمد



وصايا العرفاء

في السير والسلوك إلى الله تعالى

الطبعة الأولى

دار الفجر للطباعة والنشر والتوزيع

لبنان - بيروت ص.ب 25/309 الغبيري

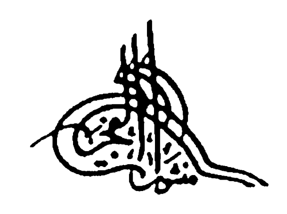
تلفاكس : 541980 1 961+ خلوي ، 03/445510

e-mail:alfajrb@yahoo.com

وصايا العرفاء

في السير والسلوك إلى الله تعالى

السيد حسين نجيب محمد



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾

[الفاتحة: ١-٧]

المقدمة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وآله الطاهرين، وبعد..

أهمية الوصية

الوصية من أقدم العهود الإلهية بالنسبة إلى الأنبياء عليهم السلام، ومنهم بالنسبة إلى أُممهم قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣].

وهي تقوم على تواصل الأجيال من خلال انتقال الأُمور المعنوية والمادية من السابقين إلى اللاحقين، وبالتالي فهي ضرورية لحفظ كيان المجتمع عقائدياً وتربوياً وأخلاقياً واقتصادياً، وهذا ما عبّر عنه القرآن الكريم بالتواصي الذي ينجّي الإنسان من الخسران، قال تعالى: ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ۝٣﴾ [العصر: ١ ـ ٣].

معنى الوصية

الوصية في اللغة: هي الوصل والعهد، وذلك لأن الموصي يعهد بشيء ما إلى ما بعد مماته، ويوصل تصرفاته وأعماله في زمان حياته لبعد وفاته[١].

أقسام الوصية

تتقوم الوصية من أمرين:

الأول: المُوصي وهو الله أو الإنسان.

الثاني: المُوصي إليه وهو الإنسان صغيراً كان أم كبيراً مسلماً أم كافراً ذكراً أم أنثى.

وتنقسم الوصية إلى أقسام:

١ - **الوصية العقائدية**: وهي «العهد إلى الغير بالإيمان بالعقائد الدينية».

ومنها قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَـٰبَنِىَّ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰ لَكُمُ ٱلدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٢].

ومنها وصية رسول الله ﷺ بالإمام علي عليه السلام، فعنه ﷺ أنّه قال مشيراً لعلي عليه السلام: «هذا أخي ووصيي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا»[٢].

وعنه ﷺ أنّه قال: «إنَّ وصيي وخليفتي وخير من أتركه بعدي ينجز

---

(١) مواهب الرحمن: ج٢، ص ٥٦. ومذهب الأحكام: ج٢٢، ص ١٥٥.

(٢) إحقاق الحق: ج٤، ص ١٣.

موعدي ويقضي ديني علي بن أبي طالب»[(١)].

وعن الإمام الصادق عليه السلام أنّه قال: «... وإنَّ رسول الله أوصى إلى علي عليه السلام، وأوصى علي إلى الحسن، وأوصى الحسن إلى الحسين، وأوصى الحسين إلى علي بن الحسين، وأوصى علي بن الحسين إلى محمد بن علي»[(٢)].

٢ - الوصية الأخلاقية: وهي العهد إلى الغير بالإلتزام بمحاسن الأخلاق، ومنها قوله تعالى: ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وقوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَـٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [العنكبوت: ٨].

ومن أهم هذه الوصايا قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ [النّساء: ١٣١].

قال بعض العارفين لشيخه: أوصني بوصية جامعة فقال: «أوصيك بوصية الله رب العالمين للأولين والآخرين قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ﴾ [النِّساء: ١٣١] ولا شك أنّه تعالى أعلم بصلاح العبد من كل أحد ورحمته ورأفته به أجل من كل رأفة ورحمة، فلو كان في الدنيا خصلة هي أصلح للعبد، وأجمع للخير وأعظم

---

(١) المصدر نفسه: ص ٤١٤.

(٢) وسائل الشيعة: باب «حسن الوصية عند الموت».

في القدر، وأعرف في العبودية من هذه الخصلة لكانت هي الأولى بالذكر والأحرى بأن يوصي بها عباده، فلما اقتصر عليها عُلم أنها جمعت لكل نصح وإرشاد وتنبيه وسداد وخير وإرفاد»(١).

ومن هذه الوصايا ما ورد عن لسان لقمان لولده كما في سورة «لقمان» وما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم للإمام علي عليه السلام، ولأبي ذر، ولإبن مسعود، وما جاء من الإمام علي عليه السلام في وصيته للإمام الحسن عليه السلام، وغير ذلك ممَّا نجده في كتاب «تحف العقول».

٣ - **الوصية السياسية**: وهي «العهد إلى الغير بالعمل السياسي».

وأول وصية صدرت من هذا القسم هي وصية الإمام الحسين عليه السلام لأخيه محمد بن الحنفية، فقد ورد أنّه عندما أراد الخروج من المدينة المنورة أوصى أخاه بما يلي:

«بسم الله الرَّحمن الرَّحيم هذا ما أوصى به الحسين بن علي بن أبي طالب إلى أخيه محمد المعروف بابن الحنفية:

إنَّ الحسين بن علي يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمَّداً صلى الله عليه وآله عبده ورسوله، جاء بالحق من عند الحق، وأنَّ الجنَّة والنار حق، وأنَّ الساعة آتية لا ريب فيها، وأنَّ الله يبعث من في القبور.

إني لم أخرج أشراً، ولا بطراً، ولا مفسداً، ولا ظالماً، وإنَّما خرجت لطلب الإصلاح في أمة جدي محمَّد صلى الله عليه وآله، أُريد أن آمر بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسير بسيرة جدي وسيرة أبي علي بن أبي طالب عليه السلام، فمن

(١) كشكول البهائي: ج٢، ص ٣٥.

قبلني بقبول الحق فالله أولى بالحق، ومن ردَّ عليَّ أصبر حتى يقضي الله بيني وبين القوم بالحق، وهو خير الحاكمين.

وهذه وصيتي إليك يا أخي، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أُنيب، والسلام عليك وعلى منْ اتَّبع الهدى، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[١].

ومن هذه الوصايا وصية قائد الثورة الإسلامية السيِّد روح الله الخميني رحمه الله المعروفة بالوصية السياسية والتي وجهها إلى شعوب العالم عموماً والشعب الإيراني خصوصاً.

٤ - **الوصية الشرعية**: وهي: إمَّا تمليكية كتمليك عين أو منفعة، وإمَّا عهدية كالعهد إلى الغير بالقيام بعمل ما، كتجهيز الموصي أو الحج عنه، ومنها وصية النبي للإمام علي عليه السلام فقد رُوي عنه عليه السلام أنّه قال: «يا علي أنت تغسل جثتي وتؤدي ديني»[٢].

وصايا العلماء

وصايا العلماء هي كتب ورسائل تشتمل على أهم الأمور العقائدية والأخلاقية والتربوية والعرفانية المقتبسة من القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام، لذلك فمن الحري بكل إنسان أن يطالع هذه الوصايا مراراً وتكراراً حتى تصبح منهجاً لحياته العلمية والعملية.

وقد وضعنا في هذا الكتاب المُسمَّى بـ «وصايا العرفاء» أهم ما وصل

(١) نفس المهموم: ص ٤٥.

(٢) أهل البيت امتداد القرآن: ص ١٨١.

إلينا من وصايا تتعلق بمجال بكافة الأمور العلمية والعملية وخصوصاً ما يتعلّق بالأخلاق والمواعظ والتقرّب إلى الله تعالى.

هذا، وقد أضفنا بعض عناوين الموضوعات كي يسهل على القارىء الرجوع إليها عند الحاجة وتتميماً للفائدة فقد ذكرنا بعض رسائل العلماء المشتملة على إرشادات ووصايا في السير والسلوك.

والله ولي التوفيق.

وصية أبو ذر الغفاري رضي الله عنه

نبذة عن حياة أبو ذر الغفاري

هو من أجلاء صحابة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن الثابتين على ولاية أمير المؤمنين عليه السلام، وكان من الزهاد الأتقياء، وقد قال فيه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من سرّه أن ينظر إلى شبيه عيسى بن مريم خلقاً وخُلقاً فلينظر إلى أبي ذر»[(١)].

وعنه صلى الله عليه وآله وسلم: «ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على رجل أصدق لهجة من أبي ذر»[(٢)].

الوصية

وهي عبارة عن رسالة بعثها إلى حذيفة بن اليمان - وهو من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم - يعظه فيها ويوصيه بوصايا أخلاقية ويركّز فيها على قول الحق وجهاد الظالمين، وهذه الرسالة:

عن أبي أمامة قال: كتب أبو ذر رضي الله عنه إلى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه

---

(١) موسوعة الإمام علي عليه السلام: ج١٢، ص ٢٥.
(٢) المصدر نفسه.

يشكو إليه ما صنع به عثمان: «بسم الله الرحمن الرحيم، أمّا بعد يا أخي فخف الله مخافة يكثر منها بكاء عينيك، وحرّر قلبك وسهّر ليلك، وأنصب بدنك في طاعة ربك، فحقّ لمن علم أنّ النار مثوى من سخط الله عليه أن يطول بكاؤه ونصبه وسهر ليله حتى يعلم أنّه قد رضي الله عنه، وحقّ لمن علم أنّ الجنة مثوى من رضي الله عنه أن يستقبل الحقّ كي يفوز بها ويستصغر في ذات الله الخروج من أهله وماله وقيام ليله وصيام نهاره وجهاد الظالمين الملحدين بيده ولسانه حتّى يعلم أنّ الله أوجبها له، وليس بعالمٍ ذلك دون لقاء ربّه، وكذلك ينبغي لكلّ من رغب في جوار الله ومرافقة أنبيائه أن يكون.

يا أخي أنت ممن أستريح إلى الضريح إليه بثّي وحزني وأشكو إليه تظاهر الظالمين عليّ، إنّي رأيتُ الجور يُعمل به بعيني وسمعته يُقال، فرددته فَحُرِمْتُ العطاء، وسُيّرت إلى البلاد، وغُرّبتُ عن العشيرة والإخوان وحرم الرسول ﷺ، وأعوذ بربّي العظيم أن يكون هذا مني له شكوى إن ركب منّي ما ركب، بل أنبأتك أنّي قد رضيت ما أحبَّ لي ربّي وقضاه عليّ، وأفضيت ذلك إليك، لتدعو الله لي ولعامّة المسلمين بالرَّوح والفرج، وبما هو أعمّ نفعاً وخير مغبّة وعقبى والسلام».

فكتب إليه حذيفة: «بسم الله الرحمن الرحيم، فقد بلغني كتابك تخوّفني به وتحذّرني فيه مُنقلبي وتحثّني على حضّ نفسي، فقديماً يا أخي كنتَ بي وبالمؤمنين حفيّاً لطيفاً، وعليهم حدباً شفيقاً، ولهم بالمعروف آمراً وعن المنكر ناهياً، وليس يهدي إلى رضوان الله إلا هو، لا إله إلا هو، ولا يُتناهى من سخطه إلا بفضل رحمته وعظيم منّه، فنسأل الله ربنا لأنفسنا وخاصّتنا وعامتنا وجماعة أُمّتنا مغفرة عامة ورحمة واسعة، وقد فهمتُ ما

ذكرتَ من تسييرك يا أخي، وتغريبك وتطريدك، فعزَّ والله عليَّ يا أخي ما وصل إليك من مكروه ولو كان يُفتدى ذلك بمال لأعطيت فيه مالي، طيّبةً بذلك نفسي، يصرف الله عنك بذلك المكروه.

إلى أن قال: فكأني وإيّاك قد دُعينا واجباً وعرضنا على أعمالنا، فاحتجنا إلى ما أسلفنا يا أخي، ولا تأس على ما فاتك، ولا تحزن على ما أصابك، واحتسب فيه الخير، وارتقب فيه من الله أسنى الثواب.

يا أخي لا أرى الموت لي ولك إلاّ خيراً من البقاء، فإنّه قد أظلّتنا فتن يتلو بعضها بعضاً كقطع الليل المظلم، قد ابتعثت من مركبها، ووطئت في حطامها، تُشهر فيها السيوف وينزل فيها الحتوف، يقتل فيها من اطّلع لها والتبس بها وركض فيها، ولا يبقى قبيلة من قبائل العرب، من الوبر والمدر، إلاّ دخلت عليهم، فأعزّ أهل ذلك الزمان أشدّهم عتوّاً، وأذلّهم أتقاهم، فأعاذنا الله تعالى وإيّاك من زمان هذه حال أهله فيه، لن أدع الدعاء لك في القيام والقعود، والليل والنهار، وقد قال الله سبحانه ولا خلف لموعوده: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] فنستجيرُ بالله من التكبر عن عبادته، والإستنكاف عن طاعته، جعل الله لنا ولك فرجاً ومخرجاً عاجلاً برحمته، والسلام عليك[١].

---

(١) سفينة البحار مادة «حذف».

وصية السيد علي بن طاووس رحمه الله

نبذة عن حياة المُوصي

هو السيِّد علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس (قده) وُلد في الحلة عام ٥٨٩هـ، وتُوفي في بغداد عام ٦٦٤هـ.

كان رحمه الله من العلماء العاملين الكاملين الزاهدين، وقد عرف عنه بأنه من أهل المكاشفات والمقامات والكرامات، حتى قال الشيخ النوري عنه بأنه «ما اتفقت كلمة الأصحاب على اختلاف مشاربهم وطريقتهم على صدور الكرامات عن أحد ممَّن تقدمه أو تأخر عنه غيره»[1].

وأول المصرحين بذلك هو الشيخ الأجل سديد الدين يوسف بن علي بن المطهر الحلي المجمع على توثيقه وعلمه وجلالته، وهو والد العلامة الحلي الذي ينقل عنه أن والده روى له بعض كرامات السيد: «وكان رضي الدين علي صاحب كرامات حكى لي بعضها، وروى لي والدي البعض الاخر».

وهذه الكرامات لها أقسام عديدة:

---

(١) مستدرك الوسائل: ج٣، ص ٣٦٧.

منها إطلاع الله تبارك وتعالى له على أسرار العبادات والغيب وكشف بواطنها له، وتعريفه بحقائق الأشياء وجعله يشاهدها كما هي، ويمكن للمطالع المتدبر الذي يفتح قلبه لمواعظ السيد ابن طاووس أن يحصل على الكثير من إشارات وتنبيهات هذه المعارف الإلهية الخاصة بين طيات مصنفاته القيّمة وتعليقاته على النصوص التي ينقلها فيها.

ومنها اختصاصه بمعرفةٍ مباشرة لما لا يتسنى لغيره معرفته إلا بتوسط الأسباب، نظير معرفته أوائل الشهور العربية قال رحمه الله: «واعلم أنّ الله جل جلاله تفضّل علينا باسرار ربانية، وأنوار محمدية، ومبار علوية، منها تعريفنا بأوايل الشهور وإن لم نشاهد هلالها وليس ذلك بطريق الأحكام النجومية ولا الاستخارات المروية، وإنما ذلك كما قلنا بالأمور الوجدانية الضرورية، وإنما نذكر من دلائل شهر رمضان أو علاماته أو إمارته لمن لم يتفضل الله جل جلاله عليه بما تفضل به علينا من هباته وكراماته، وإن لم يلزم العمل بها في ظاهر الشريعة النبوية».

ومن الأمور الكاشف عن سمو مقامه رضي الله عنه استجابة دعائه الفورية التي أقرّ بها الموافقون والمخالفون، كما يصرح بذلك العلامة السيد الخوانساري ضمن حديثه عن مقامات السيد حيث يقول: «ومنها كونه من جملة العبدة الزهدة المستجابي الدعوة بنص الموافقين لنا والمخالفين. . .».

ومن الأمور الكاشفة عن علو مقام السيد وشدة خضوعه للإرادة الإلهية الألطاف الإلهامية التي كان يحيطه بها ربه الكريم عزّ وجلّ فيوجهه إلى ما ينبغي عليه أن يفعله ليحصل على رضا ربه ويزداد منه قرباً وتتعمق عبوديته له إخلاصاً.

ونماذج هذه الأمور والألطاف الإلهامية كثيرة في سيرة هذا العالم الرباني يمكن التعرف على الكثير منها في تضاعيف مصنفاته وبخاصة مقدماتها.

ومنها الأمور غير العادية بل الإعجازية التي كان يعامله بها تنبيهاً له إلى وظائف ينبغي له أن يقوم بها، نظير الحادثة الإعجازية التي وقعت له في قضية قدوم العبد الصالح «عبد المحسن» عليه وهو يحمل رسالة له من الإمام المهدي الحجة بن الحسن (عج) فبعد أن استلم الرسالة منه وأوصاه أن يكتم الأمر عرض عليه شيئاً فامتنع عبد المحسن مستغنياً، وبات عنده في مسكنه بالحلة، وعندما قام السيد لصلاة الليل، وقدم له غلامه الإبريق حدثت حادثة غريبة ننقلها ملخصاً مما كتبه السيد.

يقول رحمه الله: «فمددت يدي ولزمت عروته لأفرغ على كفي فأمسك ماسك فم الأبريق وأداره عني ومنعني من استعمال الماء في طهارة الصلاة، فقلت: لعل الماء نجس فأراد الله أن يصونني عنه، فإن لله جل جلاله عليّ عوائد كثيرة، أحدها مثل هذا وأعرفها، فناديت: إلي «فتح» اسم غلامه، فقلت من أين ملأت الإبريق؟ قال: من المسيبة، فقلت: هذا لعله نجس، فأقلبه واشطفه، واملأ من الشط، فمضى وقلبه وأنا أسمع صوت الإبريق، وشطفه وملأه من الشط، وجاء به فلزمت عروته وشرعت أقلب منه على كفي، فامسك ماسك فم الإبريق، وأداره عني ومنعني منه، فعدت صبرتُ ودعوت بدعوات وعاودت الإبريق لجرى مثل ذلك، فعرفت أن هذا منعٌ لي من صلاة الليل في تلك الليلة، قلت في خاطري: لعل الله يريد أن يجري علي حكماً وابتلاءً غداً، ولا يريد أن أدعو الليلة بالسلامة

من ذلك، وجلست لا يخطر بقلبي غير ذلك، فنمت وأنا جالس، وإذا برجل يقول لي: «هذا - يعني عبد المحسن - الذي جاء بالرسالة كان ينبغي أن تمشي بين يديه». فاستيقظت، ووقع في خاطري أن قد قصّرت في احترامه وإكرامه فتبت إلى الله جل جلاله، واعتمدت ما يعتمد التائب من مثل ذلك، وشرعت في الطهارة فلم يمسك أحدٌ الإبريق وتركت على عادتي، فتطهرت وصليت ركعتين، فطلع الفجر فقضيت صلاة الليل، وفهمت أنني ما قمت بحق هذه الرسالة، فنزلت إلى الشيخ عبد المحسن وتلقيته وأكرمته. . . ومشيت بين يديه كما أُمرت في المنام إلى ظاهر الدار وأوصيته بالكتمان والحمد لله».

الوصية

وهي من أهم الوصايا الشاملة للأمور العقائدية والأخلاقية والسلوكية وعنها يقول المحدث الكبير الشيخ النوري صاحب كتاب المستدرك: «هذا الكتاب مما ينبغي أن يكتب بالنور على الأحداق لا بالحبر على الأوراق، فإن فيه مع صغر الحجم من الفوائد العظيمة والمطالب الجليلة في كيفية تحصيل الاعتقاد الجازم الراسخ في القلب بوجود الصانع المقدس جل جلاله وبرسوله وحججه عليهم السلام النبوية ومقتبس من المشكاة العلوية ما لا يشتمله كتاب ولا يحتويه خطاب»(١).

وها نحن نذكر بعض فقرات الوصية بطريقة موضوعية تعين السالك إلى الله تعالى، ومن ذلك:

---

(١) دار السلام: ج٢، ص ٤٥.

١ - تحديد الهدف، وهو الوصول إلى الكمال:

قال رحمه الله لولده: «واعلم يا ولدي محمد حفظك الله جل جلاله عن الخذلان، وصانك بخلع الإحسان والأمان، أن أهل الكهف كانوا مماليك لا يفقهون، وسحرة فرعون كانوا سكارى بالكفر ما يعتقد ناظرهم أنهم يفيقون، فتداركهم الله جل جلاله برحمة من رحماته الجميلة، فأمسوا عارفين به مخلصين، من أهل المقامات الجليلة.

وقد عرف كل خبير أن امرأة فرعون ومريم بنت عمران وأم موسى عليها السلام، نساء ذوات ضعف عن الكشف، تولاهنّ الله جل جلاله بيد اللطف والعطف، حتى فارقت زوجة فرعون ملك زوجها ودولته وحقرته وهونت عقوبته.

وبلغت مريم إلى كرامات وسعادات، حتى أن النبي المعظم في وقتها زكريا عليه السلام يدخل عليها في المحراب فيجد عندها طعاماً يأتيها من سلطان يوم الحساب بغير حساب، ويُفهم من صورة الحال أن زكريا ما كان يأتيه مثل ذلك الطعام؛ لأنه عليه السلام قال: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ [آل عِمرَان: ٣٧] على سبيل التعجب والاستفهام، وهو أقرب منها إلى صفات الكمال.

وهذه أم موسى يوحي الله تعالى إليها بغير واسطة من الرجال، حتى يهون عليها رمي ولدها وواحدها ومهجة فؤادها في البحر والأهوال.

فلا تقصر همتك يا ولدي محمد عن غاية بلغ إليها حال النساء الضعيفات، واطلب ذلك ممن قال جل جلاله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ﴾ [الزّخرُف: ٣٢].

٢ - الإخلاص في التوحيد:

فإنَّ الإهتمام البالغ الذي يبديه السيد بإخلاص النية في العبودية لله تبارك وتعالى وتشديده الدعوة للمؤمن للجهاد في الوصول إلى مراتبه يرتبط بخصوصية أخرى من خصائص منهجه السلوكي هي خصوصية تعميق التوحيد الخالص لله جل جلاله في روح السالك إليه ثم في جميع سلوكياته، فلا يرجو إلا الله ولا ينظر إلى غيره ولا يرى سواه فاعلاً في حياته، فلا يتوجه إلى غيره في أي شأن من شؤونه، فهو موحّد له في العبودية وفي الربوبية، وإذا توجه إلى شيء من الأسباب فلا ينظر إليها على نحو أنها مستقلة في التأثير بل ولا يتكل عليها أصلاً إلا بالمقدار الذي يتعبد به لله ويمتثل أمره.

ينقل السيد: «ولقد كنا مرة يا ولدي في طريق مشهد الحسين عليه السلام، وكنا متيممين فنحتاج أن نصلي بالنوافل والفرائض بحسب ما هدانا الله جل جلاله إليه، فصار الرفقاء يستعجلون، فقلت لهم: نحن نقصد الحسين عليه السلام لأجل الله جل جلاله أو نقصد الله جل جلاله لأجل الحسين عليه السلام؟! فقالوا: بل نقصد الحسين لأجل الله تعالى، فقلت لهم: فإذا ضيعنا في طريق الله جل جلاله الذي نقصد الحسين عليه السلام لأجله، فكيف يكون حالنا عند الحسين عليه السلام، وبأي وجه يلقانا هو ويلقانا الله جل جلاله عند الحسين عليه السلام إذا تعرضنا لفضله؟...».

٣ - الاقتداء بالمعصومين عليهم السلام:

الحث على الإقتداء بالرسول الأكرم صلى الله عليه وآله بالأصالة وبالأئمة المعصومين من عترته الطاهرين عليهم السلام بالتبعية في تعبدهم لله تعالى؛ يمثل

خصوصية بارزة أخرى في المنهج السلوكي للسيد ابن طاووس فهي الخصوصية الأولى للمناهج السلوكية الإمامية التي تؤكد أن التوحيد الخالص لله تبارك وتعالى لا يتحقق إلا بالتمسك بأهل بيت النبوة ولا وصول للحق جل وعلا إلا بالتزام عرى ولايتهم، ولذلك لا يجيز عرفاء الإمامية للمؤمن العمل بغير ما ورد عنهم من عبادات وأذكار وبغير ما هدوا له من الرياضات الشرعية لأنهم هم «العارفون بأسرار رب العالمين وبأسرار سيد المرسلين».

وفي الواقع فإنّ ما جمعه السيد ابن طاووس في مصنفاته هو ما ورد عنهم عليهم السلام من أعمال عبادية وآداب شرعية لا غنى للسالك عنها للتقرب إلى ربه وليكون دائم العبودية والذكر له تبارك وتعالى في مختلف حالاته وأوقاته. والسيد يتميز بكثرة الحث على الإقتداء بالمعصومين عليهم السلام في أعمالهم وعباداتهم وآدابهم ويحذر بشدة من التخلف بأي ذريعة كانت فيقول: «إياك أن تخالف قوله تعالى في رسوله فاتبعوه واتبعوا النور الذي أنزل معه واسلك سبيل هذه الآداب فإنها مطايا وعطايا يفتح له أنوار سعادة الدنيا ويوم الحساب».

٤ - الإرتباط بإمام العصر:

وللإرتباط بإمام العصر (عج) خصوصية خاصة في المنهج التربوي للسيد يؤكد لزومها للمؤمن لقبول أعماله ونجاح مساعيه في التقرب من الله، وهو يؤكد باستمرار ضرورة أداء حقوقه عليه السلام في جميع المجالات والتصدق عنه باستمرار بنية حفظه، وهو ينبه المؤمن إلى أن «الدعاء للمهدي عليه السلام من مهمات أهل الإسلام والإيمان»، بل وأن يقدم الدعاء

له عليه السلام لأن بقاء الدين به ولأنه أمامك وسبب سعادتك في دنياك وآخرتك، واعلم أنه عليه السلام غير محتاج إلى توصلك بصلاتك وصدقتك ودعائك في سلامته من شهره، لكن إذا نصرته جازاك الله جل جلاله بنصره وجعلك في حصن حريز، قال الله جل جلاله: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

ولأن من كمال الوفاء لنائب خاتم الأنبياء أن تقدمه قبل نفسك في كل خيرٍ تقدم عليه ودفع كل محذور أن يصل إليه، وكذا عادة كل إنسان مع من هو أعز من نفسه عليه.

ولأنك إذا استفتحت أبواب القبول بطاعة الله جل جلاله والرسول يُرجى أن تفتح الأبواب لأجلهم، فتدخل أنت نفسك في ضيافة الدخول تحت ظلهم وعلى موائد فضلهم»

٥ - التحلي بالهمة العالية:

يخاطب السيد ولده بلغة الوصية قائلاً: «واعلم أن جدك «ورّاماً» قدس الله روحه كان يقول لي وأنا صبي ما معناه: «يا ولدي مهما دخلت فيه من الأعمال المتعلقة بمصلحتك، لا تقنع أن تكون فيه بالدون دون أحد من أهل ذلك الحال سواء كان علماً أو عملاً ولا تقنع بالدون. . . وتأدب بما أدب الله جلّ جلاله من كان قبلك من الأنبياء والأوصياء والأولياء وبما قوى عليه من كان دونك من الضعفاء حتى جعله بفضله من الأولياء وجمع له بين سعادة دار الفناء ودار البقاء، فالسابق والمسبوق من أصل واحد ولكن السابق ذا همّة عالية فلم يقنع بدون السعادة الفانية والباقية، وكان المسبوق ذا همة واهية فقنع بالحالة الواهية. . .».

٦ - الإعتزال عن مخالطة الفاسدين:

قال رَحِمَهُ اللَّهُ : وإياك يا ولدي محمد طهّر الله جل جلاله في تطهير سرائرك من دنس الاشتغال بغيره عنه وملأها بما يقرّبك منه إذا احتجت إلى مخالطة الناس لحاجتك إليهم ولحاجتهم إليك.

ثم إياك ثم إياك أن تفعل عن التذكر أن الله جل جلاله مطلع عليهم وعليك، وأنكم جميعاً تحت قبضته وساكنون في داره، ومتصرفون في نعمته وأنتم مضطرون إلى مراقبته، وأنه قد توعدكم بمحاسبته. وليكن حديثك لهم كأنه في المعنى له وبالإقبال عليه، كما لو كنت في مجلسه خليفة أو سلطان وعنده جماعة، فإنك كنت تقصده بحديثك والناس الحاضرون في ضيافة حديثك له وإقبالك عليه.

واعلم يا ولدي محمد، ومن بلغه كتابي هذا من ذريتي وغيرهم من الأهل والاخوان، علمك الله جل جلاله وإياهم ما يريد منكم من المراقبة في السر والإعلان، أن مخالطة الناس داء معضل، وشغل شاغل عن الله عَزَّوَجَلَّ مذهل، وقد بلغ الأمر في مخالطتهم إلى نحو ما جرى في الجاهلية من الاشتغال بالأصنام عن الجلالة الإلهية.

فأقلل يا ولدي من مخالطتك لهم ومخالطتهم لك بغاية الإمكان، فقد جربته ورأيته يورث مرضاً هائلاً في الأديان. فمن ذلك أنك تبتلي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكرات، فإن أقمت بذلك على الصدق وأداء الأمانات، صاروا أعداءك على اليقين، وشغلوك بالعداوة عن رب العالمين.

وإن نافقتهم وداريتهم، صاروا آلهة لك من دون مولاك، وافتضحت

معه وهو يراك، ووجدك تستهزىء به في مقدس حضرته وتظهر خلاف ما تبطن بالاستخفاف بحرمته، وأن إطلاعهم عليك كان أهم لديك من إطلاعه عليك.

٧ - الدعاء:

قال رحمه الله لولده: «ومتى اشتبه عليك شيء من نتائج العقول فالزم الصوم والخلوة والتذلل للقادر جل جلاله على كل مأمول، فإنك تجده جل جلاله كاشفاً لك ما اشتبه عليك، وباعثاً إلى عقلك وقلبك من أنوار هدايته ما يفتح أبواب الصواب لديك..

وإياك أن تستبطىء إجابته وأن تتهم رحمته، فإن العبد ما يخلو من تقصير في مراقبة مولاه، ويكفيه أنه يعظّم ما صغر ويصّغر ما عظم من دنياه وأُخراه. ويكفيه أنه يغضب لنفسه ولمن يعز عليه أكثر مما يغضب لله جل جلاله المحسن إليه، ويكفيه أنه ما هو راضٍ بتدبير مالكه جل جلاله بالكلية، وأنه يعارضه بخاطره وقلبه وعقله، معارضةً المماثل أو الشريك أو العبد السيء العبودية.

وإذا تأخرت عنك إجابة الدعاء وبلوغ الرجاء فابكِ على نفسك بكاء من يعرف أن الذنب له، وأنه يستحق لأكثر من ذلك الجفاء. فكم رأينا والله يا ولدي عند هذه المقامات من فتوح السعادات والعنايات ما أغنانا عن سؤال العباد، وعن كثير من الاجتهاد».

٨ - ذكر الله:

وقال لولده: «واعلم يا ولدي محمد حفظ الله جل جلاله فيك عنايته بآبائك الطاهرين وسلفك الصالحين، وسلك بهم كامل سبيلهم القوي

المكين، أن أصل ما أنت فيه أن تكون ذاكراً أنك بين يدي الله جل جلاله وأنه مطلع عليك، وأنك كلما تتقلب فيه من إحسانه إليك، وأنه صحبك من ابتداء إنشائك من التراب وتنقلك من الآباء والأمهات - كما شرحنا فيما فات - أحسن الصحبة بالعنايات، وصحبك في وقت وجودك بما نبهناك به عليه من السعادات، وأنت محتاج إلى جميل صحبته ورحمته مع دوام بقائه بعد الممات.

ومن ذا يحميك منه إن أعرض عنك أو أعرضت عنه؟ ومن الذي يحفظ عليك إذا ضيّعت نفسك وكلما في يديك؟ ومن الذي إذا أخرجته من قلبك تتعوض به عن ربك جل جلاله؟ فأريد من رحمته أن يملأ قلبك من معرفته وهيبته ورحمته، ويستعمل عقلك وجوارحك في خدمته وطاعته، حتى يكون إن جلست فتكون ذاكراً أنك بين يديه، وإن أقمت تكون ذاكراً أن قوة قدرتك على المشي منه، وتتأدب في المشي تأدب الماشي بحضرة ملك الملوك إليه الذي لا غناء عنه.

وأوصيك يا ولدي محمد أدام الله جل جلاله إقباله عليك، وكمال إحسانه إليك، بما أوصاك الله به جل جلاله في نفسك والوالدين وذوي الأرحام وسائر وصايا الإسلام، وبالتحنن على أُخوتك وأخواتك وخدمك وحشمك وأهل مودتك. وما أوصاك به جدك محمد ﷺ، ولسان حال آبائك وعترته الطاهرين. وبما أوصاك به من مواهبه عليك ولديك من المروة والصفاء والوفاء، وجميع صفات أهل الدين، وأن تشركني في خلواتك ودعواتك وصدقاتك، وتذكرني بين يدي الله جل جلاله بما يجري به جل جلاله على خاطرك عند مناجاتك، وتبعث إليّ بالسلام أول كل ليلة وأول كل نهار، فإنه روي في الآثار أنه يبلغني ويكون من جملة المسار.

وجمل ذكرى لحفظك جانب الله جل جلاله، وسلوك سبيل سلفك الطاهرين، فإنه من صفات المسعودين إذا وجدوا آباءهم وقد بنوا لهم مجداً لا يسعوا في نقضه، بل تكون همتهم الاجتهاد في مراعاته وحفظه، وأن يزيدوا على ذلك المجد بغاية الجهد، كما قيل:

لَسْنَا وإنْ كَرُمَتْ أوائِلُنا
يوماً على الأحسابِ نَتَّكِلُ
نَبْني كما كَانت أوائلُنا
تَبْني وَنَفْعَل مثل ما فعلوا

وأنت يا ولدي وديعة الله جل جلاله ووديعة خاصته، وفي حمى حمايته ورعايته، وفي أمان حفظه وحياطته.

والسلام على من يجب تقدم السلام عليه وعليك في الحياة وبعد الممات، وأنا أسأل الله أن نجتمع في دوام العز والاقبال والجاه وكمال النجاة»[١].

(١) راجع كتاب: «تزكية النفوس من نفحات السيد علي بن طاووس رحمه الله».

وصية العلامة الحُلي رحمه الله

نبذة عن حياة الموصي

هو الشيخ جمال الدين أبو منصور الحسن بن يوسف المطهّر المعروف بـ «العلاّمة الحُلّي» وُلد في الحلة عام ٦٤٨هـ، وتوفي عام ٧٢٦هـ، ودُفن في «النجف الأشرف».

كان من أعاظم علماء الشيعة، فتبحره في كافة العلوم مشهور حتى أن لقب «العلاَّمة» على الإطلاق لا يُطلق إلا عليه، ومن مؤلفاته:

١ - الألفين. ٢ - الباب الحادي عشر. ٣ - تذكرة الفقهاء. ٤ - أنوار الملكوت. ٥ - قواعد الأحكام.

الوصية

وهي موجودة في آخر كتاب «قواعد الأحكام» وقد كتبها لولده محمد «قُدّس سرّه»، وهي:

«إعلم يا بني، أعانك الله تعالى على طاعته، ووفّقك لفعل الخير وملازمته، وأرشدك إلى ما يحبه ويرضاه، وبلّغك ما تأمله من الخير وتتمناه، وأسعدك الله في الدارين، وحباك بكلّ ما تقرّ به العين، ومدّ لك

في العمر السعيد والعيش الرغيد، وختم أعمالك بالصالحات، ورزقك أسباب السعادات، وأفاض عليك من عظائم البركات، ووقاك الله كلّ محذور، ودفع عنك الشرور.

إنّي قد لخصت لك في هذا الكتاب[1] لبّ فتاوى الأحكام، وبيَّنت لك فيه قواعد شرائع الإسلام بألفاظ مختصرة وعبارات محرَّرة، وأوضحت لك فيه نهج الرشاد وطريق السداد، وذلك بعد أن بلغتُ من العمر الخمسين ودخلتُ في عشر الستين، وقد حكم سيِّد البرايا صلى الله عليه وآله وسلم بأنَّها مبدأ اعتراك المنايا، فإن حكم الله تعالى عليَّ فيها بأمره وقضي عليَّ فيها بقدره وأنفذ ما حكم به على العباد، الحاضر منها والباد.

فإنّي أوصيك كما افترضه الله تعالى عليَّ من الوصية، وأمرني به حين إدراك المنية، بملازمة تقوى الله تعالى فإنَّها السُنَّة القائمة والفريضة اللازمة، والجُنّة الواقية والعدَّة الباقية وأنفع ما أعدَّه الإنسان ليوم تشخص فيه الأبصار ويُعدم عنه الأنصار.

وعليك باتّباع أوامر الله تعالى، وفعل ما يرضيه واجتناب ما يكرهه والانزجار عن نواهيه وقطع زمانك في تحصيل الكمالات النفسانية، وصرف أوقاتك في إقتناء الفضائل العلمية، والارتقاء عن حضيض النقصان إلى ذروة الكمال، والارتفاع إلى أوج العرفان عن مهبط الجهال، وبذل المعروف، ومساعدة الإخوان، ومقابلة المسيء منهم بالإحسان والمحسن بالامتنان.

وإيَّاك ومصاحبة الأرذال ومعاشرة الجُهَّال فإنَّها تفيد خلقاً ذميماً وملكة ردية.

---

(١) إشارة إلى كتاب «قواعد الأحكام».

بل عليك بملازمة العلماء ومجالسة الفضلاء فإنَّها تفيد استعداداً تاماً لتحصيل الكمالات، وتثمر لك ملكة راسخة لاستنباط المجهولات وليكن يومك خيراً من أمسك.

وعليك بالصبر والتوكّل والرضا.

وحاسب نفسك في كل يوم وليلة.

وأكثر من الاستغفار لربّك.

واتّق دعاء المظلوم خصوصاً اليتامى والعجائز فإنَّ الله تعالى لا يسامح بكسر كسير.

وعليك بصلاة الليل، فإنَّ رسول الله ﷺ حثَّ عليها وندب إليها وقال: «مَن خُتم له بقيام الليل ثمَّ مات فله الجنَّة».

وعليك بصلة الرحم، فإنَّها تزيد في العمر.

وعليك بحسن الخُلق فإنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم».

وعليك بصلة الذريَّة العلوية، فإنَّ الله تعالى قد أكَّد الوصية فيهم وجعل مودَّتهم أجر الرسالة والإرشاد، فقال الله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ [الشورى: ٢٣].

وقال رسول الله ﷺ: «إنِّي شافع يوم القيامة لأربعة أصناف ولو جاؤوا بذنوب أهل الدنيا: رجل نصر ذريَّتي، ورجل بذل ماله لذريَّتي عند المضيق، ورجل أحبَّ ذريَّتي باللسان والقلب، ورجل سعى في حوائج ذريَّتي إذا طرّدوا أو شرّدوا».

وقال الصادق عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أيُّها الخلائق

انصتوا فإنَّ محمَّداً صلى الله عليه وآله وسلم يكلّمكم، فينصت الخلائق فيقوم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وآله فيقول: يا معشر الخلائق مَنْ كانت له عندي يد أو منّة أو عروف فليقم حتى أكافيه فيقولون: بآبائنا وأمّهاتنا وأيّ يد وأيّ منّة وأي معروف لنا، بل اليد والمنّة والمعروف لله ولرسوله على جميع الخلائق، فيقول: بل من آوى أحداً من أهل بيتي أو برّهم أو كساهم من عرى أو أشبع جائعهم فليقم حتَّى أكافيه، فيقوم أناس قد فعلوا ذلك فيأتي النداء من عند الله: يا محمَّد يا حبيبي قد جعلت مكافأتهم إليك فأسكنهم من الجنَّة حيث شئت فيسكنهم في الوسيلة حيث لا يحجبون عن محمَّد وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين».

وعليك بتعظيم الفقهاء وتكرمة العلماء، فإنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَنْ أكرم فقيهاً مسلماً لقى الله يوم القيامة وهو عنه راض، ومَنْ أهان فقيهاً مسلماً لقى الله يوم القيامة وهو عليه غضبان». وجعل النظر إلى وجه العالم عبادة، والنظر إلى باب العالم عبادة، ومجالسة العالم عبادة.

وعليك بكثرة الاجتهاد في إزدياد العلم والتفقّه في الدين، فإنَّ أمير المؤمنين عليه السلام قال لولده: «تفقَّه في الدين فإنَّ الفقهاء ورثة الأنبياء، وإنَّ طالب العلم ليستغفر له مَنْ في السماوات ومَنْ في الأرض حتى الطير في الهواء والحوت في البحر، وأنَّ الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضاً به».

وإيَّاك وكتمان العلم ومنعه من المستحقين لبذله، فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا ظهرت البدع في أمتي فليظهر العالم علمه

فمَنْ لم يفعل فعليه لعنة الله تعالى». وقال: «لا تؤتوا الحكمة غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوها أهلها فتظلموهم».

وعليك بتلاوة كتاب العزيز والتفكُّر في معانيه، وامتثال أوامره ونواهيه وتتبع الأخبار النبوية والآثار المحمديَّة، والبحث عن معانيها واستقصاء النظر فيها، وقد وضعت لك كتباً متعددة في ذلك كلّه.

هذا ما يرجع إليك.

وأمَّا ما يرجع إليَّ ويعود نفعه عليَّ:

فأن تتعهدني بالترحّم في بعض الأوقات.

وأن تهدي إليَّ ثواب بعض الطاعات والأنفال ولا تُقلّل من ذكري فينسبك أهل الوفاء إلى الغدر.

ولا تكثر من ذكري فينسبك أهل العزم إلى العجز بل اذكرني في خلواتك وعقيب صلواتك واقض ما عليّ من الديون الواجبة والتعهدات اللازمة، وزر قبري بقدر الإمكان، واقرأ عليه شيئاً من القرآن، وكلّ كتاب صنّفته وحكم الله تعالى بأمره قبل إتمامه فأكمله وأصلح ما تجده فيه من الخلل والنقصان والخطأ والنسيان.

هذه وصيتي إليك، والله خليفتي عليك، والسلام عليك ورحمة الله وبركاته، والله أعلم بالصواب(١).

---

(١) نقلاً عن مجلة «تراثنا» عدد ٤١ - ٤٢، ص ٤٢٢.

وصية الشهيد الأول رحمه الله

نبذة عن حياة المُوصي

هو الشيخ محمد بن مكي العاملي الشهير بالشهيد الأول، وُلد في «جزّين» سنة ٧٣٤هـ واستُشهد في التاسع من جمادي الأولى سنة ٧٨٦هـ.

كان رحمه الله عالماً فقيهاً كاملاً جامعاً للعلوم العقلية والنقلية وعلى درجة عالية من الزُّهد والعبادة والورع.

خلّف رحمه الله كُتباً كثيرة صارت العمدة في التدريس والاجتهاد أهمها:

١ - اللمعة الدمشقية. ٢ - القواعد والفوائد في الفقه. ٣ - الدروس الشرعية. ٤ - الذكرى. ٥ - رسالة الباقيات الصالحات.

الوصية الأولى:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هذه وصيّة العبد الضعيف، كاتب هذه الأحرف، محمّد بن مكّي - تاب الله عليه توبة نصوحاً، وكان من هفواته وزلاّته صفوحاً - إلى إخوانه في الله، وأحبّائه لله، ويبدأ بنفسه، ثمّ بهم، وهي مشتملة على أُمور:

أولها: تقوى الله تعالى فيما يأتون ويذرون، ومراقبته ومخافته، والحياء منه في الخلوات.

وثانيها: ذكره بالقلب على كلّ حال، وباللسان في مُعظم الأحوال.

وثالثها: التوكّل عليه، وتفويض الأُمور إليه، والإلتجاء عند كلّ مهمّ إليه.

ورابعها: التمسّك بشرائع الدين، فلا يخرج عنها شعرة لئلاّ تحصل الضلالة.

وخامسها: المباشرة على الفرائض من الأفعال والتروك، بحسب ما جاءت به الشريعة المطهّرة.

وسادسها: الاستكثار من النوافل، بحسب الجهد والطاقة والفراغ والصحّة، وخصوصاً الصلوات المندوبة فإنّها خير موضوعٍ، وما يقرّب العبد إلى الله تعالى بعد المعرفة بأفضل منها، وخصوصاً الليليّة منها.

وسابعها: كفّ اللسان عن الهذر والغيبة والنميمة واللغو. وكفّ السمع عن اللغو، وعن سماع كلّ ما لا فائدة فيه، دينيّة أو دنيويّة، وكفّ الأعضاء عن جميع ما يكرهه الله تعالى.

وثامنها: الزُّهد في الدنيا بالمرّة، والاقتصار في البلغة منها، والقوت من حلّه، ومهما أمكن الاستغناء عن الناس فليفعل، فإنَّ الحاجة إليهم الذلّ الحاضر.

وتاسعها: دوام ذكر الموت، والإستعداد لنزوله، وليكن في كلّ يومٍ عشرين مرّة، حتّى يصير نصب العين.

وعاشرها: محاسبة النفس عند الصباح والمساء على ما سلف منها، فإن كان خيراً استكثر منه، وإن كان شراً رجع.

وحادي عشرها: دوام الاستغفار بالقلب واللسان، وصورته: «اللهمّ اغفر لي، فإنّي أستغفرك وأتوب».

ومن وصيّة لقمان لابنه، أن يكثر من: «اللهمّ اغفر لي» فإنّ لله أوقاتاً لا يردّ فيها سائلاً.

وثاني عشرها: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مهما استطاع على ما هو مرتّب شرعاً.

وثالث عشرها: مساعدة الإخوان، والتعرّض لحوائجهم، بحسب الحاجة والمسكنة، وخصوصاً الذريّة العلويّة، والسُّلالة الفاطميّة.

ورابع عشرها: التعظيم لأمر الله تعالى، والتعظيم لعلماء الدين وأهل التقوى من المؤمنين.

وخامس عشرها: الرضى بالواقع، وأن لا يتمنّى ما لا يدرى أهو خيره، أو لا، ودوام الشكر على كلّ حال.

وسادس عشرها: الصبر في المواطن، فإنّه رأس الإيمان.

وسابع عشرها: دوام الدعاء بتعجيل الفرجُ فإنّه من مهمّات الدين.

وثامن عشرها: دوام دراسة العلم مطالعةً وقراءةً وتدريساً وتعليماً وتعلّماً، ولا تأخذه فيه لومةُ لائم.

وتاسع عشرها: الإخلاص في الأعمال، فإنّه لا يقبل الأركان إلا خالصاً صافياً، والرياء في العبادة شرك (نعوذ بالله منه).

وعشرونها: صلة الأرحام ولو بالسلام إن لم يمكن غيره.

وحادي عشرونها: زيارة الإخوان في الله تعالى ومذاكرتهم في أمور الآخرة.

وثاني عشرونها: أن لا يكثروا في الرُخص، والأخذ بها، والتوسعة، ولا يكثروا التشديد على أنفسهم في التكلف، بل يكون بين ذلك قواماً.

وثالث عشرونها: أن لا يدع وقتاً يمضي بغير فائدة دينيّة أو دنيويّة.

ورابع عشرونها: معاشرة الناس بما يعرفون والإعراض عمّا ينكرون، وحُسن الخُلق، وكظم الغيظ، والتواضع بهم، وسؤال الله تعالى أن يصلحهم ويصلح لهم.

وملاك هذه الأُمور كلّها تقوى الله، ودوام مراقبته، والسلام عليهم جميعاً، والحمد لله وحده، وصلى الله على محمّد وآله أجمعين».

الوصية الثانية:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عليك بتقوى الله في السرّ والعلانية، واختيار الخير لكلّ مخلوق ولو أساء إليك، واحتمال الأذى ممن كان من خلق الله، ولو شُتِمْتَ وأُهِنْتَ فلا تقابِل الشاتِمَ بكلمةٍ واحدةٍ.

وإذا غضبتَ فإيّاك والكلام، ولكن تَحَوّل من مكانك وتشاغَلْ بغيره يَزُل غضبُك وَغَيْظُك.

وعليك بالفكر لآخرتك ودنياك.

وإيّاك والخلوّ من التوكُّل على الله في جميع أُمورك، وكُنْ واثقاً به في مهمّاتك كلّها.

وعليك بالشكر لمن أنعَمَ عليك.

وإيّاك والضحكَ، فإنّه مُميتُ القلب.

وإيّاك وتأخير الصلاة عن أوّل أوقاتها ولو كان لك شغلٌ أي شغلٍ كان، ولا تترك القضاء لصلاة عليك ولو يوماً واحداً، فإذا فَرغتَ من الصلاة فصلِّ النوافل.

وعليك بالملازمة في طلب العلم منذ كان، ولا تتلوه على كلّ أحدٍ، بل تستقبل من كلّ أحدٍ.

وإيّاك ومنازعة مَنْ تقرأ عليه والردّ عليه، بل خُذْ ما يُعطي بالقبول.

وإيّاك أن تترك النظر في الذي تقرؤه ليلةً واحدةً.

واجعَلْ لك ورداً من القرآن، وإنْ تمكّنت من حفظه فاحفظ، بل احفظه ما استطعت.

واجتهد أن يكون كلُّ يومٍ خيراً من ماضيه ولو بقليلٍ.

وإيّاك وأنْ تسمع نميمة أحدٍ من خلق الله، فإنّها نقمة لا تُعدُّ ولا تحصى.

ولا تنقطع عن الزيارات.

وإيّاك وأن تُحادِث أحداً في غير العلم.

وإيّاك وكثرة الكلام، ونقل كلامِ أحدٍ.

وإذا زُرْتَ أو دَعوتَ اذكرنا سرّاً، وادعُ لنا بخاتمة الخير وحُسن التوفيق، وإنْ تمكّنْتَ عقيبَ كل صلاةٍ فافعل.

وعليك بالمواظبة في كل يوم بخَمْس وعشرين مرّة: «اللهمّ اغفر للمؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات» فإنّ فيها ثواباً جزيلاً.

ولا تترك الاستغفار عقيبَ العصر سبعاً وسبعين مرّة.

وأكثر من قراءة «إنّا أنزلناه» و«قُل هو الله أحد».

الوصية الثالثة:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وأوصيهم ببذلِ المجهود في الجمع بين القلب واللّسان في التلاوة وسائر الأذكار في الركوع والسجود وسار الهيئات، لا يقنعُ أحدهم أن يَحْضُرَ عند الله تعالى بقالبه دون قلبه، وعلى قَدرِ ضبط الجوارح عن الفضول بين كل فريضتين يجد قلبه في الصلاة.

وأُوصيهم بذكر الله عَزَّوَجَلَّ باللسان والقلب، فأمّا القلب ففي كلِّ مجلسٍ ومحفلٍ وكلِّ طريقٍ يسلكونه، وعند الأكل والوضوءِ خاصّة، فإنّ الذاكر على طعامه ووقتِ وضوئِه يَقِلُّ طَروقُ الشيطان على قلبه، وتَقِلُّ وَسْوَسَتُه في صلاته.

وأُوصي الإخوان بالدوام على الطهارة، ينبغي للعبد أن لا يحدث إلا ويُجَدّد الوضوء، فإنّه سلاح المؤمن.

ومهما قَدَرَ أن لا يقعد إلا مستقبل القبلة، وكلُّ مجلسٍ لا يكون فيه مستقبل القبلة يَعتقد أن قد فاتَتْه فضيلةٌ، ويتصوّر في كلِّ مجلسٍ كأنَّ رسول الله ﷺ حاضرٌ حتّى يتأدّب في قوله وفعله، ولا ينام إلا على طهارةٍ مستقبلَ القبلة.

ومن أنفع الوصايا القيام بالليل، فإنّه دَأْبُ الصالحينَ، فإنّهم لا يَدَعُ أحدُهُم أن ينقضيَ ليلُه ولم تكن له فيها نافلةٌ إمّا في أوّلها أو أوسطِها أو آخرِها.

وأُحِبُّ من إخواني أنْ لا يدعوا يوماً بليله لا يكونوا فيه بين يَدَيِ الله تعالى مُتأسّفينَ على ما بَدَرَ منهم من أمرٍ، وفاتَهُمْ من عوالي الدرجات.

ومن العَوْنِ الحَسَنِ على حقائق العبودية ذِكْرُ الموتِ، وقد قيل: يا رسول الله هل يُحْشرُ مع الشُّهداء؟ قال: «نعم، مَنْ يذكُرُ الموتَ بين اليوم والليلة عشرين مرة»، فذكرُ الموتِ يُقصّرُ الأمَلَ ويُحَسِّنُ العملَ.

وممّا انتفعتُ به في زماني وأوصي به إخواني البُكورُ إلى الجُمُعةِ: يَجتهدُ أحدُهم أن يُصلّيَ فريضة الصُّبح في الجامع ويشغَلَ وقتَه بالصلاة والتلاوة وأنواع الذّكر إلى أن يُؤدّي الفريضة، فيومُ الجمعة يومُ الآخرةِ لا يشغل بشيءٍ من أُمور الدنيا، ويغتسل للجُمعة قبل طلوع الشمس، فإنْ أمكنهُ الغُسل مع البكورِ إلى الجمعة قريب الصلاة، فحَسَنٌ.

وأُحِبُّ من الإخوان أن لا يدعوا يوماً بلا صدقةٍ، ولا يدعوا أُسبوعاً كاملاً بلا صومٍ، فيصومُ أحدُهم الأثانين والأَخْمِسَة والجُمَع، وإلا فيومينِ منها.

وأُوصيهم أنْ لا يذكروا أحداً من المسلمين إلا بخيرٍ على ما يعتقدُ فيه من بِدعةٍ أو شُبهةٍ ولا يفتحوا على أنفسهم بابَ التأويل للوَقيعةِ في المسلمين.

وأُحبُّ من الإخوان تركَ الكلامِ في أمرِ الدنيا بعد صلاة الصُّبحِ إلى أن ترتفع الشمسُ قِيْدَ رُمحٍ، ثمّ يَختم المجلسَ بركعتين.

هذا ما حضرني في الوقت، وكَتَبْتُه للإخوان بمدينة دمشق حماها الله، ووفّقهم وإيّاي لما يُحبُّ ويرضى بحولِهِ وكرمِه، والحمدُ لله وحده، وصلواتُه على سيدنا محمّدٍ وآله[1].

---

(١) رسائل الشهيد الأول.

وصية الشهيد الثاني رحمه الله

نبذة عن حياة الموصي

هو الشيخ زين الدين بن علي بن أحمد الجُبعي العاملي، وُلد في عام ٩١١هـ، واستشهد عام ٩٦٥هـ.

وهو من مشاهير العلماء العظام، فقد خلفَّ في عمره القصير (٥٤ سنة) زهاء سبعين كتاباً ورسالة في مختلف الموضوعات، كان الكثير منها ولا يزل المورد الصافي لإفادة العلماء والمحققين، ومن تلك الكتب:

١ - الروضة البهية. ٢ - منية المريد. ٣ - مسالك الإفهام. ٤ - حقائق الإيمان. ٥ - منية المريد. ٦ - الرعاية في علم الدراية.

وكانت حياته ممتزجة بالقداسة والتقوى حتى ذُكر أنه كانت له كرامات وخوارق عادات قد سجَّلها التاريخ لا مجال لذكرها هنا.

الوصية

وُجدت الوصية في «كشكول» السيد علي بن يونس التفرشي - تلميذ الشيخ البهائي - وهو مخطوط موجود في مكتبة مجلس الشورى الإسلامي[١].

---

(١) مجلة «تراثنا» العدد ١٤، ص ٢٠٠.

والوصية كما يلي:

«وفّقنا الله تعالى وإيَّاك يا أخي لطاعاته، وسَلك بنا سبيلَ مرضاته، وأوقفنا على خِلال الخير لنستعملها، وعلى خصال السوء لنجتنبها، وأعاننا على ذلك بحسن توفيقه، فإنَّهُ وليّ ذلك.

أقول: أوَّلُ ما أُوصيك به تقوى الله تعالى فيما تأتي وتذر، فإنَّها وصيَّة رب العالمين إلى الأولين والآخرين، قال جلَّ جلاله في محكم كتابه: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾ [النّساء: ١٣١] وهذه الوصيَّة أجمعُ كلامٍ للخير وأوجزه، ومن ثمَّ خصَّها بالذكر وعمَّها بالنظر إلى المُوصَى من خلقه من الأوَّلين والآخِرين، فلو كان من خصال الخير خصلةٌ أصلحَ للعبد وأجمعَ للخير لكانت عناية الله تعالى ورأفته بخلقه تقتضي ذكرها دونها أو معها.

وقد مدح الله تعالى في كتابه التقوى، ووصفها بصفات ورتَّب عليها فوائد كثيرة:

منها: غفران الذنب وإصلاح العمل؛ قال الله عزّ وجلّ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

ومنها: النجاة من النَّار؛ ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا﴾ [مريَم: ٧٢].

ومنها: الخلود في الجنَّة، ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عِمرَان: ١٣٣].

ومنها: التأييد، ﴿أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ [البَقَرَة: ١٩٤].

ومنها: الحفظ والتحصين من الأعداء ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ [آل عِمرَان: ١٢٠].

ومنها: - وهي أجلّها خصلةً وأرفعها قدراً وأعظمها خطراً وجلالةً - محبّة الله تعالى إياه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٤].

ومنها: الأكرميَّة عنده تعالى على مَنْ سواه، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ﴾ [الحُجرَات: ١٣].

ومنها: النجاة من الشدائد وكفاية المهمَّ في دار الدُّنيا - وهي من أعظم أسباب التفرّغ لعبادته، ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣].

إلى غير ذلك من فوائدها.

والمراد بالتقوى «إمتثال أوامر الله تعالى واجتناب نواهيه».

ومن ثمَّ كانت هذه الخصلة جامعة لجميع خلال الخير، وسُئل الصادق عليه السلام عن تفسيرها فقال: «أن لا يفقدك حيث أمرك ولا يراكَ حيث نهاك».

فعليك يا أخي - وفقك الله تعالى - بمراعاة هذه الوصيَّة الجامعة والتحلّي بحليتها، واغتنام عمرك القصير الذي هو متجر الدَّار الآخرة، وسبب السعادة الأبدية والكرامة السرمدية، وما أعظَم هذا الربحَ، وأقلَّ رأس المال، وأعظم الحسرةَ والندامة على تقدير التقصير في المعاملة والاكتساب في وقته، إذا عاين المقصّرُ درجات السابقين ومنازل الواصلين وثمرة أعمال المجتهدين، وقد فات الوقت ولم يمكن الاستدراك.

واعلم أنّك إذا تأمّلت قدر السعادة المؤبّدة التي لا نهاية لها التي تحصل ثمرتُها من حين الشروع في تزكية النفس وتخلُص من حيث فراقها

البدن في البرزخ إلى أبد الآبدين، وأنَّ سبب حصولها وكسبها في هذا العمر الذي غاية الطمع في زيادته والتمنِّي لطوله لا يبلغ مائة سنة، لا يصفو منها للعمل - وإنْ اجتهدت - إلا قليلٌ للاضطرار إلى صرف شطره في النوم والرَّاحة وجانب كثير من الشطر الآخر في ضرورات البقاء الإنساني، والفاضل من ذلك - على تقدير ضبطه التام وسلامته عن الآفات وخلوصه عن شوائب النقص ومعارضة المعاصي - هو ثمن هذه السعادة الأبدية التي لا نهاية لها باتفاق أهل الملل، ومرجعها إلى بقاءٍ بلا فناء، ولذَّة بلا عناء، وسرور بلا كدر، وغنى بلا فَقرْ، وكمال بلا نقصان، وعزّ بلا ذلّ، وبالجملة كلُّ ما يُتصوَّر أن يكون مطلوبَ طالب ومرغوبَ راغب على وجه لا يتصرّم بتصرّم الأحقاب، ولا يفنى بفناء الآباد.

بل لو قدَّرنا أنَّ الدُّنيا من عنان السَّماء إلى تخوم الأرض مملوءة بالذرّ وقدَّرنا طائراً يأكل منها في كل مائة ألف سنة وأضعاف سنة وأضعاف ذلك حبَّةً لفنيتِ الذرُّ ولم ينقص من أبد الآباد شيء.

فجدير أن تغتنم تحصيل ذلك وتشمّر عن ساق الجدّ فيه في أيام هذه المهلة اليسيرة الَّتي لا يمكن حصوله في غيرها، وفي كل نفس من الأنفاس يمكن تحصيل كثرة من كنوزه. فما أجدرَ هذا حثّاً على طلبه وأقبحَ الفتورَ عنه بعد اعتقاد وجوده الذي لا يسع مكلَّفٌ الغفلةَ عن اعتقاده، ولا يتمّ الإيمان بالله تعالى بدون اعتقاده؛ لأنَّهُ مِمَّا قد تضافرت به الآيات واتَّفقت عليه الأنبياء والرُّسل وأجمعت عليه الأُمم على اختلاف أديانها وتباين مذاهبها.

وقد رأيتَ ورأينا من جِدّ أهل الدُّنيا وتعبهم وتحمّلهم للمكاره وتركهم للملاذّ في الحال رجاءً لحصول فائدة في المستقبل تزيد على ما يفوتهم في الحال زيادة قليلة محدودة مشوبة بالكدورات في زمان حصولها، منتهية إلى

أمد قليل بغير طمع طامعٍ في بقائها ولا رجاء جاهل ولا عاقل في دوامها؛ هذا على تقدير سلامتها عن سوء العاقبة ومغبَّة العاقل وغاية الخسران وهو أعزَّ من الكبريت الأحمر، فكيف لا يسمح العاقل بترك لذَّةٍ في الحال للتوصّل إلى هذه المزايا التي هي غير مقدَّرة ولا محدودة لا آخر لها.

ما التقاعدُ عن تحصيل هذه السعادة، والفتور عن تهيئة أسبابها إلاَّ لضعف الإيمان باليوم الآخر، وإلاَّ فالعقل الناقص قاض بالتشمير لسلوك سبيل السعادة فضلاً عن الكامل.

واعلم أنَّ ضبط العمر في تحصيل السعادة لا يتمّ إلا بمراعاة النفس كل يوم، ومحاسبتها، ثمَّ مراقبتها، ثمَّ معاقبتها على تقدير التقصير أو الفتور كما هو اللازم مع معاملي الدُّنيا القليل خطرها، التي لا يضرُّ زوال ما زال منها ولا فوات ما فات منها، فكما أنَّ التاجر يستعين بشريكه فيسلِّم إليه المال حتَّى يتجر ثمَّ يحاسبه ويراقبه ويعاقبه إن قصّر، ويعاتبه إن غبن، فكذلك العقل هو التاجر في طريق الآخرة، ومطلبه وربحه تزكية النفس بتخلِّيها عن الخصال الذميمة وتحلِّيها بالخلال الحميدة فبذلك فلاحها، قال الله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾﴾ [الشمس: ٩-١٠] والعقل يستعين بالنفس في هذه التجارة ويستعملها فيما يزكِّيها، كما يستعين التاجر بشريكه وغلامه الذي يتّجر في ماله، وكما أنَّ الشريك يصير خصماً منازعاً يجاذبه في الربح، فيحتاج إلى أن يشارطه أولاً ويراقبه ثانياً ويحاسبه ثالثاً ويعاتبه أو يعاقبه رائعاً؛ فكذلك العقل يحتاج إلى مشارطه النفس أولاً فيوظّف عليها الوظائف، ويشرط عليها الشروط ويرشدها إلى طريق الفلاح ثمّ لا يغفل عن مراقبتها، فإنَّهُ من غفل عن مراقبتها لم يرَ إلا الخيانة وتضييع رأس المال كالعبد الخائن إذا انفرد بالمال.

ثمَّ بعد الفراغ ينبغي أن يحاسبها ويطالبها بالوفاء بما شرط عليها، فإنَّ هذه تجارة ربحها الفردوس الأعلى وبلوغ سدرة المنتهى مع الأنبياء والشُّهداء، وخارتها - والعياذ بالله - عذاب جهنَّم مع الفراعنة والأشقياء، إذ ليس في تلك الدَّار إلا الجنَّة والنَّار، والجنَّة أُعدَّت للمتَّقين كما أنَّ النَّار أُعدَّت للمقصِّرين، فتدقيق الحساب في هذا مع النفس أهم كثيراً من تدقيقه في أرباح الدُّنيا لأنَّها محتقرة بالإضافة إلى نعيم العقبى، ثمَّ كيف ما كانت فمصيرها إلى التصرُّم والانقضاء، ولا خير في خير لا يدوم، بل شرّ لا يدوم خير من خير لا يدوم، لأنَّ الشرَّ الذي لا يدوم إذا انقطع بقي الفرح بانقطاعه دائماً وقد انقضى، والخير الذي لا يدوم يبقى الأسف على انقطاعه دائماً وقد انقضى الخير - ولذلك قيل:

أَشَدُّ الغَمِّ عِنْدِي فِي سُرورٍ

تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ انتِقَالا

فحتمٌ على كلّ ذي حزم آمن بالله واليوم الآخر أن لا يغفل عن محاسبة نفسه والتضييق عليها في حركاتها وسكناتها وخطراتها، فإنَّ كل نَفَس من أنفاس العمر جوهرة نفيسة لا عوض لها، يمكن أن يُشترى بها كنزٌ من الكنوز لا يتناهى نعيمه أبد الآباد، فانقضاء هذه الأنفاس ضائعةً أو مصروفةً إلى ما يجلب الهلاك خسران عظيم هائل لا تسمح به نفس عاقل.

فإذا أصبح العبد وفرغ من فريضة الصبح ينبغي أن يفرّغ قلبه ساعة لمشارطة النفس - كما أنَّ التاجر عند تسليم البضاعة إلى الشريك العامل يفرّغ المجلس لمشارطته - فيقول: يا نفس، ما لي بضاعة إلا العمر، ومهما فنى فقد فنى رأس المال ووقع اليأس عن التجارة وطلب الربح،

وهذا اليوم الجديد قد أمهلني الله فيه وأنسأ في أجلي وأنعم به عليَّ، ولو توفَّاني لكنت أتمنَّى أن يرجعني إلى الدُّنيا يوماً واحداً حتى أعمل فيه صالحاً، واحسبي أنَّكِ تُوفّيت ثمَّ رُدِدْتِ، فإياك ثم إياك! أن تضيعي هذا اليوم؛ فإنَّ كل نَفَسٍ من الأنفاس هو جوهرة لا قيمة لها.

واعلمي يا نفس! أنَّ اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة، وقد ورد في الخبر أنَّهُ «يُنشر للعبد بكلِّ يومٍ أربع وعشرون خزانة مصفوفة فيفتح له منها خزانة، فيراها مملوءةً نوراً من حسناته الّتي عملها في تلك الساعة فيناله من الفرح والسرور والاستبشار بمشاهدة تلك الأنوار الَّتي هي وسيلته عندَ الملك الجبَّار ما لو وُزِّعَ على أهل النَّار لأدهشهم ذلك الفرح عن الإحساس بألم النَّار، وتُفتح له خزانة أُخرى سوداء مظلمة يفوح نتنها ويغشى ظلامها وهي الساعة الَّتي عصى الله فيها، فيناله من الهول والفزع ما لو قُسِّم على أهل الجنَّة لنغَّص عليهم نعيمها، وتُفتح له خزانة أُخرى فارغة ليس فيها ما يسرُّهُ ولا ما يسوؤهُ وهي الساعة التي نام فيها أو غفل أو أشتغل بشيءٍ من مباحات الدُّنيا فيتحسَّر على خلوِّها ويناله من غبن ذلك ما ينالُ القادرَ على الربح الكثير إذا أهمله وتساهل فيه حتَّى فاته وناهيك به حسرةً وغبناً، وهكذا تعرض عليه خزائن أوقاته طول عمره».

فيقول لنفسه: اجتهدي اليوم في أنْ تعمري خزائنَكِ ولا تدعيها فارغةً عن كنوزك الَّتي هي أسباب ملككِ، ولا تميلي إلى الكسل والدعة والاستراحة، فيفوتَكِ من درجات علِّيين ما يدركه غيرك وتبقى عندك حسرة لا تفارقك، وإن دخلتِ الجنَة فألم الغبن وحسرته لا يُطاق وإن كان دون ألم النّار، وقد قال بعض الكاملين: «هب أنّ المسيء عفي عنه أليس قد فاته ثوابُ المحسنين؟!» أشار بذلك إلى الغبن والحسرة. وقال جلَّ

جلاله: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ﴾ [التّغابُن: ٩] فهذا ما جرى مجراه أول مقام المرابطة مع النفس وهي المحاسبة قبل العمل.

وأمَّا محاسبتها بعده، فليكن في آخر النَّهار ساعة يطالب فيها النفس، ويحاسبها على جميع حركاتها وسكناتها كما يفعل التاجر في الدُّنيا مع الشريك في آخر كل يوم أو شهر أو سنة خوفاً من أن يفوته منها ما لو فاته لكانت الخيرة في فواته، ولو حصّل بخير لا يبقى إلاَّ أياماً قليلة، وكيف لا يحاسب العاقل نفسه فيما يتعلَّق به خطر الشقاوة أو السعادة أبد الآباد؟! قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨] وهي إشارة إلى المحاسبة على ما مضى من الأعمال. وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسبوا» وجاءه صلى الله عليه وآله وسلم رجلٌ فقال: يا رسول الله أوصني. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أمُسْتَوْص أنت؟» قال: نعم. قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا هممت بأمر فتدبَّر عاقبته، فإن كان رشداً فامضه، وإن كان غيّاً فانته عنه». وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ينبغي للعاقل أن يكون له أربع ساعات، ساعة يُحاسب فيها نفسه. . .» الحديث.

ولمَّا كانت محاسبة الشريك عبارة عن النظر في رأس المال أو في الربح أو الخسران ليتبيَّن له الزيادة من النقصان، فكذلك رأس مال العبد في دينه الفرائض وربحه النوافل والفضائل، وخسرانه المعاصي، وموسم هذه التجارة جملة النَّهار، ومُعامِلُهُ نفسه الأمَّارة بالسوء، فليُحاسبها على الفرائض أولاً فإنْ أدّتها على وجهها شكر الله تعالى على ذلك ورغّبها في مثلها، وإن فوَتَّتْها طالبها بالقضاء، وإن أدَّتها ناقصةً كلَّفها الجبران بالنوافل، وإن ارتكبت معصيةً عاقبها وعذَّبها ليستوفي منها ما يتدارك به كما يصنع التاجر بشريكه، وكما أنَّهُ يفتّش في حساب الدُّنيا عن الدرهم

والقيراط حتَّى لا يُغبن في شيءٍ منها، فأولى أن يتّقي غبن النفس ومكرِها، فإنَّها خدَّاعة مكَّارة فليطالبها أولاً بتصحيح الجواب عن جميع ما يتكلَّمُ به طول نهاره، وليكلِّف نفسه في الخلوة ما يتولاَّهُ غيره بها في صعيد القيامة على رؤوس الأشهاد ويفضحه بينهم؛ وكما يكره أن يظهر عيبه لأصحابه وجيرانه فيترك النقص لأجلهم فأولى أن يفعل ما يظهر عليه في مشهدٍ تجتمع فيه الأنبياء والرُّسل والأشقياء والأتباع من الأوَّلين والآخرين فضلاً عن الجيران والمعارف من أهل البلد وغيرهم، وهكذا يفعل في تفقّدِ حركاته وسكناته بل جميع العمر في جميع الأعضاء الظاهرة والباطنة.

وقد نُقل عن بعض الأكابر - وكان محاسباً لنفسه - فحسب يوماً وإذا هو ابن ستِّين سنة، فحسب أيَّامها فإذا هي إحدى وعشرون ألف يوم وخمسمائة يوم، فصرخ وقال: يا ويلتي! ألقى الملكَ بإحدى وعشرين ألف ذنب، كيف وفي كلِّ يوم ذنوب، ثمَّ خرَّ مغشياً عليه فإذا هو ميِّت، فسمعوا قائلاً يقول: يا لها ركضة إلى الفردوس، فهكذا ينبغي المحاسبة على الأنفاس وعلى عمل القلب والجوارح في كلِّ ساعة، ومن تساهل في حفظ المعاصي فالمَلكان يحفظان عليه: ﴿أَحْصَنهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ﴾ [المجَادلة: ٦].

واعلم أنَّك قد عرفت أنَّ التقوى شطران: اكتساب واجتناب، فالأول فعل الطاعات، والثاني ترك المعاصي، وهذا الشطر هو الأشدُّ ورعايته أولى، لأنَّ الطاعة يقدر عليها كل أحد، وترك المعاصي لا يقدر عليه إلا الصدِّيقون.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «المهاجر من هاجر السوء، والمجاهد من جاهد هواه».

وكان ﷺ إذا رجع من الجهاد يقول: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» يعني جهاد النفس.

وأيضاً فإنَّ شطر الاجتناب يزكو مع حصول ما يحصل معه من شطر الاكتساب وإن قلَّ، ولا يزكو ما يحصل من شطر الاكتساب مع ما يفوت من شطر الاجتناب وإن كثُر.

ولذلك قال صلى الله عليه وآله وسلم: «يكفي من الدُّعاء مع البرّ ما يكفي الطعام من الملح».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم في جواب من قال: إنَّ شجرنا في الجَنَّة لكثير -: «نعم، ولكن إياكم أن ترسلوا عليها نيراناً فتحرقوها».

وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النَّار الحطب».

إلى غير ذلك من الآثار الواردة بذلك.

فإن ظفرتَ بالشطرين جميعاً فقد حصلت على التقوى حقّاً، وإن اقتصرت على الأول كنتَ مغروراً، ومَثَلُكَ في ذلك كمثل من زرع زرعاً فنبت ونبت معه حشيش يفسده، فأُمِر بتنقيته من أصله فأخذ يجزُّ رأسه ويترك أصله، فلا يزال ينبت ويقوى أصله حتَّى يفسده، أو كمريض ظهر به الجرب وقد أُمر بالطلاء وشرب الدواء، فالطلاء ليُزيلَ ما على ظاهره والدواء ليقلَعَ مادته من باطنه، فقنع بالطلاء وترك الدواء وبقي يتناول ما يزيد المادَّة، فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دائمٌ به يتفجَّر من المادَّة في الباطن، أو كمن بنى داراً وأحكمها ولكن في داخلها حشرات ساكنة من الحيَّات والعقارب والجراد وغيرها، فأخذ في فرشها وسترها بالفُرُش الحسنةِ الفاخرة، ولا تزال الحشرات تظهر من باطنها فتقطع الفرش وتخرق الستور وتصل إلى بدنه باللسع، ولو عقل لكان همَّه أوَّلاً دفع هذه المؤذيات قبل الاشتغال بفرشها ليحفظ ما يضعه فيها ويسلم هو من أذاها ولسعها، بل أي نسبة بين لسع الحيَّات في دار الدُّنيا الذي ينقضي ألمُه في

مدَّة يسيرة ولو بالموت الذي هو أقرب من لمح البصر وبين لسع حيَّات المعاصي التي يبقى ألمُها في نار جهنَّم، نعوذ بالله تعالى منه ونسأله العفو والرَّحمة.

ثمَّ القول في قسم الاكتساب موكول إلى كتب العبادات وإن افتقرنا في ذلك إلى وظائف قلبية ودقائق علمية وعملية لم يدوِّنها كثيرٌ من الفقهاء، وإنَّما يفتح بها على من أخذ التوفيق بزمام قلبه إلى الهداية إلى الصراط المستقيم.

وأمَّا شطر الاجتناب فمنه ما يتعلَّق بالجوارح، ومنه ما يتعلَّق بالقلب:

فأمَّا الجوارح التي تتعلَّق بها المعصية - وهي السبعة الَّتي هي بمقدار أبواب جهنَّم - فمن حفظها حرس من تلك الأبواب إن شاء الله تعالى، وهي العين والأذن واللِّسان والبطن والفرج واليد والرجل.

فأمَّا العين فإنَّها خُلقت لك لتهتدي بها في الظلمات، وتستعين بها على قضاء الحاجات، وتنظر بها إلى ملكوت الأرض والسَّماوات، وتعتبر بما فيها من الآيات، والنظر في كتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ ومطالعة كتب الحكمة للإستيقاظ، فاحفظها أن تنظر بها إلى غير مَحرَم وإلى مسلم بعين الاحتقار، أو تطّلع بها إلى عيب مسلم بل كل فضول مستغنٍ عنه، فإنَّ الله جلَّ جلاله يسأل عن فضول النظر كما يسأل عن فضول الكلام.

وأمَّا الأُذن فاحفظها أن تُصغي بها إلى بدعة أو فحش أو غيبة أو خوض في الباطل أو ذكر مساوىء النَّاس، فإنَّها إنَّما خلقت لك لتسمع كلام الله تعالى وسُنَّة رسوله ﷺ وأوليائه وتتوصَّل باستفادة العلم بها إلى الملك المقيم والنعيم الدائم.

وأمَّا اللّسان فإنّهُ خُلق لذكر الله وتلاوة كتابه العزيز وإرشاد خلق الله

إليه وإظهار ما في الضمير من الحاجات للدِّين والدُّنيا، فإذا استُعمل في غير ما خُلق له فقد كُفِر به نعمة الله تعالى، وهو أغلب الأعضاء على سائر الخلق لأنَّه منطلق بالطبع ولا مؤونة عليه في الحركة، ومع ذلك فجنايته عظيمة بالغيبة والكذب وتزكية النفس ومذمَّة الخلق والمماراة وغير ذلك من آفاته، ولا يُكِبُّ النَّاسَ على مناخرهم في النَّار إلا حصائدُ ألسنتهم فاستظهر عليه بغاية قوَّتِكَ حتَّى لا يكبّك في جهنَّم؛ ففي الحديث: «إنَّ الرجل ليتكلَّم بالكلمة فيهوي بها في جهنَّم سبعين خريفاً» وروي أنَّ رجلاً قُتل شهيداً في المعركة فقال قائلٌ: هنيئاً له الجنَّة، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ما يدريك لعلَّهُ كان يتكلَّم فيما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه».

وأمَّا البطن فكلِّفه ترك الشره واحرص على أن تقتصر من الحلال على ما دون الشبع، فإنَّ الشبع يقسِّي القلب، ويفسد الذهن ويبطل الحفظ، ويثقل الأعضاء عن العبادة، ويقوِّي الشُّبهات وينصر جنود الشيطان، والشبع من الحلال مبدأ كل شر، وهكذا تتفقَّد باقي جوارحك فطاعاتها ومعاصيها لا تخفى.

وأمَّا ما يتعلَّق بالقلب فهو كثير وطرق تطهيره من رذائلها طويلة، وسبيل الفلاح فيها غامض، وقد اندرس علمه وعمله وانمحى أثره والورع المتّقي في زماننا من راعى السلامة من المحرَّمات الظاهرة المدوَّنة في كتب الفقه، وأهملوا تفقُّد قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة عند الله تعالى من الحسد والكبر والبغضاء والرياء وطلب الرئاسة والعُلى وسوء الخلق مع القرناء وإرادة السوء للأقران والخلطاء، حتَّى أنَّ كثيراً لا يعدون ذلك من المعاصي مع أنَّها رأسها، كما أشار إليه صلى الله عليه وآله بقوله: «أدنى الرياء الشرك» وقوله صلى الله عليه وآله: «لا يدخل الجنَّة من في قلبه مثقال ذرَّة من كبر»

وقوله ﷺ: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النَّار الحطب» وقوله ﷺ: «حبّ المال والشرف يُنبتانِ النفاق كما ينبت الماء البقل»... إلى غير ذلك من الأخبار الواردة في هذا الكتاب، وقد قال ﷺ: «إنَّ الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى أموالكم وإنَّما ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم».

فهذه جماع أمر التقوى التي أوصانا الله تعالى بها، على وجه الإجمال وتفاصيلها تحتاج إلى مجلدّات.

ولنشفع وصيَّة الله تعالى لعباده بوصيَّة النبيِّ لأمير المؤمنين عليه السلام: «يا علي، أوصيك في نفسك بخصالٍ فاحفظها - ثم قال: اللهمَّ أعنه -:

أمَّا الأولى: فالصدق، لا يخرجنَّ من فيك كذبة أبداً.

أمَّا الثانية: الورع، لا تجترىء على جنايةٍ أبداً.

أمَّا الثالثة: الخوف من الله تعالى كأنَّكَ تراه.

أمَّا الرابعة: كثرة البكاء لله تعالى، يُبني لك بكلِّ دمعة ألفَ بيت في الجنَّة.

أمَّا الخامسة: بذل مالك ودمك دون دينك.

أمَّا السادسة: الأخذ بسُنّتي في صلاتي وصيامي وصدقتي: أمَّا الصلاة فالخمسون ركعة، وأمَّا الصوم فثلاثة في كلِّ شهر، خميس في أوله، وأربعاء في وسطه، وخميس في آخره، وأمَّا الصدقة فجهدك حتَّى يُقال: إنَّك قد أسرفت ولم تسرف. وعليك بصلاة اللَّيل، وعليك بصلاة اللَّيل، وعليك بصلاة اللَّيل، وعليك بصلاة الزوال وعليك بصلاة الزوال، وعليك بتلاوة القرآن على كلِّ حال، وعليك برفع يديك في صلاتك وتقليبهما، وعليك بالسواك عند كل وضوء، وعليك بمحاسن الأخلاق فارتكبها ومساوىء الأخلاق فاجتنبها، فإنْ لم تفعل فلا تلومنَّ إلا نفسك».

ولأمير المؤمنين عليه السلام وصيَّة جليلة لولده الحسن عليه السلام مذكورة في «نهج البلاغة» وغيره، فينبغي مراجعتها فإنَّها تشتمل على حكم ومواعظ كثيرة.

وقال عنوان البصري للصَّادق جعفر بن محمد عليه السلام : أوصني؛ فقال عليه السلام : «أُوصيك بتسعة أشياء، فإنَّها وصيَّتي لمن يريد الطريق إلى الله تعالى، والله أسأل أن يوفّقك لاستعماله وهي: ثلاثة منها في رياضة النفس، وثلاثة منها في الحلم، وثلاثة في العلم فاحفظها، وإيَّاك والتهاون بها، قال عنوان: ففرّغت قلبي له. قال عليه السلام : فأمَّا اللواتي في الرياضة، فإيَّاك أن تأكل ما لا تشتهيه فإنَّهُ يورث الحماقة والبله، ولا تأكل إلاّ عند الجوع، وإذا أكلت فكل حلالاً، وسَمِّ الله واذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : «ما ملأ آدميٌ وعاءاً شراً من بطنه، فإنْ كان ولا بُدَّ فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه».

وأمَّا اللواتي في الحلم، فمن قال لك: إن قلتَ واحدةً سمعتَ عشراً، قل له: إن قلتَ عشراً لم تسمع واحدة، ومن شتمك فقل له: إنْ كُنتَ صادقاً فيما تقول فاسألُ الله أن يغفرها لي، وإن كُنت كاذباً فأسال الله أن يغفرها لك، ومن وعدك بالخنى فعدِهُ بالنصيحة والدُّعاء.

وأمَّا اللواتي في العلم، فاسأل العلماء ما جهلتَ، وإيَّاك أن تسألهم تعنّتاً وتجربة، وإيَّاك أن تعمل برأيك شيئاً، وخذ بالاحتياط في جميع أُمورك ما تجد إليه سبيلاً، واهرب من الفُتيا هربك من الأسد، ولا تجعل رقبتك جسراً للنَّاس.

ثمَّ قال عليه السلام : قم عنّي يا أبا عبد الله فقد نصحت لك، ولا تفسد عليَّ وردي فإنِّي أمرؤ ضنين بنفسي. والسلام».

وقال عليه السلام في وصيَّته لآخر: «أفضل الوصايا وأكرمها أن لا تنسى ربّك، وأن تذكره دائماً ولا تعصيه، وتعبده قائماً وقاعداً، ولا تغترّ بنعمته وتخرج من أستار عظمته وجلاله فتضلَّ وتقع في الهلاك وإنْ مسَّكَ البلاء والضرُّ وأحرقتك نيران المحن. واعلم أنَّ بلاياه مخبوءة بكراماته الأبدية، ومحنه مُورثَةٌ رضاه وقربته ولو بعد حين، فيا لها من مغنم لمن علم ووُفِّق لذلك».

وقال: روي أنَّ رجلاً استوصى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال صلى الله عليه وآله وسلم: لا تغضب قطّ. قال: زدني. فقال صلى الله عليه وآله وسلم: صلِّ صلاة مودِّع، فإنَّ فيها الوصل والقربى. فقال: زدني. قال صلى الله عليه وآله وسلم: استحِ من الله استحياك من صالح جيرانك، فإنَّ فيها زيادة اليقين.

وقد جمع الله ما يتواصى به المتواصون من الأوَّلين والآخرين في خصلة واحدة وهي التقوى، يقول الله عزّ وجلّ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النِّساء: ١٣١] وفيه جماع كل عبادة صالحة، وبه وصل من وصل إلى الدرجات العُلى والرتب القصوى، وبه عاش من عاش مع الله بالحياة الطيِّبة والأُنس الدائم، قال الله عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤-٥٥].

هذا آخر ما اتفق ذكره في هذه الوصيَّة في وقتٍ ضيّق وخاطر مقسَّم لم يتفق لذلك زيادة عليه، ولعلَّ فيه إن شاء الله كفاية إذا روعي بحسن التدبير، والله تعالى يوفّقنا وإيَّاكم لما يحبُّه ويرضاه من القول والعمل، ويجعل ما بقي من أيام هذه المهلة على طاعته موقوفاً، وعمَّا يبعد عن جنابه مصروفاً، إنَّهُ ولي ذلك، وعليه الاعتماد في جميع الأحوال، وهو حسبنا ونعم الوكيل»[1].

(١) مجلة تراثنا، عدد ١٤، ص ٢٠٧.

ومن وصية له لوالد الشيخ البهائي رحمه الله

«وآخذ عليه في ذلك بما أُخذ عليّ من العهد بملازمة تقوى الله سبحانه فيما يأتي ويذر، ودوام مراقبته، والأخذ بالاحتياط التام في جميع أموره، خصوصاً في الفُتيا، فإن المُفتي على شفير جهنم، وبذل العلم لأهله، وبذل الوسع في تحصيله وتحقيقه، والإخلاص لله تعالى في طلبه وبذله، فليس وراء هذا السبب من مطلب إذا حصلت شريطته»[١].

من وصية له للسيد عطاء الله الموسوي - رحمهما الله -

«وأوصيه بتقوى الله تعالى ودوام مراقبته والإخلاص لله تعالى في سرّه وعلانيته، وبذل الجُهد في تحلية نفسه بالكمالات النفسانية الموجبة للسعادة الأبدية، واغتنام أيام هذه المهلة فإنّها بضاعة المؤمن، ورأس المال... الجنة والخسران النار»[٢].

ومن وصية له للسيد علي بن الصائغ الموسوي - رحمهما الله -

«فليرو المولى السيد الجليل ذلك وغيره عني مُحتاطاً لي وله، مراعياً لتقوى الله تعالى ودوام طاعته، وإيثار مراقبته فيما يأتي ويذر، والإخلاص له تعالى في العلم والعمل، فهو ملاك الأمر وبه قوام الدين، وعليه يدور الثواب والعقاب، والجنة والنار، والتماسي منه إجرائي على خاطره المنير في خلواته وأوقات دعواته»[٣].

---

(١) رسائل الشهيد الثاني ج ٢ ص ١١٤٠.
(٢) المصدر نفسه ١١٤٦.
(٣) المصدر نفسه ١١٥٣.

وصية الشيخ ابن حمزة الطوسي رحمه الله

التعريف بالشيخ الطوسي

هو الشيخ عماد الدين محمد بن علي الطوسي المشهدي ويُعرف بين العلماء بـ «ابن حمزة الطوسي» ويعبّر عنه بـ «أبي جعفر» للتمييز بينه وبين الشيخ الطوسي المتقدم عليه.

وهو من علماء القرن السادس، وله كتاب معروف في الأوساط العلمية اسمه «الوسيلة إلى نيل الفضيلة».

توفي في كربلاء ودفن في بستان من بساتين كربلاء على الجادة العامة المؤدية إلى مدينة «طويريج».

الوصية

«أما بعد: حمداً لله الكريم الآلاء، العظيم النعماء، والصلاة على نبيه محمد خاتم الأنبياء وسيد الأولياء، وعلى آله سادة الاتقياء، الأئمة الهداة النجباء، فإني أوصيك يا بني:

١ بتقوى الله، والإعتصام بحبله، والتمسك بطاعته.

٢ والتحرّج عن معصيته، والإخلاص في العمل بما يرضيه.

٣ - والتوفُر على التفكر فيما يزيد في معرفتك ويقينك، ويعينك على أمور معادك ودينك، ويمنعك عن التورط في الشبهات، ويردعك عن التميل إلى الشهوات، ويزعك عن ركوب المحارم، ويكبحك عن التسرع إلى المآثم.

٤ - وإياك وغفلة الاغترار وفترة الإصرار.

٥ - وعليك بالإستعانة بالله سبحانه على أمور دينك ودنياك، فإنك إن توكلت عليه كفاك.

٦ - وعليك بتلاوة كتابه في آناء ليلك ونهارك، وحالتي استقرارك وأسفارك، فإن ذلك شفاء لما في الصدور، ونور يوم النشور، ونجاة يوم تزل فيه الأقدام، وتقضى فيه الأحكام.

٧ - وعليك بالعمل بما فيه، والتنبه على ما في مطاويه، فإنه شافع مشفع، أو ماحلٌ مصدّق.

٨ - وعليك بُسنّة نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم فإنها جلاء القلوب، واستراحة الكروب.

٩ - وعليك بما سّن لك الأئمة الهداة، فإنهم إلى الجنة الدعاة، ومن النار الحماة.

١٠ - وعليك بسيرة الصالحين، والاقتناص من شواردهم، والإقتباس من فوائدهم.

١١ - والإشتغال بنفسك عن غيرك، والتوفر على الإكثار من خيرك. وليكن ما تعرف من نفسك شاغلاً لك عمن سواك. فتحمد منقلبك ومثواك.

١٢ - وعليك بالإكباب على طلب العلوم، فإنه أرجح ميزاناً، وأنجح أمراً وشأناً. وليس يمكنك البلوغ إلى نهايته والوصول إلى غايته فعليك بما هو أكثر فائدة، وأغزر عائدة، وأعود عليك في أولاك وأخراك، ودنياك وعقباك.

١٣ - وعليك بالفقه، وعليك بالفقه، وعليك بالفقه. فإنه شرف لك في الدنيا، وذخر لك في الآخرة، ولن يتيسر لك ذلك إلا بحسن السيرة، ونقاء الجيب، وطهارة الأخلاق، والتوقي من العيب، وإقامة دعائم الإسلام، والإذعان لقواعد الأحكام والتعظيم لأمر الله، فإن الله سبحانه لم يخلق الخلق عبثاً، ولم يتركهم مهملاً، بل خلقهم ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، وعلم ضمائرهم وخبر سرائرهم، وأحصى أعمالهم، وحفظ أحوالهم. واحتج عليهم بإرسال الرسل مبشراً ومنذراً، وبإنزال الكتب آمراً ومخبراً وداعياً وزاجراً، ولله الحجة البالغة، والنعمة السابغة، وله الحمد على نعمه. والشكر على فيض كرمه، حمداً وافياً، وشكراً كافياً.

ثم إني رأيت أن أجمع لك كتاباً في الفقه لتحفظه على ترتيب يسهل على المتيقظ الشروع في التحفظ. وقد بينته على بيان الجمل وحصرها. ونظم العقود ونثرها، وانقسام أبوابه على التمييز بين الواجب والمندوب، والمحظور والمكروه، والفعل والترك، والكيفية والكمية، على وجهٍ لا يلحقه خلل، ولا يبلغ طالبه ملل، وقد سميته بـ «الوسيلة إلى نيل الفضيلة» مستمداً من الله تعالى التوفيق على الإتمام، والتيسير لدرك المرام، وأن يجعل ذلك خالصاً لرضاه، فإنه لا يضيع من استكفاه، ولا يخيب من رجاه، وهو أكرم مسؤول، وأفضل مأمول».

وصية العلاّمة المجلسي الأول

التعريف بالمجلسي الأول

هو الشيخ محمد تقي المجلسي والد صاحب كتاب «بحار الأنوار» وكان رحمه الله من أهل المكاشفات، وقد نقل عنه ولده المجلسي الثاني كرامات عديدة وأمور عجيبة، ومنامات غريبة ورؤيا صادقة.

الوصية

قال رحمه الله: «والذي وجد هذا الضعيف في أزمنة الرياضات أني كنتُ في مطالعة التفاسير إلى أن رأيت في ليلة في ما بين النوم واليقظة سيّد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت في نفسي: تدبِّر في كمالاته وأخلاقه. فكلّما كنتُ أتدبّره.. يظهر لي عظمته صلى الله عليه وآله وسلم وأنواره، بحيث ملأ الجو واستيقظت، فأُلهمتُ بأن القرآن خُلُقُ سيّد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم، فينبغي أن أتدبّر فيه، وكلّما إزداد تدبّري في آيةٍ واحدةٍ كانت تزداد الحقائق.. إلى أن ورد عليّ من المعلوم دفعةً واحدةً ما لا يتناهى. في كل آية كنت أتدبّر فيها.. كان يظهر مثل ذلك. ولا يمكن التصديق بهذا المعنى قبل الوقوع، فإنه كالمُمتنع العادي، لكنّ غرضي من ذكره الإرشاد للإخوان في الله.

دوام الذكر وقانون الرياضة

١ - الصمت عمّا لا يعني، بل عن غير ذكر الله تعالى.

٢ - وترك المستلذّات من المطاعم والمشارب والملابس، والمناكح، والمنازل وأمثالها.

٣ - والعِزلة عن غير أوليائه تعالى.

٤ - وترك النوم الكثير.

٥ - ودوام الذكر مع المراقبة، وقد جرّب القوم المداومة على ذكر: (يا حيُّ يا قيّوم، يا من لا إله إلا أنت) وجرّبته أيضاً، لكن كان أكثر ذكري: (يا الله)، مع إخراج غيره تعالى عن القلب بالتوجّه إلى جنابه تعالى. والعُمدة هو الذكر مع المراقبة.. والبواقي ليست الذكر.

والمداومة على ما ذُكر أربعين يوماً تصير سبباً لأن يفتح الله تعالى على قلبه أنوار حكمته ومعرفته ومحبّته، ثمّ يترقّى إلى مقام الفناء في الله والبقاء بالله.. والأخبار متواترة في ذلك.

ولمّا كان هذا الطريق أقرب الطرُق إلى الله تعالى.. كانت معارضة النفس والشياطين الظاهرة والباطنة فيه أشدّ. فإنّه لو اشتغل الناس جميعاً بطلب العلوم لا يعارضونهم غالباً، لأنّ الغالب في طلب العلوم حب المال والجاه والعزّة عند الخلائق، وحينئذٍ يمدّهم الشياطين. أما لو كان الغرض من طلب العلم رضاه تعالى، يحصل المعارضات. فما لم تحصل ينبغي أن يتدبّر في أنّ للشيطان في إمهاله [إهماله] غرضاً...

وأنا في أربعين سنة مشتغل بهداية الناس، ولم يتّفق أن يجلس أحدهم

بهذا القانون، وليس ذلك إلا لعزّته ونفاسته، وفي الهدايات العامة ونشر العلوم الدينية اهتدى أكثر من مائة ألف.

واتّفق لي في هذه الأيام أن رأيت سيَّد المصطفين، وسألته صلى الله عليه وآله وسلم عن أقرب الطرُق إلى الله سبحانه، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «هو ما تعمل».

والإنسان بمجرّد قول كاذب يقول: «إنّي أعرف الكيميا»، يصرف أمواله وأوقاته فيه، مع أنه يعلم أنه لو كان صادقاً لا يحتاج إلى الإظهار، بل لا يُظهره وإنْ قُتل بأشدّ العذاب. ومع هذا يصرف أمواله باحتمال الصدق.

والذي أقوله هو عين آيات الله وإخبار سيّد المرسلين والأئمة المهتدين الهادين عليهم السلام، وصدّقه حكماء الظاهر كأبي علي في إشاراته في النمط التاسع. فلا بأس بأن تصرف أوقاتك أربعين يوماً في العبادات، مع أنك مُكلّف في جميع عمرك بذلك، لكن مع التضرّع والابتهال إليه تعالى في حصول هذا المطلب، لا بقصد الامتحان، بل بقصد العبادة لله تعالى كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «من أخلص لله أربعين صباحاً، فتح الله تعالى ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله».

وصية العلامة المجلسي الثاني

نبذة عن حياة الموصي

هو الشيخ محمد باقر بن الشيخ محمد تقي المجلسي، وهو صاحب كتاب «بحار الأنوار» وهو أكبر موسوعة في الأحاديث الشريفة وقد وصل إلى مجلدات، وللشيخ المجلسي فضل كبير على التشيع حتى أن أحدهم قال: «لو سُمّي دين الشيعة بدين المجلسي لكان في محله».

قال والده الشيخ محمد تقي: «في بعض الليالي بعد الفراغ من التهجد عرضت لي حالة عرفت منها أني لا أسأل من الله شيئاً إلا استجاب لي، وكنت أتفكر فيما أسأل عنه تعالى من الأمور الأخروية والدنيوية، فإذا بصوت بكاء «محمد باقر» في المهد، فقلت: إلهي بحق محمد وآل محمد إجعل هذا الطفل مروّج دينك وناشر أحكام سيد رسلك ووفّقه بتوفيقاتك التي لا نهاية لها، وقال: خوارق العادات التي ظهرت منه لا شك أنها من آثار هذا الدعاء».

الوصية

وهي مقتبسة من كتاب «عقائد الإسلام» وفيه:

«إعلم أن أقرب الطرق إلى الله تعالى كما هو ظاهر كثير من الآيات والأخبار وهو طريق الدعاء والمناجاة. لكن لهما شرايط وشرائطهما ترتيبهما بالتسلسل:

١ - من حضور القلب. ٢ - والتوسل التام. ٣ - وقطع الرجاء عمن سواه تعالى. ٤ - والإعتماد الكامل عليه. ٥ - والتوجه في صغير الأمور وكبيرها وقليلها وكثيرها إليه سبحانه. والأدعية المأثورة على نوعين:

أولاً: الأوراد والأذكار الموظفة المقررة

والأدعية المأثورة على نوعين: منها الأوراد والأذكار الموظفة المقررة في كل يوم وليلة المشتملة على تجديد العقائد طلب المقاصد والأرزاق ودفع كيد الأعداء ونحو ذلك، وينبغي للمرء أن يجتهد في حضور القلب والتوجّه والتضرع عند قراءتها لكن يلزم أن لا يتركها إن لم يتيسّر ذلك.

الثاني: المناجاة:

والثاني المناجاة وهي الأدعية المشتملة على صنوف الكلام، في التوبة والإستعاذة، والإعتذار، وإظهار الحب، والتذلل الأنكسار.

وظني أنه لا ينبغي أن يقرأ تلك إلاّ مع البكاء والتضرع والخشوع التام. وينبغي أن يترصّد الأوقات لها ولا يقرأ بدون ما ذكر، ما فيشبه الإستهزاء والسخرية، وهذان القسمان من الدعاء ببركة أهل البيت عندنا كثيرة لا تفي الفرصة، باشتغال بعُشر أعشارها.

فأما القسم الأول: فأكثرها مذكورة في مصباحي الشيخ الطوسي والكفعمي، وكتابي السمات والإقبال، لإبن طاوس في ضمن التعقيبات وأدعية الأسبوع وأعمال السنة وغيرها! والقسم الثاني: أيضاً منشورة في

عرض تلك الكتب وغيرها كالأدعية الخمسة عشر، والمناجات المعروفة بالإنجيلية، ودعاء كميل الخفي، وغيرها والصحيفة الكاملة جلها بل كلها في المقام الثاني ثم إن بعض تلك الأدعية يناسب حالة الخوف وبعضها حالة الرجاء، وبعضها للبلاء وبعضها للرخاء إلى غير ذلك من الأحوال المختلفة التي ترد على الإنسان فينبغي أن يقرأ الإنسان في كل حالة ما يناسبها من الأدعية مع التدبر في معانيها والبكاء والتضرع فيها! وأنت إذا سلكت هذا المسلك أيقنت أنه أقرب الطرق إلى الله تعالى وبه يحصل مقاصد الدنيا والآخرة.

ثم أعلم يا أخي أن النوافل اليومية، وصلاة الليل متممة للفرائض وهي من سُنن النبي ﷺ، لم يتركها إلى أن مضى من الدنيا فلا تتركها، وإن تركتها فاقضها حيث ما تيسرت، وعليك من الصوم بالخميس الأول، والآخر والأربعاء الأولى من العشر الأوسط فإنها أيضاً من سنته، وعليك في صلاة الليل بالدعوات والتضرع والبكاء، فإن هذا الوقت من الليل محل قرب العبد من الربّ وباب الدعاء والرحمة والمناجاة مفتوح والقلب مجتمع والعمل فيه أقرب من الخلوص كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المُزمّل: ٦] وعليك في ذلك الوقت بالدعاء لإخوانك المؤمنين تفصيلاً. فإنه أقضى لحاجتك وأنت مثاب فيه بمثلي ما طلبت لهم بل أضعافه!.

وعليك في تعقيب صلاة الفجر بالدعوات والأذكار المأثورة والمواظبة عليها، فإن تلك الساعة تُقسّم الأرزاق، وعليك بعد ذلك في مشيك وقيامك وقعودك بمداومة ذكر الله في جميع أحوالك وذكر «لا إله إلا الله،

وسبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر» فإنها أركان عرش العبادة والمعرفة.

ثم الصلاة على النبي ﷺ فإنها من أفضل الأعمال، ثم مواظبة قدر وافٍ من هذه الأذكار الأربعة الواردة في القرآن والأخبار. وهي: (ما شاء الله، لا قوة إلا بالله) للرزق وتيسير الأمور. و«حسبنا الله ونعم الوكيل» لدفع الخوف، من الأعادي والشدائد، و«لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» لدفع هموم الدنيا والآخرة وغمومهما، و«أفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد» لدفع كيد الأعداء.

وأقل ما تواظب عليه من الأذكار كل يوم أن تصلي على محمد وآل محمد كل يوم مائة مرة، وفي يوم الجمعة وليلتها ألف مرة، وأن تقول كل يوم ثلثمائة وستين مرة عدد عروق الجسد، (الحمد لله رب العالمين) على كل حال وإن قرأت ذلك عند كل صباح ومساء فهو أفضل، وقل في كل يوم (أستغفر الله) سبعين مرة (وأتوب إلى الله) سبعين مرة، وأكثر من الإستغفار فإنه يغفر الذنوب، ويزيد في الرزق، وفي الأولاد.

وإقراء كلاً من التسبيحات الأربع كل يوم مائة مرة وعقيب كل صلاة مجموع التسبيحات الأربع، وقل كل يوم مائة مرة (لا إله إلا الله الملك الحق المبين) وإن لم تقدر فثلاثين مرة، وقل كل يوم مائة مرة (لا حول ولا قوة إلا بالله)، وقل في كل يوم عشر مرات (أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلهاً واحداً أحداً صمداً لم يتخذ صاحبة ولا ولدا!).

وقل قبل طلوع الشمس وقبل غروبها عشر مرات (لا إله إلا الله له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير)، وعشر مرات (أعوذ بالله السميع العليم من همزات الشياطين

وأعوذ بالله أن يحضرون إن الله هو السميع العليم) فأنه قد ورد في الأخبار أنهما سنتان واجبتان وإن نسيتهما في وقتيهما فاقضهما. وقل مائة مرة بعد صلاة المغرب والغداة (بسم الله الرحمن الرحيم لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) وإن لم تقدر فسبع مرات فإنها أمان من سبعين نوعاً من البلاء، وأكثر من قراءة سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر: ١] فإن قدرت أن تقرأ إنا أنزلناه في كل يوم مائة مرة فافعل، واقرء آية الكرسي وشهد الله، وقل اللهم، وسورة الحمد (وقل هو الله أحد) بعد كل صلاة.

وقد ورد على جميع ما ذكرت تلك صحاح الأخبار، ولا تشك إن كنت مؤمناً بأهل بيت نبيك إنها أفضل من الأوراد القبيحة التي ألفّها حثالة الجاهلين المبتدعين من أهل الخلاف والتاركين للإقتداء بأهل البيت. وعليك بصلاة جعفر بن أبي طالب وأقلها كل أسبوع مرة، وعند الشدائد فإنها مجربة لقضاء الحوائج.

وعليك بتحصيل كتب الدعاء وأعمال الأعمال المختصة بالأيام والليالي فإن لكل منها تأثيراً خاصاً في التقرب إلى الله تعالى.

وإياك وإتباع الأعمال التي لم ترها في الكتب المعتبرة من أخبار الشيعة فإنه قال رسول الله ﷺ: «قليل في سُنّة خير من كثير في بدعة» وعليك بقلة الأكل والنوم، لا ترك الحيواني أو شيء مما أنعم الله تعالى به عليك، ولا بحيث يجف بدنك ولا يقدر على العمل فإن البدن مطيتك وتحتاج إلى تقويتها للأعمال الكثيرة، وعليك بالسعي في حلية مأكلك وملبسك وبعدهما عن الشبهات بل جميع ما تصرفه لنفسك أو في وجوه البر!

وعليك بقلة مصاحبة الفاسقين الظالمين فإن لصحبتهم تأثيراً عظيماً في قساوة القلب، وبعدك عن الله تعالى إلا أن تجد من نفسك أن غرضك هدايتهم أو دفع ظلم من مظلوم، أو كنت تتقي منهم.

وعليك أن تختار من تجالسه وتصحبه، يكون معيناً لك إلى آخرتك ولا تصحب كل من تراه، فأن صحبة أكثر أهل زمانك تضر بدينك ودنياك! قال الحواريون لعيسى: يا روح الله من نجالس؟ قال: «من يذكركم الله رؤيته، ويزيدكم في العلم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله».

وينبغي أن تسكت عمّا لا يعنيك، ولا تتكلم في الحلال والحرام بغير علم، فإن المفتي على شفير جهنم. وقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾ [يونس: ٦٩] وأيضاً قال: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ [الزُّمَر: ٦٠] وينبغي أن تغتنم صحبة العلماء الربانيين وتأخذ عنهم معالم دينك وتلاقي الزاهدين والمتعبدين كثيراً.

وإياك أن تظن بالمؤمنين إلا خيراً، وعليك أن تحمل كل ما ترى منهم على المحامل الصحيحة الحسنة، وعليك بذكر الله عند البلايا فتصبر عليهما وعند النعم فتشكر ربك فيها، وعند الطاعة فتعملها وعند المعصية فتتركها مخافة الله عزّوجلّ وعليك بمطالعة الأخبار الواردة في صفات المؤمنين والمتقين خصوصاً خطبة أمير المؤمنين، التي ألقاها على همام وقد كتب والدي العلامة قدس الله روحه عليها شرحاً جامعاً فعليك بمطالعته»[1].

---

(١) راجع «عقائد الإسلام» للعلامة المجلسي.

وصية الشيخ الحرّ العاملي

نبذة عن حياة الوصي

ولد سنة ١٠٣٣ وتوفي سنة ١١٠٤.

قال في «أمل الآمل»: هو الشيخ محمد بن الحسن بن علي بن محمد بن الحسين الحر العاملي المشغري، مؤلف هذا الكتاب.

كان مولده في قرية مشغرة ليلة الجمعة ثامن رجب سنة ١٠٣٣ قرأ بها على أبيه وعمه الشيخ محمد الحر وجده لأمه الشيخ عبد السلام بن محمد الحر وخال أبيه الشيخ علي بين محمود وغيرهم. وقرأ في قرية جبع على عمه أيضاً وعلى الشيخ زين الدين بن محمد بن الحسن بن زين الدين وعلى الشيخ حسين الظهيري وغيرهم.

وأقام في البلاد أربعين سنة وحج فيها مرتين، ثم سافر إلى العراق فزار الأئمة عليهم السلام ثم زار الرضا عليه السلام بطوس واتفق مجاورته بها إلى هذا الوقت مدة أربع وعشرين سنة وحج فيها أيضاً مرتين وزار أئمة العراق أيضاً مرتين.

له كتب منها: كتاب الجواهر السنية في الأحاديث القدسية: وهو أول ما ألّفه، ولم يجمعها أحد قبله.

والصحيفة الثانية: من أدعية علي بن الحسين عليه السلام الخارجة عن الصحيفة الكاملة.

وكتاب تفصيل وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: ست مجلدات تشتمل على جميع أحاديث الأحكام الشرعية الموجودة في الكتب الأربعة وسائر الكتب المعتمدة، أكثر من سبعين كتاباً، مع ذكر الأسانيد وأسماء الكتب، وحسب الترتيب، وذكر وجوه الجمع مع الاختصار، وكون كل مسألة لها باب على حدة بقدر الإمكان.

وكتاب هداية الأمة إلى أحكام الأئمة: ثلاث مجلدات صغيرة منتخبة من ذلك الكتاب مع حذف الأسانيد والمكروهات، وكون كل مطلب منه اثني عشر من أول الفقه إلى آخره.

وكتاب فهرست وسائل الشيعة: يشتمل على عنوان الأبواب وعدد أحاديث كل باب، ومضمون الأحاديث، مجلد واحد، ولاشتماله على جميع ما روي من فتاواهم عليهم السلام، سماه كتاب من لا يحضره الإمام.

وكتاب الفوائد الطوسية: خرج منه مجلد يشتمل على مائة فائدة في مطالب متفرقة.

وكتاب إثبات الهداة بالنصوص والمعجزات: مجلدان يشتمل على أكثر من عشرين ألف حديث، وأسانيد تقارب سبعين ألف سند، منقولة من جميع كتب الخاصة والعامة، مع حسن الترتيب والتهذيب واجتناب التكرار بحسب الإمكان والتصريح بأسماء الكتب الخ..

وله هذا الكتاب، وهو كتاب أمل الآمل في علماء جبل عامل وفيه أسماء علمائنا المتأخرين أيضاً.

وله رسالة في الرجعة سمّاها الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة: وفيها اثنا عشر باباً تشتمل على أكثر من ستمائة حديث وأربع وستين آية من القرآن وأدلة كثيرة وعبارات المتقدمين والمتأخرين وجواب الشبهات وغير ذلك.

ورسالة في الرد على الصوفية: تشتمل على اثني عشر باباً وإثني عشر فضلاً فيها نحو ألف حديث في الرد عليهم عموماً وخصوصاً في كل ما اختصوا به.

ورسالة في خلق الكافر وما يناسبه.

ورسالة في تسمية المهدي عليه السلام سمّاها كشف التعمية في حكم التسمية.

ورسالة الجمعة: في جواب من ردّ أدلة الشهيد الثاني في رسالته في الجمعة.

ورسالة في الإجماع سمّاها نزهة الأسماع في حكم الإجماع.

ورسالة تواتر القرآن.

ورسالة الرجال.

ورسالة أحوال الصحابة.

ورسالة في تنزيه المعصوم عن السهو والنسيان.

ورسالة في الواجبات والمحرمات المنصوصة من أول الفقه إلى آخره في نهاية الاختصار سمّاها: بداية الهداية وقال في آخرها: فصارت الواجبات ألفاً وخمسمائة وخمسة وثلاثين، والمحرمات ألفاً وأربعمائة وثمانية وأربعين.

وكتاب الفصول المهمة في أصول الأئمة عليهم السلام: تشتمل على القواعد الكلية المنصوصة في أصول الدين وأصول الفقه وفروع الفقه وفي الطب ونوادر الكليات وفيه أكثر من ألف باب يفتح من كل باب ألف.

وله إجازات متعددة للمعاصرين، مطوّلات ومختصرات، ورسالة في أحواله ورسالة في الوصية لولده.

وله ديوان شعر يقارب عشرين ألف بيت أكثره في مدح النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة عليهم السلام وفيه منظومة في المواريث ومنظومة في الزكاة ومنظومة في الهندسة ومنظومة في تاريخ النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

الوصية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وبه نستعين..

الحمد لله على جزيل نواله، والصلاة والسلام على محمد وآله.

أما بعد، فهذه وصية لطيفة وموعظة شريفة ونصائح نافعة وفوائد جامعة ألّفها الفقير محمد بن الحسن الحر العاملي لولده محمد رضا الحر عند فراقه إياه متوجهاً إلى زيارة حجج الله عليهم السلام وفقه الله لمراضيه، وجعل مستقبله خيراً من ماضيه، فينبغي له بل يجب عليه تدبر معانيها والعمل بما فيها، فكلها مما يهدي إليه صحيح العقل ويدل عليه صريح النقل، فأقول:

أوصيك أيها الولد السعيد وفقك الله:

أولاً: بالإخلاص في جميع العبادات، وأهمها: طلب العلم وتعلمه

وتعليمه، فينبغي أن يكون قصدك بجميع تلك الأقسام رضاء الله والتقرب إليه وطاعته وامتثال أمره، وإياك والرياء، فإن الرياء شرك بالله، فلا تقصد بشيء من ذلك رضاء أحد من الناس، ولا تحصيل شيء من النفع الدنيوي، وتفكّر في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾ [الشّورى: ٢٠].

واعلم أن الناس لا خير فيهم يعتد به، فأقبل بقلبك على الله، فقد روي: «من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء».

والأحاديث في مدح الإخلاص وذم الرياء أكثر من أن تحصى ودلالة العقل والاعتبار مؤيدة لتلك الأخبار.

وثانياً: ببذل الجهد في العبادات، من تعلم العلوم الشرعية وتعليمها وكثرة المطالعة والحفظ والتفهيم، ومذاكرة العلماء ومجالستهم وسؤالهم، والمواضبة على الصلاة الواجبة في أوّل أوقاتها والمندوبة من النوافل المرتبة وغيرها، وخصوصاً صلاة الليل، وصلاة جعفر، وتلاوة القرآن وكثرة الدعاء، وذكر الله من التهليل والتحميد والتسبيح والتكبير والإستغفار، والصلاة على محمد وآله، والتوبة، والصوم الواجب والمندوب، والتصدق وإطعام الطعام، وسقي الماء والزيارات وعيادة المريض، وتشييع الجنازة، وزيارة المؤمنين وقضاء حوائجهم، وإدخال السرور عليهم، وفعل المعروف، وجهاد النفس، ومنعها من المحرمات والمكروهات وتضييع الأوقات، وأمرها بصرف جميع الحركات والسكنات إلى أنواع العلم والعبادات.

وثالثاً: بالإعتقاد والاهتمام بالعلوم النافعة المأمور بها وهي: النحو والصرف والمعاني والبيان واللغة والفقه والحديث والتفسير. فعليك بتعلمها وتعليمها، ومطالعة كتبها وحفظ مسائلها وقواعدها، فإنها تشتمل على جميع ما يُحتاج إليه من المطالب الدينية وأكثر العلوم المشهورة سوى ما ذكر من المستحدثات والمخترعات، وما وصل في زمان المأمون إلى المسلمين من علوم الحكماء والفلاسفة المتقدمين. وفي العلوم السابقة، خصوصاً علم الحديث، ما يغني عنها بل هو أوثق منها فقد اشتملت أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام على جميع ما يحتاج إليه الناس، بل على ما يزيد على قدر الحاجة والكفاية من الأدلة العقلية والنقلية والمطالب الدينية والدنيوية.

عليك بكثرة تتبع كتب الحديث، وقد أجزت لك روايتها عني بالطرق المعروفة، وقد ذكرت بعضها في آخر وسائل الشيعة، وباقيها في كتب الرجال والإجازات، وفي كتب العلم المذكورة فوائد وأدلة موافقة للأحاديث، فهي مؤيدة لها، فتصلح حجة ودليلاً إلزامياً لأهل الباطل ولعل ذلك مطلب مؤلفيها منها، ولكن فيها شبهات وتمويهات وتدليسات وتلبيسات ينبغي بل يجب الحذر منها والاحتراز عنها.

ورابعاً: بحسن العشرة للناس، فإنه لا بد من الاختلاط بجماعة كثيرين لأن الإنسان مدني بالطبع لا يمكن أن يعيش وحده، بل يحتاج إلى مساعدين ومعاونين، فينبغي عشرتهم بحسن الخلق، وحلاوة اللسان، والإكرام والإحسان والعفو عن المسيء، ومداراة الصغار، وأداء الحقوق والمكافآت على المعروف، والشفقة على الإخوان، واجتناب سوء الخلق وخبث اللسان، فقد روي في الحديث: «من خاف الناس لسانه فهو من أهل النار. وروي: «شر الناس من أكرمه الناس اتقاء شره».

وينبغي أن تحب للناس ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك وتكف الأذى عن الناس ولا تؤذهم بيدٍ ولا لسان، ولتكن همتك في المعروف والإحسان لا في الأذى والظلم.

وخامساً: بحفظ النفقة ومعرفة وجوه الإنفاق، وليكن من غير إسراف ولا تقتير ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٩] ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾ [الفرقان: ٦٧].

وينبغي التقدير والاختصار، واجتناب التقتير والتبذير فإن المبذرين كانوا إخوان الشياطين. و ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا ۚ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧]، وفي الحديث: «ضمنت لمن اقتصد أن لا يفتقر»، والبخل شر من الأشرار.

وسادساً: بتدبر العواقب، فلا تفعل شيئاً بغير تأمل، ولا تقل شيئاً بغير فكر وتدبر، وعليك بالإستشارة والإستخارة عند الأمور المهمة التي يخشى من عواقبها، من لم يستشر يندم. وعليك بالتوكل على الله وإياك الإفراط في الحذر فإنه يدعو إلى الجبن.

وفي الحديث: «قرنت الهيبة بالخيبة والحياء بالحرمان».

واصرف العزم والهمة إلى الأمور المهمة، ففي الحديث: «ما ضعف بدن عما قويت عليه النية».

وروي: «من طلب شيئاً وجدّ وجد. ومن قرع باباً ولجّ ولج».

والإفراط والتفريط في كل شيء مذمومان وخير الأمور أوسطها.

وسابعاً: بملازمة الأوراد والأدعية المأثورة، وكثرة مطالعة كتب العبادات والدعاء وحفظ أكثر الأدعية والمواظبة عليها، وخصوصاً الأدعية المختصرة وسائر أدعية الصباح والمساء، وتعقيبات الصلاة وأدعية المهمات ودفع المخاوف، وينبغي الاعتناء والاهتمام بالدعاء فإنه وسيلة عظيمة، بل هو أقوى الوسائل إلى حصول المطالب، فليطلب الإنسان كل ما يريده من الله وليتوكل عليه، وليسعَ به وليحسن ظنه بربه فإن ذلك أنفق الأشياء. وليغتنم الدعاء وطلب الحوائج من الله في الأوقات الشريفة كشهر رمضان وليلة الجمعة ويومها ويوم الغدير، وفي المشاهد المشرفة خصوصاً مشهد الحسين عليه السلام فإن الله عوضه من قتله أن جعل الشفاء في تربته وإجابة الدعاء تحت قبته والأئمة التسعة من ذريته، وأن لا تعدّ أيام زائريه من أعمارهم. وينبغي أن يكون الإنسان الطالب من الله. والإلحاح في الدعاء فإنه أقرب إلى الإجابة.

وثامناً: بالصبر على البلاء والرضا بالقضاء والقدر، فقد روي الصبر[1].

ولا بد من إنكشاف البلاء والشدة فإن الله مع الصابرين. ومدح الصبر وذم الجزع في الأخبار المتواترة.

وتاسعاً: ببذل الجهد في جهاد النفس، ودفع وساوس الشيطان عنها وصرف الأفكار الفاسدة والهموم الدنيوية عن القلب بقدر الإمكان والتوجه إلى الآخرة ومهمات الدنيا الضرورية المأمور بها شرعاً، وجهاد النفس واجب فإن النفس لأمّارة بالسوء، فإنها تميل إلى البطالة والراحة وتضييع

---

(١) هكذا في الأصل.

العمر والاشتغال بالشهوات الدنيوية واللذات البدنية والأمور السخيفة الدنيوية فيجب متابعة الشرع والعقل ومخالفة الهوى والنفس ففي ذلك الفوز في الدنيا والآخرة، ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ [النازعات: ٤٠-٤١].

وعاشراً: بصرف جميع الحركات والسكنات إلى قصد القربة والعبادة، فتقصد بالأكل دفع ضرر الجوع، وحفظ صحة البدن، وتحصيل القوة للعلم والعبادات، ونحو ذلك الشرب والنوم وسائر الحركات والسكنات، فإن الأعمال بالنيات.

وعليك يا بني بالرجوع إلى وصايا النبي والأئمة عليهم السلام والعمل بما فيها.

وفقك الله تعالى لذلك بمحمد وآله الطاهرين.

إنتهى كلام الشيخ الحر (قده)

كتبه العبد المذنب الجاني الفقير إلى الله السبحان: إبن محمد محسن علي أكبر الأردبيلي عفي عنهما، آمين يا رب العالمين، في سنة ١٣٠٩[1].

---

(١) نقلاً عن مجلة «الغدير».

وصية الشيخ الأنصاري (قُدّس سره)

تعريف بالشيخ الأنصاري

هو الشيخ مرتضى الأنصاري، وهو من كبار الفقهاء الذين تركوا أثراً كبيراً في الحوزات العلمية، فكتبه محور التدريس والاجتهاد في الدراسات العليا، وقد قال عنه السيد الخميني: «هو تالي العصمة وفقيه الأمة».

ولشخصيته عدة أبعاد: أبرزها الجانب الفقهي، إلا أنه كان من الجهة العرفانية والأخلاقية على درجة عالية أيضاً، يشير إلى ذلك كلام السيد علي الشوشتري - الذي هو أحد أقطاب مدرسة العرفان - والذي كان صديقاً حميماً للشيخ الأنصاري فقد صلّى السيد على جنازة الشيخ وقال: «بكائي على تلك الأشياء التي كانت في صدر الشيخ ولم يجد أحداً يودعها».

وكان رحمه الله مواظباً على العبادات والنوافل والأدعية والتعقيبات كما كان يواظب على قراءة جزء من القرآن الكريم، وصلاة جعفر الطيار، والزيارة الجامعة، وزيارة عاشوراء.

وكان رحمه الله يعشق الصلاة فيُحكى أنه كان راجعاً إلى بيته في يوم شديد الحرّ وكان الشيخ ظمأناً، فذهب عياله ليأتوا له بالماء من داخل السرداب فتأخروا فقال الشيخ في نفسه: حيث لا عمل لي لأصلي ركعتين

إلى أن يأتوا بالماء وهكذا بدأ الصلاة وفي تلك الحال استولت عليه حالة وجدانية قصار يقرأ إحدى سور القرآن الطوال.

وصيته

أ - لا يترك الطالب القراءة والمطالعة مهما كانت الظروف. ينقل الشيخ محمد جواد مغنية في كتاب «مع علماء النجف» حكاية حول هذه النصيحة: رآه طالب مبتدىء في الحضرة الشريفة ليلة القدر، فسأله: أي العبادات أفضل في هذه الليلة المباركة؟ فقال الشيخ: في أي كتاب تقرأ؟ فقال الطالب: في ألفية ابن مالك فقال الشيخ: أفضل الأعمال أن تعود إلى غرفتك وتطالع الألفية حتى يأخذك النعاس.

ب - باحثوا (الرياض) فإنه يورث الاجتهاد.

ج - إقرأوا الدرس وتقدموا في العلم، سواء كان عندكم قصد القربة أم لم يكن. وربما يتعجب البعض من هذا ويثير لديه التساؤل، لكن هذا التعجب والتساؤل يزولان بعد روايته حديث «اطلبوا العلم ولو لغير الله، فإنه يهديكم إلى الله».

د - اعطوا الحرية باختيار العمل لابنائكم، وعندما لا يرغب أحدهم أن يكمل دراسته لا تجبروه على ذلك، لأنّ الدراسة والتتبع تحتاج إلى رغبة تامة وشوق وافر للدرس.

هـ - ارسلوا بناتكم إلى مكاتب الدرس حتى يتعلّمن قراءة القرآن والكتب المفيدة وهذه المقولة قالها الشيخ في وقت لم يكن التعلّم والقراءة معيباً ومرفوضاً للنساء فقط، بل أن أكثر الرجال كانوا أُميين، لا يعرفون القراءة والكتابة.

و - أقيموا صلاة الجماعة قربة لا غيرها.

ز - لا تدخلوا في مؤسسات الحكّام الطواغيت، سواء كان قربة أم لم يكن.

ح - عوّدوا أبناءكم على الحياة البسيطة والاقتصاد، حتى يتمكنوا من تحمّل مشقة الحياة الصعبة في مستقبل حياتهم[١].

---

(١) نقلاً عن مجلة الفكر الإسلامي.

وصية الشيخ عبد الله المامقاني (قدّس سره)

موجز عن حياة الموصي

هو الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد حسن المامقاني، وُلد في النجف الأشرف عام ١٣٥١هـ وتوفي عام ١٤٣٣هـ.

كان عالماً فقيهاً تقياً ورعاً، له مؤلفات عديدة أهمها:

١ - مقباس الهداية. ٢ - نهاية المقال. ٣ - مناهج المتقين. ٤ - تنقيح المقال. ٥ - مرآة الكمال. ٦ - مرآة الرشاد في الوصية للأحبة والأولاد.

الوصية

طبعت الوصية في كتاب يعرف باسم «مرآة الرشاد» ومما جاء فيها:

١ - محاسبة النفس في كل ليلة

قال رحمه الله: «فعليك - بنيّ - رزقك الله تعالى خير الدارين - بأن تحاسب نفسك قبل أن تُحاسب، فكما يحاسب التاجر مع عامله حتى يعلم ما فعل في يومه، فحاسب نفسك في كل ليلة قبل النوم حتى تعلم ما فعلت فيها في النهار المتقدم عليها.

فإن رأيت منها تقصيراً بفعل معصية أو ترك طاعة فاستغفر منه وتب وتضرع إلى الله تعالى في العفو عنه، واجبر الفائت بالقضاء والاستغفار.

وإن رأيت منها فتوراً وبطالة وغفلة وإضاعة لرأس المال، فأدّبها بسوط النصيحة والموعظة، وألزمها طرق الطاعة، ثم راقبها كالتاجر حتى لا تُضيّع أوقاتها بالغفلة، ولا تبيع عمرها بثمن بخس أو خسارة.

وإن رأيت منها معاملة حسنة ومداقة تامة في صرف أوقاتها، فاشكر الله تعالى على ذلك، واطلب منه تعالى أن يزيدها توفيقاً وهدى، وقد ورد عنهم عليهم السلام: «انَّه ليس منْ شيعتنا من لم يحاسب نفسه كل يوم، فإن عمل حسنة استزاد الله، وإن عمل سيئة استغفر الله منها وتاب».

ونُقل عن بعض أهل المعرفة أنَّه كان يضع عنده قلماً وقرطاساً وكان يكتب كلَّما يقوله ويفعله من أول اليوم إلى وقت النوم في الليل، ثم ينظر فيه، فما كان من الطاعات يشكر الله تعالى على أن وُفّق لها، وما كان من القبائح يستغفر الله تعالى منه.

وعن صحف إبراهيم عليه السلام: «إنّ على العاقل - ما لم يكن مغلوباً على عقله - أن يكون له أربع ساعات: ساعة يناجي فيها ربّه، وساعة يُحاسب فيها نفسه، وساعة فيها يتفكَّر فيما صنع الله تعالى إليه، وساعة يخلو فيها بحظ نفسه من الحلال. فإنَّ هذه الساعة عون لتلك الساعات واستجمام للقلوب بها».

٢ - مراقبة النفس

وقال رحمه الله: «فعليك بُنيّ بها، بملاحظة حضور الرب واطلاعه عليك في كل حالاتك، وحركاتك، وأفعالك، وأقوالك، وأنفاسك، وخطراتك

وخطواتك ولحظاتك، فآثر ما آثره الله سبحانه، واختر ما اختاره الله تعالى، وقد حُكى أنَّ لقمان قال لابنه: «يا بنيّ، إذا راقبت الله تعالى لم تُقدم على معصية أبداً»، لأنَّه بمجرد التفاتك إلى أنَّه يراك ويطّلع عليك يمنعك الحياء من مخالفته.

٣ - التفكُّر

وقال رحمه الله: «فأوصيك بُنيّ به، فإنَّه من أعظم أسباب تنبّه النفس وصفاء القلب، وله مدخل عظيم في رفع الكدورات، وكسر الشهوات، والتجافي عن دار الغرور، والتوجه إلى دار الخلود والسرور، وانَّه رأس العبادات ورئيسها، ولُبّ الطاعات وروحها، وقد ورد «أنَّ أفضل العبادة التفكُّر في الله تعالى وفي قدرته».

وعُلّل بأنَّ الفكر يوصل العبد إلى الله سبحانه، والعبادة توصله إلى ثواب الله عزّوجلّ، والذي يوصل إليه تعالى خير ممَّا يوصل إلى ثوابه، وبأنَّ الفكر عمل القلب، والعبادة عمل الجوارح، والقلب أشرف من سائر الجوارح، فعمله يقتضي أن يكون أشرف من عمل سائر الجوارح.

وورد «أن تفكّر ساعة خير من عبادة سنة» أو «ستين سنة» أو «سبعين سنة» على اختلاف الروايات المحمول على اختلاف مراتب التفكُّر.

وإنَّ من التفكُّر ما يُنجي الإنسان من النار، كما نجى «الحرّ بن يزيد الرياحي» بتفكّر ساعة، ولو كان قد تعبّد سنة، بل - سنين - لم تكن عبادته تنفعه مع ما كان عليه، لكن تفكّر ساعة نفعه ونجاه، ولذا جُعل تفكر ساعة خيراً من عبادة سبعين سنة. وورد أنَّه «ليست العبادة كثرة الصلاة والصوم، وإنّما العبادة التفكُّر في الله سبحانه».

فعليك بنيّ بالتفكُّر تارة في حال الماضين، وأنَّهم من أين جاءوا؟ وإلى أين ذهبوا؟ وما صحبوا؟ ولمنْ تركوا؟ وبما اشتغلوا؟ وكيف عن دنياهم انقطعوا؟ وعن نعيمها حُرموا، ومنْ كان لا يطأ التراب برجله، وكان ينام على الديباج والحرير، ويمشي على الأرض مرحاً، كيف فارق المال؟ وترك العيال والأطفال، والقصور والديار، والخدم والحشم، ولبس الكفن، ووضع خده اللطيف النظيف على التراب، وصاحَبَ الدود والحيات، وسكن القبر المظلم وحيداً فريداً؟.

وأخرى في أنَّ الموت يأتي بغتة، وله ساعة إذا جاءت لا يستأخرون عنها دقيقة، ولا يُمهَلون بدقيقة أخرى عند حضورها، فكنُ منه في كل آن على حذر، وحضِّر له نفسك قبل أن يخرج الأمر من يدك، ولا تتساهل في التهيؤ له بالتوبة والعمل، ولا تكن من الموت في غفلة، وكم من أُناس أدركهم الموت بغتة، لم يكن لهم لذكر الله سبحانه والاستغفار مهلة. فاحذر من أن تكون كذلك فتكون من أهل الحسرة والندم على تأخير التوبة والإنابة، وقول: ﴿رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩-١٠٠].

وثالثة: في أنَّ الدنيا ليست إلاَّ دار عناء وتعب ومشقة ومحنة ونصب، وان صفوتها ممزوجة بكدورة، وراحتها مقرونة بعناء، وأنَّ الله لم يخلق فيها الراحة، كما قال تعالى في الحديث القدسي: «إنَّ عبادي يطلبون منِّي شيئاً لم أخلقه وهو الراحة في الدُّنيا، ويدعون طلب ما خلقته وهو النعيم المقيم».

فإنَّك - بنيّ - إذا تفكَّرت في ذلك هان عليك ما تلقاه من شدة، ورغبت في عمل الآخرة، والتفتّ إلى أنَّه إذا كان لا بد في الدنيا من التعب والمشقة، فتحمل المشقة للنعيم الدائم أولى وأهون.

ورابعة: فيما تستقبله قريباً من عوالم ما بعد الموت من القبر والبرزخ، والحشر والنشر، وتطاير الكتب، وتجسم الأعمال، والعقائد والحساب، والصراط والميزان، وما أعدّ الله للمتّقين والمجرمين من الجنَّة وأنواع نعيمها، والنار وأقسام عذابها.

وخامسة: في أنَّه لا ينفع من مالك إلاَّ ما قدمت صرفه في سبيل الله تعالى، وأنَّك لا تصحب شيئاً منه إلاَّ مقدار كفنك، وأنّ ولدك وعيالك وأطفالك وأحبّاءك وأقاربك لا ينفعوك إلاَّ باضجاعك في حفرتك، وتسليمك إلى عملك، وان ما ينفعك إنَّما هو ما عملته لوجه الله سبحانه، فإنَّه يصاحبك ولا يفارقك.

فإنَّك إذا تفكَّرت من الجهات المذكورة، أكثرت من الأعمال الحسنة، وأخلصت فيها النية، ونجوت من الهلكة، وقدّمت لغدك قبل أن يخرج الأمر من يدك، وقد ورد أنَّ «أفضل الزهد في الدنيا ذكر الموت، وأفضل العبادة ذكر الموت، وأفضل التفكُّر فكر الموت».

ومن غفل عن ذكر الموت صرف عمره فيما لا يعنيه، ومنْ لازم ذكر الموت صرف عمره فيما ينفعه، وانه لأحسن واعظ، وأسرع زاجر، وكفى بذكر الموت حسناً، انه يهون الضيق والعسر على منْ ابتلي به، ويقيم الغني على الجود بماله الموجب للأجر، ويثبط العبد عن الاشتغال بما لا ينفعه، ولقد أجاد منْ قال: إنَّه مُهوّن للمصاب، ومرغب فيما ينفع يوم الحساب، وملزم للتوبة قبل الموت، والتدارك قبل الفوت، وقاطع للأمل، ومانع من الفرح بـ«ليت ولعلّ».

٤ - التوسل بالنبي والأئمة عليهم السلام

وقال رحمه الله : «**وعليك بنيّ** بالتوسل بالنبي وآله صلَّى الله عليهم أجمعين، فإنِّي قد استقصيت الأخبار فوجدت أنَّه ما تاب الله على نبي من أنبيائه ممَّا صدر منه من الزلة إلاَّ بالتوسل بهم.

وقد ورد أنَّ «الله تعالى لما خلق آدم عليه السلام نقل أشباح محمَّد وآله المعصومين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين من ذروة العرش إلى ظهره، وكان أمره الملائكة بالسجود لآدم عليه السلام إذ كان وعاء تلك الأشباح، فكان سجودهم عبودية له تعالى، وتعظيماً لمحمد وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين وطاعة لآدم عليه السلام، وأنَّه قال الله لآدم عليه السلام لما سأله عنهم: ان هؤلاء خيار خليقتي، وكرام بريّتي، بهم آخذ، وبهم أعطي، وبهم أُعاقب، وبهم أثيب، ، فتوسل بهم يا آدم، وإذا دهتك داهية فاجعلهم لي شفعاءك، فإنِّي آليت على نفسي قسماً حقاً أن لا أخيّب بهم آملاً، ولا أرد بهم سائلاً»، فلذلك حين زلّت منه الخطيئة دعا الله عزّ وجلّ بهم فتاب تعالى عليه وغفر له.

وكذلك من بعده يعقوب، ويوسف، وغيرهما لم ينج منهم ناجٍ إلاَّ بالتوسل بهؤلاء الأطهار صلوات الله عليهم أجمعين.

٥ - العلاقة بسيد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام

وقال رحمه الله : «**وعليك بنيّ** بإقامة عزاء أبي عبد الله عليه السلام في كل يوم وليلة حسب مقدورك، حتى أنَّه إن لم يتيسر لك مؤونتها. ولم تقدر إلاَّ على قراءة كتاب التعزية لعيالك في اليوم والليلة مرة فافعل، فإنَّه عزيز الله تعالى، لوصوله في الإطاعة إلى درجة تفرّد بها، فبذل نفسه وماله وعياله كلها في سبيله تعالى، وفي التوسل به خير الدارين، وفوز النشأتين.

وعليك بنيّ بزيارته عليه السلام في كل يوم من البعد مرة، والمضي إليه في كل شهر مرَّة، ولا أقل من زيارته في الوقفات السبع[١] وإن كنت في بلدة بعيدة ففي السنة مرَّة، فإنَّ منْ لاحظ الأخبار وواظب على ما ذكرت، ورأى ما رأيته من الآثار، لم يترك ما ذكرته لك، ولقد شاهدت من زيارته، وإقامة عزائه عليه السلام كرامات تبهر العقول، وأقل ما وجدته منها أنَّه لم يتفق لي أني زرته إلاَّ ووجدت فرجاً من أمري، وسعة في رزقي، وما عند الله تعالى خير وأبقى.

٦ - الحث على إكرام الفقهاء

وقال رحمه الله : **وعليك بنيّ** بإكرام العاملين من الفقهاء رضوان الله عليهم، فإنَّهم أعلام الدين، وأُمناء الشرع المبين، وهم نُوَّاب ولي العصر عجَّل الله فرجه، وجعلنا من كل مكروه فداه، وهم هُداة الخلق.

وأمَّا منْ لم يعمل منهم بما علم، ففرَّ منه فرارك من الأسد، فإنَّه ليس بعالم بنصّ الإمام عليه السلام ، وأنَّه أضر على هذا الدين من جيش يزيد بن معاوية عليه اللعنة والهاوية.

٧ - وجوب إكرام الذرية الطاهرة

وقال رحمه الله : **وعليك بنيّ** بإكرام الذرية الطاهرة، ذرية علي وفاطمة صلوات الله عليهما وأنَّ مودتهم من الفرائض اللازمة، لأنَّها جُعلت - بنصّ الكتاب - أجر الرسالة المقدَّسة، فأكرمهم حدّ مقدورك تُرضي بذلك الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله ، وتكسب بذلك خير الدنيا والآخرة.

(١) وهي: ١ زيارة ليلة عاشوراء ويومها، ٢ زيارة الأربعين، ٣ أول يوم من رجب، ٤ النصف من رجب، ٥ النصف من شعبان، ٦ ليلة الفطر، ٧ يوم عرفة.

ولا تقصر إكرامك على خيارهم، لأنَّهم ليسوا كالفقهاء، يُسلب عنهم المنصب بعدم العمل. وإنَّما الثابت لهم النسب غير المنتفي بالعصيان، لا المنصب المنتفي بمخالفة الرَّحمان.

نعم، إن كان ترك إكرام العاصي منهم نهياً فعلياً له عن المنكر كان مقتضى القاعدة لزوم الترك من تلك الجهة، وإن كان ما نُقل من قضية أحمد بن إسحاق الأشعري مع الحسين ابن الحسن الفاطمي(١) يأبى عن ذلك أيضاً، فالأولى الإكرام صورة، والنهي في الخلوة.

ولا ألزمك بإكرام غير الفاطمي من الهاشميين - كالعقيلية والعباسية - لأنَّهم وإن كانوا شرفاء نسباً، إلاَّ إنَّ إكرامهم ومودتهم لم تُجعل أجر الرسالة، وكذلك لا ألزمك بإكرام داخل النسب، بل ينبغي الاجتناب من إكرامه عند تبيّن فساد نسبته، والتوقف عند الشبهة.

---

(١) رُوي انّ الحسين بن الحسن بن الحسين بن جعفر بن محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق عليه السلام، كان بقم يشرب علانية، فقصد يوماً لحاجة إلى أحمد بن اسحاق الأشعري، وكان وكيلاً في الأوقاف بقم، فلم يأذن له، فرجع إلى بيته مهموماً، فتوجّه أحمد بن إسحاق إلى الحج، فلمّا بلغ - سرّ مَن رأى - سامراء استأذن على أبي محمد العسكري عليه السلام فلم يأذن له، فرجع إلى بيته مهموماً، فتوجه أحمد بن دخل قال: يابن رسول الله لم منعتني الدخول عليك وأنا من شيعتك ومواليك؟ قال عليه السلام: لأنك طردت ابن عمنا عن بابك. فبكى أحمد وحلف بالله أنّه لم يمنعه من الدخول عليه إلّا لأن يتوب من شرب الخمر قال عليه السلام: صدقت، ولكن لا بد من إكرامهم واحترامهم على كل حال، وأن لا تحقرهم ولا تستهين بهم، لانتسابهم إلينا فتكون من الخاسرين. فلمّا رجع أحمد إلى قم أتاه أشرافهم وكان الحسين معهم. فلمّا رآه أحمد وثب إليه واستقبله وأكرمه وأجلسه في صدر المجلس، فاستغرب الحسين ذلك واستبعده، وسأله عن سببه. فذكر له ما جرى بينه وبين العسكري عليه السلام في ذلك، فلما سمع ذلك، ندم من أفعاله القبيحة وتاب، ورجع إلى بيته، وأهرق الخمر وكسر آلاتها وصار من الأتقياء المتورعين، والصلحاء المتعبدين، وكان ملازماً للمساجد ومعتكفاً فيها حتى أدركه الموت. (المستدرك، باب اصطناع المعروف إلى العلويين).

نعم، ألزمك بإكرام المنتسب شرعاً بالأم كالمنتسب بالأب، لأنَّ ابن البنت ابن حقيقة في جميع الآثار الشرعية، ولذا كان الحسنان عليهما السلام ابني رسول الله صلى الله عليه وآله حقيقة، خلافاً لعُمر، فكما أنَّهما ابناه صلى الله عليه وآله فكذا المنتسب اليوم بأمه إليه صلى الله عليه وآله ابنه حقيقة، وإن كان لا يحل له الخمس، لخصوص مرسل حماد بن عيسى عن العبد الصالح عليه السلام.

٨ - ذكر الله سبحانه دائماً

وعليك - بنيّ - بالإكثار من ذكر الله تعالى، فإنَّ ذكره جلَّ شأنه يُحيي القلب، ويُقرّب من الربّ، ويُكثر البركة، ويُنجي من الهلكة، ويُبعد الشيطان، ويُدني ملائكة الرحمن، ويُنزل الرحمة والسكينة، وقد قال: «إنَّ شيعتنا الذين إذا خلوا ذكروا الله كثيراً» وأنَّ «منْ أكثر ذكر الله أحبه» و«منْ ذكر الله كثيراً، كتب الله له براءتين، براءة من النار، وبراءة من النفاق» و«أظلّه الله في جنَّته» و«إنَّ أهل الجنَّة لا يندمون على شيء من أُمور الدنيا، إلاَّ على ساعة مرَّت بهم في الدنيا لم يذكروا الله فيها».

وإياك - بنيّ - أن تخلي مجلساً عن ذكر الله تعالى، فقد قال عليه السلام: «ما اجتمع في مجلس قوم ولم يذكروا الله تعالى ولم يذكرونا، إلاَّ كان ذلك المجلس حسرة ووبالاً عليهم».

وليس الغرض بالذكر، لقلقة اللّسان فقط، من دون توجه القلب. بل الذكر اللّساني مُقدّمة للذكر القلبي، فالأول بمنزلة الجسد، والثاني بمنزلة الروح، فالذكر القلبي وحده نافع دون اللّساني، وقد اتخذ الله تعالى إبراهيم خليلاً، لعدم غفلة قلبه عنه تعالى أبداً. وورد انّ الذكر الذي لا يسمعه الحفظة، يزيد على الذكر الذي يسمعونه سبعين ضعفاً.

أهم الأذكار

عليك - بنيّ - بكثرة الاستغفار، والمداومة في كل صبيحة مائة مرَّة «ما شاء الله، لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله، استغفر الله»، وبعشر مرَّات «سبحان الله، والحمد لله، ولا إلٰه إلاَّ الله، والله أكبر».

وإذا أردت أن تخرج من الدار، فأرسل حنكك، وقل عند الخروج «بسم الله وبالله آمنت بالله، ما شاء الله، لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله، توكلت على الله».

وإذا رأيت - بنيّ - شيئاً فلا تسأل عنه، فإنَّ لقمان لمّا رأى داود عليه السلام ينسج الدرع أراد أن يسأله، ثم منعته حكمته عن السؤال، فلما تمّمه داود عليه السلام لبسه وقال: نِعمَ الدرع للحرب، فقال لقمان: الصمت حكم وقليل فاعله.

وعليك - بنيّ - بالخلوة بالمستحبات، فإنَّها أبعد من الرياء.

واختر - بنيّ - عند الناس من الأذكار «لا إلٰه إلاَّ الله» لأنَّها مضافاً إلى ما ورد من أنَّه أفضل الأذكار، يمكن التستر به، لخلوه عن الحروف الشفوية، ولذا عبّروا عنه بالذكر الخفي، فيكون فضله بسبعين ضعفاً من الذكر الظاهر، والأذكار كثيرة، ولكل منها فائدة مذكورة في المفصلات فراجعها.

وعليك - بنيّ - بإكثار «لا إلٰه إلاَّ الله، لا حول ولا قوَّة إلاَّ بالله العلي العظيم، وصلَّىٰ الله على محمَّد وآله الطاهرين»، فإنَّ في ذلك تأثيراً عظيماً في طرد الشياطين وهلاكهم.

٩ - الدعاء

وقال ﵀: وعليك - بنيّ - بقراءة كل دعاء ولو في العمر مرَّة، والإتيان بكل عمل وارد ولو مرَّة، لأنَّ لكل عمل أجراً خاصاً، فينبغي أن تكون آتياً بها جميعاً حتى تنال بفضل الله سبحانه جميع أنواع مثوبات الله سبحانه، ولا تُحرم من شيء منها، ولقد أجاد من شبّه العادات والأدعية بالاثمار، فقال: «كما انَّك إذا دخلت بستاناً فيه أنواع الثمار تحب أن تذوق من كل منها، فكذا العبادات يترجح أن تفعل كلا منها ولو مرَّة».

١٠ - تلاوة القرآن

وقال ﵀: «وعليك - بنيّ - بقراءة القرآن المجيد كل يوم مقداراً، سيَّما في الأسحار مع التفكُّر في معانيه، والتأدب بما فيه، ومراجعة ما ورد عن الأئمة ﵈ في تفسيره فيما أشكل عليك فهمه منه».

١١ - الكون على طهارة

وقال: «وعليك - بنيّ - بالكون على الطهارة مهما أمكن، فإنَّها سلاح المؤمن لدفع الشيطان، وتمنع عذاب القبر، وتقضي الحاجة، وتزيد في العمر، والرزق، وتورث مزيد الجاه، وعلوّ المكان والرفعة، وصحة البدن، والفرح والنشاط، وتزيد في الحفظ والذهن.

وورد أنَّ الوضوء نصف الإيمان، وأنَّ المؤمن مُعقِّب ما دام على وضوء، ومنْ مات على طهارة مات شهيداً، ومنْ بات على طهور كان كأنّما أحيى الليل، ومنْ تطهّر وآوى إلى فراشه بات وفراشه كمسجده، وروي أنّ روح المؤمن في نومه تروح إلى الله تعالى فيلقاها ويبارك عليها، فلا ينبغي أن ينام إلاّ على طهور.

١٢ - الاستعاذة من الوسواس

وعليك - بنيّ - عند وسوسة الشيطان بالاستعاذة بالله منه وبالبسملة، ثم قول «آمنت بالله ورسله مخلصاً له الدين» مع عقد القلب به.

١٣ - الصلاة أول الوقت

وعليك - بنيّ - بحفظ أول أوقات الفرائض، فإنَّه أفضل، وأبرأ للذمة، وأفرغ للبال، وأروح للبدن، وأجمع للفكر، وقد أُرسل أنَّه «لا يفلح عمل قبل الصلاة» فأدِّ - بُنيّ - الفريضة في أوَّل وقتها، واسترح من همّ تكليفها، يتّسع بذلك رزقك إن شاء الله تعالى.

١٤ - الالتزام بالنوافل

وعليك - بنيّ - بالالتزام بنوافل الليل والنهار جميعاً ولو مُخفَّفة، فإنَّها مكمّلة للفرائض، مضافاً إلى ما قضت به التجربة من مدخلية نوافل الليل في سعة الرزق، ونوافل الظهرين في التوفيق.

وإياك ثم إياك أن تتركها، زعماً منك منافاتها للاشتغال، فإنَّها مؤيّدة لا منافية، والعلم مقدمة للعمل، فلا وجه لترك ذي المقدمة بالتسويلات النفسانية.

وعليك - بنيّ - بالإتيان بالفرائض جماعة مهما أمكن بإمامة أو ايتمام، فإنَّ فضلها عظيم فلا تفوتك.

وعليك بالالتزام في إدبار الفرائض بتسبيح الزَّهراء سلام الله عليها، وسجدة الشكر.

١٥ - الدعاء عند الشدّة

وإن كنت - بنيّ - في شدة من جهة، فضع بقصد سجدة الشكر جبهتك على الأرض، وادع بما دعى به يوسف عليه السلام بتعليم جبرائيل إيَّاه في الجبّ فنجّاه الله تعالى منه، وهو «اللهم إني أسألك بأنّ لك الحمد، لا إله إلا أنت المنّان، بديع السماوات والأرض، ذو الجلال والإكرام، أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تجعل لي ممَّا أنا فيه فرجاً ومخرجاً وارزقني من حيث أحتسب، ومن حيث لا أحتسب، أسألك بمنّك العظيم، وإحسانك القديم».

ثم ضع خدك الأيمن وادع بالدعاء الذي دعا به يوسف عليه السلام فنجّاه الله من السجن، وهو «اللهم إن كانت ذنوبي قد أخلقت وجهي عندك فلن ترفع لي إليك صوتاً، ولن تستجيب لي دعوة، فإني أتوجه إليك بنبيك، نبي الرحمة محمد، وعلي وفاطمة والحسن والحسين والأئمة عليهم السلام إلاَّ ما فرّجت عني».

ثم ضع خدك الأيسر وادع بما دعا به يعقوب عليه السلام بتعليم جبرائيل عليه السلام إيَّاه، فردَّ الله عليه بصره وابنيه، وهو: «يا منْ لا يعلم أحد كيف هو، وحيث هو، وقدرته إلاَّ هو، يا من سدَّ الهواء بالسماء، وكبس الأرض على الماء، واختار لنفسه أحسن الأسماء، ائتني بروح منك، وفرج من عندك».

١٦ - الصوم في كل شهر

وعليك - بنيّ - بصوم أول خميس من كل شهر، وآخر خميس منه، وأول أربعاء من العشر الوسط، فإنَّه يعدل صوم الدهر.

١٧ - تلاوة التوحيد

وعليك - بنيّ - بقراءة ثلاث مرَّات سورة التوحيد في كل يوم وليلة فإنَّها تعدل ختم القرآن، ولذا افتخر سلمان رضوان الله عليه بصوم الدهر، وإحياء الليل، وختم القرآن، في كل يوم وليلة مرَّة، ونازعه عُمْر في ذلك، فاحتجّ عليه عند النبي ﷺ بصوم ثلاثة أيام من كل شهر، والنوم على طهارة، وقراءة التوحيد في كل يوم ثلاث مرَّات، وقرّره النبي ﷺ على ذلك وصدقه فيه.

وإذا كنت - بنيّ - صائماً ندباً، فدخلت على مؤمن، فسألك الأكل والشرب فأفطر عنده من دون أن تخبره بصيامك، وتَمُنَّ عليه بإفطارك، فإنَّك إن أفطرت عنده من دون إخباره، كتب الله عَزَّوَجَلَّ لك بذلك صيام سنة.

١٨ - مراجعة الأخبار والمواعظ

وعليك بنيّ بمراجعة الأخبار والمواعظ ساعة في كل يوم وليلة، فإنَّ لها تأثيراً غريباً في إحياء القلب، وحفظ النفس الأمَّارة من الطغيان.

١٩ - إياك وكثرة الطعام

وإياك بنيّ - حرسك الله تعالى من الشرور - الإفراط في الأكل، فإنَّ ذلك يورث الكسل، وقسوة القلب، وقد ورد أن أقرب ما يكون العبد إلى الشيطان حين يملأ بطنه، وما من شيء أبغض إلى الله سبحانه من بطن مملوءة، وليس شيء أضرّ على قلوب المؤمنين من كثرة الأكل، فابق ثلثاً للماء، وثلثاً للتنفُّس، وكُلْ بمقدار ثلث بطنك فإنَّه أخفّ لك، وأقوى لمزاجك وبدنك، ولا تزعم أنَّ القوة بكثرة الأكل، بل بجودة الهضم،

وجودة الهضم مع قلَّة الطعام لا كثرته، فإنَّ مثل المعدة مثل القدر، فكلَّما كان مكان ما فيه أوسع، كان طبخه أسرع وأحسن.

وإياك والأكل عند الشبع وعدم الاشتهاء، فإنَّ ذلك يورث التخمة التي هي أم الأمراض، والبرص والحماقة والبله.

٢٠ - إيّاك وكثرة النوم

وإياك وكثرة النوم، فإنَّها إفناء للعمر العزيز من غير حاصل، ليس غرضي من ذلك وما قبله العمل بالرياضات، بل أنهاك عنها، لأنَّها تعدم المزاج، سيَّما في الأمكنة التي لا يساعد هواؤها للمزاج، كهذه البلدة الطيِّبة ونحوها، بل غرضي بذلك الاقتصار على مقدار الحاجة، وترك ما زاد على ذلك[١].

---

(١) راجع «مرآة الرشاد».

وصية الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء

نبذة عن حياة الشيخ رحمه الله

هو الإمام الأكبر الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، تُوفّي في سنة ١٣٧٣هـ ودفن في وادي السلام.

كان من أعاظم الفقهاء والأدباء والفلاسفة ودعاة الإصلاح والتحرير، له عدة مؤلفات أهمها:

١ - أصل الشيعة وأصولها. ٢ - الدين والإسلام. ٣ - جنة المأوى. ٤ - الفردوس الأعلى. ٥ - تحرير المجلة.

الوصية

قال رحمه الله: «وقصارى وصيتي لك في خاصة نفسك المداومة على ذكر الله جلّ شأنه سرّاً وجهراً، فإنّ ذكر الله خير رادع وواعظ لك عن صغائر الذنوب وكبائرها، وعن خفايا الأخلاق الذميمة وظواهرها.

وأمّا وصيتي إلى إخوانك فالمداومة على ذكر الموت هادم اللّذات،

خير واعظ ورادع عن الخطايا جميعاً، ولا أقل عن الخطايا الموبقة كالفجور وشرب الخمور، والعقوق ومنع الحقوق، والخيانة وقتل النفس المحترمة، فإنَّ ذكر الله خير واعظ للخاصة، وذكر الموت خير واعظ للعامة.

وإلى الله أرغب وإيَّاه أدعو وأسأل، أن يوفّقنا للعمل بما نقول ونعلم قبل كل أحد، وإلاَّ فالحُجَّة علينا ألزم، والحسرة أعظم، وأن يجعلنا ممَّنْ يعظ بأعماله قبل أقواله، وبخُلُقه قبل نطقه وبسريرته وسيرته قبل ظاهره وصورته، وأن يحسن لنا الخاتمة ويرزقنا جميل العافية، فإنَّه لا خير بخير بعده النار، ولا شرّ بشرّ بعده الجنَّة، والسلام عليكم خاصة وعلى إخوانكم المؤمنين عامة من محبّ داع بكل خير لكل عبد من عباد الله»(١).

(١) لاحظ السياسة والحكمة: ص ٣٧ إلى ٤٥.

وصايا الفيلسوف صدر المتألهين

التعريف بصدر المتألهين

هو الفيلسوف المعروف بـ «الملاّ صدرا» أو «صدر المتألهين» وهو من كبار الحكماء والعرفاء وأهل الكشف والشهود. وكتابه «الأسفار»، من أهم كتب الحكمة والعرفان، وله كتاب اسمه «كسر أصنام الجاهلية» ومحور موضوعة إصلاح النفس الإنسانية، ونحن ننقل ما جاء في خاتمة الكتاب لإشتماله على وصايا في تهذيب النفس والسلوك إلى الله تعالى.

الوصايا

جاء في خاتمة كتاب «كسر أصنام الجاهلية» ما يلي:

«إعلموا أيَّها الإخوان السّالكون طريق النّجاة، أنّ غرضي من وضع هذه الرّسالة ليس توبيخاً لرجل معيّن أو رجُلين، أو تعرُّضاً بحال واحدٍ بعينه أو اثنين من المتشبهين بأرباب الكمال المُتزيين بزي أهل الوجد والحال، المحاكين - مع تورّطهم في الشهوات وقصور نظرهم كالنّسوان والصبيان على اللذّات - حكاية البالغين من الرجال، المتقلّدين - مع تحلّيهم بحيلة النّاعمات في الحجال - أقوال الأبطال.

بل غرضي التنبيهُ والإعلامُ لمن له ذوقٌ سليمٌ وقلبٌ صحيحٌ على فساد الزمان وانحراف أكثر النّاس عن جادة السلوك إلى طريق العلم والعرفان، وفُشُوِّ داء الضلال والجهل والهذيان في أبناء الدوران؛ حيث انتشر غياهبُ ظلمات العمى والضلالة في القلوب والأذهان إلى غايةٍ يَعُدون البطالة والتعطل في أمور الآخرة والدين نهاية وجدان التقرّب في السلوك إلى رب العالمين، ويحسبون دعابة الشيطان وغلبة الوسواس واستيلاء الوهم بالأفكار الباطلة والخيالات الفاسدة الناشئة من صرف الوقت فيما لا يعنى من باب إلهامات الحق وإشارات عالم الملكوت.

فذكرتُ جملةً من مقامات السالكين طريق الآخرة وصفاتهم وملكاتهم، وجملةً من أوصاف أضدادهم البطالين الطالبين للدنيا؛ ليكون المريدُ الصادقُ على بصيرة في اتباع من يسلُك سبيل الحق وطريق الصدق، ويتميّز عنده العارف الكامل المكمّل عن الجاهل الضالِّ المُضل، وينفصل لديه الأعمى المنافقُ عن البصير المُحدّق، والحِبرُ الخبير عن العامي النكير. لئلاّ يضلَّ في الطريق ويؤدّي أمره إلى الخُسران المُبين بسبب اتباع الشياطين المفسدين وطاعة المضلين المعطّلين، الذين يجعلون الإنسان الذي يتبعهم حيناً من الأحيان بريئاً من أشغال الدنيا واكتساب المعيشة الذي فيه نوعُ إعانةٍ للخلائق وعرياً من فرائض الدين وتحصيل العلم واليقين الذي به يحصل الفوز بالدرجات الأُخروية والقُرُب عند الخالق.

وليكون فيما كررنا بيانه من مذمّة الجهل وحبِّ الدنيا ومحمدة المعرفة وطلب الآخرة حثاً للطالبين، وترغيباً للسالكين في تحصيلهم واكتسابهم المعارف الإلهية والمعالم اليقينية المنورة لقلوبهم في استكشاف الحق واليقين، ورفضهم واجتنابهم عن اللذات الدنياوية والشهوات الجسمانية

المكدرة لنفوسهم المظلمة لقلوبهم المنزلة لأرواحهم منزلة البهائم والحشرات المردية لها إلى أسفل السافلين ومهوى المردى الشياطين.

فمن تأمل في فصول هذه الرسالة تأمّلاً شافياً ممعناً، وتفكر في مقاصده وأصوله تفكّراً كافياً مشبعاً، ينبعث لا محالة منه - إن كان ذا فطرةٍ صافيةٍ صحيحةٍ خاليةٍ عن أمراض الحسد والعناد. وقريحةٍ ذكيّةٍ مستقيمةٍ خالصةٍ عن أسقام الجهل والعصبية واللِّداد - شوقٌ قويٌّ إلى إمعان الفكر والنظر في المعارف الحقة والإلهيّات، والمطالب العالية والمعاني الكشفيّة الربوبيّة، التي بها يبلُغ الإنسان من جهة تكميل القوة العلميّة إلى مرتبة الملائكة المقرَّبين وأهل الولايات والكرامات من أصحاب الدين، ويحدُث له حرصٌ شديدٌ على تطهير القلب عن الدنيا والميلِ إلى زهراتها، وتغسيل الباطن عن درن الصفات الذميمة والملكات الرذيلة، التي بها يتيسر له من جهة تكميل القوّة العمليّة النجاةُ من منزل الشياطين والخلاصُ عن درجة النازلين في مهوى السافلين، فيطير نفسه المتقوية بجناحي العلم والعمل إلى جوار رب العالمين.

أما طريق العلم، فبينّا كيفيّة سلوكه مجموعةً في كتابنا المسمى بـ «الحكمة المتعالية» الملقّب بـ «الأسفار الأربعة» ومتفرّقةً في مواضع من كتبنا ورسائلنا.

وأما طريقُ العمل، فتفاصيل الأعمال مستنبطة من كتب الله وأحاديث نبيه وأوليائه الطاهرين عليهم السلام، استنباطاً بالأفكار العقليّة والأنظار العلمية؛ كما أنّ تفاصيل العلوم مستنبطةٌ من الكتاب والحديث استنباطاً بالأطوار السريّة والأذواق التّألّهية التي هي فوق طور الفكر والنظر بمقدّمات المجاهدة وأوضاع السلوك لسبيل الرياضة.

وإذا بلغ الكلام إلى هذا المقام، فلنختم الرّسالة ببيان شروط الإرادة وفرائض المُريد ومقدَّمات سعيه واجتهاده.

إعلم أنَّ من شاهد حقارة الدنيا وفناءها وعلم عظم الآخرة وبقاءها - إمّا بحسب تقليد إيمانيّ أو بحسب عرفان قلبيّ برهاني - أصبح بالضرورة مُريداً لحرث الآخرة مشتاقاً إليها سالكاً سبيلها مستهيناً بنعيم الدنيا. فإنَّ من كان معه خرزة فرأى جوهرةً نفيسة، لم يبقَ له رغبةٌ في الخرزة وقويت رغبتهُ وإرادتُه في بيعها بالجوهرة. فمن ليس مريداً حرث الآخرة طالباً للقاء الله، فهو لعدم إيمانه بالله واليوم الآخر إيماناً قلبياً، دون تحريك اللسان بالكلمتين أو حديث القلب بهما. فإذن المانع من الوصول عدم السلوك، والمانع منه عدمُ الإرادة، والمانع منها عدم الإيمان، والسبب لعدمه عدم قوة التفطن بحقائق الأمور؛ لاستيلاء الهوى والشهوات وغلظة الحجب وتراكم الظلمات، وعدم الهداة المذكرين لأحوال المبدأ والمعاد، وفقد العلماء بالله واليوم الآخر الهادين إلى طريق اليقين، والمنبِّهين على حقارة الدنيا وانقراضها وعظم أمر الآخرة ودوامها.

فالناس، حيث إنّهم غافلون، قد انهمكوا في شهوتهم وغاصوا في رقدتهم، وليس في علماء الدين من ينبّههم. فإن طلب أحدٌ طريقاً إليهم، وجدهم مائلين إلى الهوى عادلين عن نهج الآخرة ويوم الدين. فصار ضعف الإرادة والجهل بالطريق ونطقُ العلماء بالهوى أسباباً قاطعةً لطريق الله عن السالكين.

ومهما كان المطلوبُ محجوباً والدليلُ مفقوداً والهوى غالباً والطالبُ غافلاً، امتنع الوصولُ وتعطلّت الطُرُق. فإن تنبَّه مُتنبِّهٌ من نفسه أو من غيره وانبعث له إرادةٌ في حرث الآخرة وتجارتها، فينبغي أن يعلم أنّ له شروطاً

لا بدَّ من تعديلها في بداءة الإرادة؛ وله معتصمٌ لا بدّ من التمسك به؛ وله حصنٌ لا بد من التحصن به ليأمن من الأعداء القطاع لطريقه؛ وله وظائفُ لا بد من ملازمتها في وقت سلوكه.

أمّا الشروطُ، فهو رفعُ الحجاب والسدِّ الذي بينه وبين الحقّ. فإنّ حرمان الخلق عن الحق سببُهُ تراكُمُ الحُجُب ووقوعُ السد على طريقهم. قال سبحانه: ﴿وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ [يس: ٩].

والحُجُب أربعة: المالُ والجاهُ والتقليدُ والمعصية.

فلا بد أن يرفع عن نفسه الأول بالتفريق والإخراج عن ملكه، إلا قدر ضرورته، لئلا يكون قلبُه مشغولاً ولو بدرهم، لأنّه بقدره يحجبه عن الحق.

والثّاني بالبُعد عن مواضع الجاه وبإيثار التواضُع والخُمُول والهرب من أسباب الذكر والشُّهرة.

والثّالث بأن يترك التعصب لمذهبٍ دون مذهبٍ، ويطلب حقيقة الأمر في اعتقاداته التي تلقفها تقليداً من المجاهدة لا من المجادلة.

والرابع بالتوبة والخروج من المظالم وتصميم العزم على عدم العود وتحقيق الندم على ما مضى وردِّ المظالم وإرضاء الخصوم. لأنّ ما لم يُرفع حُجُب المعاصي بما ذكر، فيستحيل أن يفتح للسالك باب المكاشفة.

فإذا قدم هذه الشروط، كان كمن تطهر وتوضأ للصلاة التي هي معراج المؤمن، فيحتاج إلى إمامٍ يقتدي به وأستاذٍ يتأسى به ليهديه إلى سواء السبيل. وهذ هو المعتصم للمريد بعد تقديم الشروط المذكورة، فليتمسك

به تمسُّك الأعمى على شط البحر بالقائد، بحيث يُفوِّض إليه أمره بالكليّة ولا يخالفهُ في صدوره وروده؛ حتى قيل: «إن المريد بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل، يُقلِّبه من حالٍ إلى حالٍ كيف يشاء وهو لا يتلكم معه ولا يرد عليه»، وذلك لأن خطاء شيخه أكثر نفعاً في حقه من صواب نفسه.

فإذا وجد مثل هذا المعتصم، فيجب عليه أن يعصمه بحصنٍ حصين يدفع عنه قواطع الطريق؛ وهي أُمور خمسةٌ جمعها الشاعر في قوله:

صمت وجوع وسَهَر وعُزلت وذكرى بدوام

نا تماما جهان رابكند كار تمام

أمّا «**الجوع**»، فلتنفيض دم القلب وتبييضه، وفي تبييضه تنويره، ولإذابة شحم الفؤاد وفي ذوبانه رقته التي هي مفتاح المكاشفة، كما أنّ قسوته سبب الحجاب.

وأمّا «**السهر**»، ففيه جلاءُ القلب وصفاؤه وتنوُّره مضافاً إلى الصفاء والنور الحاصلين بالجوع، حتى يصير القلب كالكوكب الدُّري والمرآة المجلوة يلوح فيه حقائقُ الأُمور.

والسهر أيضاً نتيجةُ الجوع، فإنه مع الشبع غير مقدور، والنوم يُقسي القلب ويميته إلا بقدر الضرورة. وقيل في صفة الأبدال: إنَّ أكلهم فاقة، ونومهم غلبة، وكلامهم ضرورة.

وأمّا «**الصمت**»، فلأنَّ الكلام يشغل القلب؛ وشره القلوب للكلام عظيمٌ، فيتروح إليه. فالصمت يلقح العقل ويجلب الورع ويُعلِّم التقوى.

وأما «**العزلة والخلوة**»، ففائدتهما دفعُ الشواغل وضبط السمع

والبصر، فإنهما دهليزا القلب. فلا بدّ من سد الحواس إلا عن قدر الضرورة. وليس ذلك إلا بالجلوس في مكان مظلم. فإن لم يكن مكانٌ مظلمٌ، فيلفُّ رأسه في الجيب أو يتدثر بكساء أو إزار. ففي مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق ويُشاهد جلال الحضرة الربوبية. ألا ترى أن نداء رسول الله ﷺ بلغه، وهو على مثل هذه الصفة؟ فقيل له: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ﴾ [المُزمّل: ١]، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١].

فهذه الأربعة جنَّة المريد وحصن يدفع عنه القواطع والعوارض القاطعة لطريقه. فيشتغل بعد ذلك بسلوك الطريق ويقع عليه اسم «السالك».

والسلوك عبارةٌ عن قطع العقبات بين العبد وبين الله. وليست هي إلا صفات القلب التي عمدتها التعلقُ بالدنيا، وهو رأس كل خطيئةٍ. وبعضُ تلك العقبات أعظم من بعض؛ والترتيب في قطعها الاشتغال بالأسهل فالأسهل.

وهذه الصفات الذميمةُ أسرار العلائق التي قطعها في أول الإرادة وآثارها الباقية. فلا بد أن يخلي الباطن عن آثارها كما أخلى الظاهر عن أسبابها الظاهرة. وفيه يطول المجاهدة ويختلف ذلك باختلاف الأحوال.

وطريق المجاهدة في كل صفة غالبةٍ ذميمةٍ مضادة الهوى ومخالفة الشهوة بترجيح ما يقابلها، ليضعف ولم يبق تعلق القلب بها.

فإذا فعل المجاهدة، شغله الشيخ بذكرٍ يلزم قلبه على الدوام؛ ويمنعه من تكثير الأوراد الظاهرة، بل يقتصر على الرواتب والفرائض؛ ويكون ورده ورداً واحداً، وهو لبابُ الأوراد وثمرتها، أعني ملازمة القلب لذكر الله بعد الخلو من ذكر غيره، حتى يكون في صورة العاشق المستهتر الذي ليس له إلاّ همٌ واحد، فيلتزم روايةً يتفرد به ويأكل من القوت الحلال قدراً يسيراً.

وعند ذلك يلقِّنه الشيخ ذكراً من الأذكار الذي يراه مناسباً له، حتى يشتغل به لسانه وقلبه ولا يزال يواظب عليه، حتى يسقط حركة لسانه ويكون الكلمة كأنها جاريةٌ على اللسان من غير تحريك. ثم لا يزال يواظب، حتى يسقط الأثر عن اللسان ويبقى صورة اللفظ في القلب. ثم لا يزال كذلك، حتى ينمحي عن القلب حروف اللفظ وصورته ويبقى معناه وحقيقته لازماً للقلب حاضراً معه غالباً عليه.

ويعتريه عند ذلك خواطر، يفتح عليه باب. وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفرٌ أو بدعةٌ. ومهما كان كارهاً ومشمِّراً لإماطته عن القلب، لم يضره ذلك.

هي منقسمة إلى ما يعلم قطعاً أن الله تعالى منزه عنه، فلا يُبالي به ويفزع إلى الذكر ويستعيذ بالله ليدفعه عنه، كما في قوله: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]؛ وإلى ما يشك فيه، فيعرضه وسائر ما يجده في قلبه من الأحوال ويستره عن غيره.

ثم إن شيخه ينظر في حاله ويتأمل في ذكائه وكياسته. فإن وجده ذكياً، أمره بالتفكر ليتنبه من نفسه على حقيقة الحق ويقذف في قلبه من النور ما يكشف له ذلك؛ وإن علم أن مثله لا يقوى عليه، ردّه إلى الاعتقاد الصحيح بما يحتمله قلبه من وعظٍ أو ذكر دليلٍ قريبٍ من فهمه.

ولا بد للشيخ أن يتأنّق ويتلطف. فإنَّ هذه مهالك الطريق ومواقع أخطارها. وكم من مريد اشتغل بالرياضة، فغلب عليه خيالٌ فاسدٌ لم يقو على كشفه، فانقطع عليه طريقه واشتغل بالبطالة وسلك طريق الإباحة، وذلك هو الهلاك العظيم.

والبلاهة المحضة أدنى إلى الخلاص من التجرد للفكر. فإن من اشتغل

بالفكر ودفع الشواغل والعلائق عن قلبه، فقد ركب سفينة الخطر. فإن سلم، كان من ملوك الدين؛ وإن أخطأ، كان من الهالكين. ولذلك قال ﷺ: «عليكم بدين العجائز».

ثم المريد المتجرد للذكر والفكر قد يقطعه قواطع كثيرةٌ من العجب والرياء والفرح مما ينكشف له من الأحوال وما يبدو من أوائل الكرامات. ومهما التفت إلى شيءٍ من ذلك وشغل به نفسه، كان ذلك فتوراً في طريقه ووقوفاً. بل ينبغي له أن يلازم حاله جملة عمره ملازمة العطشان الذي لا يرويه البحار ولو أفيضت له، ويدوم عليه ورأس ماله الانقطاع عن الخلق والخلوة. فإذا داوم على ذلك وحصل قلبه مع الله، انكشف له جلال الحضرة الربوبية وتجلى له الحقُّ وظهر له من لطائف رحمة الله ما لا يجوز أن يوصف، بل لا يُحيط الوصف به أصلاً.

فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته في التدريج إلى لقاء الله تعالى، لخصناه من بعض كتب أهل العرفان[1].

---

(١) كسر أصنام الجاهلية ص ٢١٧.

وصايا الفيض الكاشاني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

التعريف بالفيض:

هو محمد محسن المعروف بـ«الفيض الكاشاني» وهو من المؤلفين الموسوعيين وكتبه من أهم المصادر خصوصاً في علم الأخلاق قال عنه العلامة الشيخ الأميني: «علم الفقه، وراية الحديث، ومنار الفلسفة، معدن العرفان، وطور الأخلاق، وعباب العلوم والمعارف...»[(١)].

ومن أهم وأبرز كتبه:

١ المحجة البيضاء. ٢ - الصافي في تفسير القرآن.

٣ - الوافي.

الوصية:

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ [النمل: ٥٩].

---

(١) الغدير ج ١١ ص ٤٧٦.

أمَّا بعد! هذه الرسالة المسماة، زاد السالك، كتبت في جواب سؤال أحد الأخوة العلماء، الذي سأل عن كيفية سلوك طريق الحق.

إعلم - أيدك الله بروح منه - إنه كما أنَّ السفر الصوري له مبدأ، ومنتهى، ومسافة، ومسير، وزاد وراحلة، ورفيق، ومرشد، كذلك السفر المعنوي الذي هو سفر الرُّوح إلى الحق - سبحانه وتعالى - يحتوي على ذلك كله. مبدؤه الجهل، والنقصان الطبيعي، الذي أحضره الإنسان معه من بطن أمه، ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَـٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۙ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [النّحل: ٧٨].

ومنتهاه الكمال الحقيقي الذي هو فوق كل الكمالات، وهو الوصول إلى الحق سبحانه وتعالى، ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النّجم: ٤٢]، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ﴾ [الانشقاق: ٦].

ومسافة الطريق في هذا السفر المراتب العلمية، والروح تطويها شيئاً فشيئاً، كلما سارت على صراط الشرع المستقيم، الذي هو طريق الأولياء، والأصفياء ﴿وَأَنَّ هَـٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]. هذه الكمالات مترتبة بعضها على بعض، فما لم يعبر الكمال المتقدم، لا يستطاع للمتأخر.

منازل هذا السفر الصفات الحميدة، والأخلاق الصالحة، التي هي أحوال ومقامات الرُّوح، تنتقل من واحدٍ إلى الآخر فوقه بالتدرج.

المنزل الأول: هو «اليقظة».

والمنزل الآخر: هو «التوحيد»، الذي هو المقصد الأقصى لهذا

السفر، تفاصيل هذه المنازل، ودرجاتها مذكورة في كتاب «منازل السائرين».

ومسير هذا السفر السعي التام، والجهد البليغ، والهمة العالية في قطع هذه المنازل؛ بالمجاهدة، ورياضة النفس بحمل أعباء التكاليف الشرعية، من الفرائض، والسنن، والآداب؛ ومراقبة ومحاسبة النفس آناً فآناً، ولحظةً بلحظةً، وتوحيد الهموم، والانقطاع إلى الحق - سبحانه وتعالى - ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمّل: ٨]، ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العَنكبوت: ٦٩].

وزاد هذا السفر «التقوى»، ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البَقَرَة: ١٩٧]. والتقوى عبارة عن القيام بما أمر الشرع به، والإبتعاد عمّا نهى عنه، عن بصيرة؛ لكي يستعد القلب لفيض المعرفة، بنور الشرع، وصقل التكاليف. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: ٢٨٢].

كما أنَّ المسافر الصوري ما لم يحصِّل قوة البدن من الزاد، لا يستطيع أن يقطع الطريق؛ كذلك المسافر المعنوي ما لم يقم بتطهير ظاهره وباطنه بالتقوى، والطهارة الشرعية، ويقوِّي الروح بها، فلن تفيض عليه العلوم، والمعارف، والأخلاق الحميدة المترتبة على التقوى، والتقوى تحصل منها - لا على سبيل الدور -.

ومثل هذا الشخص مثل من يحمل مصباحاً في ليل مظلم، ويرى الطريق بنوره، كلما خطا خطوةً يضيء قسماً من الطريق، ويسير عليه، وهكذا؛ وإذا لم يتقدم خطوةً، فلن يضيء الطريق، وما لم يضيء، فلن يستطيع السير. فالرؤية هي بمنزلة المعرفة، والسير بمنزلة العمل، والتقوى.

«مَنْ يَعملْ بِمَا عَلِمَ أوْرَثَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَمْ، العِلْمُ يَهْتِفُ بالعْمَلِ، فَإِنْ أَجَابَهُ، وإِلاَّ ارْتَحلَ، لا يَقْبَلُ اللهُ عَمَلاً إِلاَّ بِمَعْرِفَة، وَلاَ مَعْرِفَة إِلاَّ بِعَمَلٍ، فَمَنْ عَرَفَ دلَّتْهُ الْمَعْرِفَةُ عَلَى الْعَمَلِ، وَمَنْ لَمْ يَعْمَلْ فَلاَ مَعْرِفَةَ لَهُ، أَلاَ إِنَّ الإِيْمَانَ بَعْضُهُ مِنْ بَعْضٍ». كما أنَّ من لا يعرف الطريق في السفر الصوري، فلن يصل إلى المقصد.

«العَامِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ، لا يَزِيدُهُ كَثْرَةُ السَيرِ إلاَّ بُعْداً».

والراحلة في هذا السفر هي البدن، وقواه، وكما أَنَّهُ في السفر الصوري إذا كان الراحلة ضعيفةً، ومريضةً، فلن يستطاع قطع الطريق، كذلك في هذا السفر ما لم يكن البدن صحيحاً وقوياً، فلن يستطاع القيام بأي عمل؛ ولهذا كان تحصيل المعاش ضرورياً، وما كان لأجل الضرورة فيجب أن يكون بقدر الضرورة. فطلب الفضول في المعاش مانعٌ من السلوك، والدُّنيا المذمومة التي حذروا منها هي ذلك الفضول، الذي هو وبال على صاحبه، أمَّا مقدار الضرورة منه، فهو داخل في أمور الآخرة، وتحصيله عبادة. وكما أنَّ الراحلة لا تطوي الطريق ما دامت تسوم، كذلك في هذا السفر إذا ترك البدن وقواه لتفعل كل ما هو مشتهاها، ولا تُقيَّدُ بالآداب، والسنن الشرعية، ولا يؤخذ لجامها باليد، فإنَّها لن تقطع طريق الحق.

ورفاق هذا الطريق هم العلماء، الصلحاء، والعباد السالكون، الذين يعاونون بعضهم، فالشخص لا يطلع على عيبه بسرعة، ولكنَّهُ يعرف بسرعةٍ عيب غيره. فإذا توافق عدد من الأشخاص، وعرفوا بعضهم على العيوب،

والآفات، فإنَّ الطريق ستوطى بسرعة، ويأمنون على دينهم من اللصوص المضلين، «الشيطان إلى المنفرَدِ أَقربُ منهُ إلى الجماعَةِ»، و«يَدُ اللهِ مَعَ الجَمَاعَةِ»، إذا خرج أحدهم عن الطريق يرشده الآخر، أما إذا كان وحيداً، فهيهات أن يعرف خطائه.

ومرشد هذا الطريق النبي ﷺ، وسائر الأئمّة المعصومين عليهم السلام، الذين دلّوا على الطريق، ووضعوا سنناً وآداباً، وبينوا مصالح ومفاسد الطريق، وسلكوه هم أنفسهم، وأمروا الأمة بالتأسي والاقتداء ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١]، ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عِمرَان: ٣١].

الوصية بخمسة وعشرين أصلاً في بناء النفس

الأول: المحافظة على الصلوات الخمس: أي أداؤها في أول الوقت وبالجماعة، والسنن والآداب. فإذا أخرها المرء بدون عِلَّة وعذر عن أول الوقت، أو لم يحضر الجماعة، أو ترك سُنَّة من سننها، أو أدباً من آدابها ولو نادراً، فقد خرج عن سلوك الطريق، وتساوى مع سائر العوام الذين يهيمون، وفي بيداء الجهل والضلال يسيمون، غافلين عن الطريق، والمقصد ولا يرتقون أبداً.

الثاني: المحافظة على صلاة الجمعة، والعيدين، والآيات، مع اجتماع الشرائط، إلاّ مع العذر المسقط، فمن ترك الجمعة ثلاثة أسابيع متواليةٍ بدون علة، يصدأ قلبه، ولا يعود قابلاً للإصلاح.

الثالث: المحافظة على الصلاة المعهودة، والرواتب اليومية، فقد عدّو

تركها معصية، إلا أربع ركعات من نافلة العصر، وركعتين من نافلة المغرب، والوتيرة التي يجوز تركها بدون عذر.

الرابع: المحافظة على صوم شهر رمضان، وتكميله بأن يمنع لسانه عن اللغو، والغيبة، والكذب، والفحش، ونحوه؛ وسائر الأعضاء عن الظلم، والخيانة، وأن تمنع من الفطور على الحرام، والشبهة أكثر من سائر الأيام.

الخامس: المحافظة على صوم السُّنة، الذي هو صوم الأيام الثلاثة المعهودة من كل شهر، التي تعادل صوم الدّهر، وأن لا يتركه بدون عذر، فإذا تركه، يقضيه، أو يتصدَّق بمدٍّ من الطعام.

السادس: المحافظة على الزكاة حيث لا يجوز التأخير، والتواني إلا عن عذر، مثل فقد المستحق، أو إنتظار أفضل المسحقين، ونحوه.

السابع: المحافظة على إنفاق الحق المعلوم من المال، بأن يحدد ما يعطيه في كل يوم، أو في كل أسبوع، أو في شهر للسائل، أو المحروم بالقدر المناسب، بحيث لا يخل به، وإذا لم يطلع أحداً عليه كان أفضل ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج: ٢٤-٢٥] وفي الحديث أنَّهُ غير الزكاة.

الثامن: المحافظة على «حجة الإسلام» بحيث يأتي بها في سنة الوجوب، ولا يؤخرها بدون عذر.

التاسع: زيارة القبور المقدسة للنبيّ ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام، خصوصاً الإمام الحسين عليه السلام.

ففي الحديث: «أنَّ زيارة الحسين عليه السلام فرضٌ على كل مؤمن، ومن تركها، ترك حقاً لله والرسول ﷺ».

وفي حديث آخر: «أنَّ لكل إمام عهداً في أعناق أوليائه، وشيعته، ومن الوفاء بالعهد زيارة قبورهم».

العاشر: المحافظة على حقوق الأخوان، وقضاء حوائجهم، فقد ورد التأكيد البالغ عليها، بل قدّمت على أكثر الفرائض.

الحادي عشر: تدارك ما فات من المذكورات - مهما أمكن - عندما ينتبه.

الثاني عشر: أن يزيل من نفسه الأخلاق المذمومة مثل: الكبر، والبخل، والحسد، ونحوها، بالرياضة، والمخالفة للنفس، والتخلّي والأخلاق الحسنة مثل: حسن الخُلق، والسخاء، والصبر، وغيرها.

الثالث عشر: ترك الأمور المنهي عنها كلِّها، وإذا فعل معصية ولو نادراً، فليتدارك بسرعة بالاستغفار، والتوبة، والإنابة؛ كي يكون محبوباً للحق. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢]، «وإنَّ الله يحبُّ كل مفتنٍ توابٍ».

الرابع عشر: ترك الشبهات الموجبة للوقوع في المحرمات، قالوا: «كل من ترك أدباً، حُرم من سنّة، وكل من ترك سنَّةً حُرِمَ من فريضة».

الخامس عشر: عدم الخوض فيما لا يعنيه، فإنَّ ذلك موجب لقساوة القلب، والخسران، في الحديث: «من طلب ما لا يعنيهِ، فاتَهُ ما يعنيهِ». وإذا صدر ذلك منه غفلةً، فليتدارك بعد التنبُّه بالاستغفار، والإنابة ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَٰنُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِى ٱلْغَىِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾﴾ [الأعراف: ٢٠١-٢٠٢]، وما لم يترك مجالسة البطّالين، والمغتابين، والذين يمضون أيامهم باللغو، ويترك

ما لا يعنيه، فإنَّ ذلك يوجب قسوة القلب، والغفلة، وتضييع الوقت أكثر من أي شيءٍ آخر.

السادس عشر: أن يجعل شعاره قلّة الطعام، والمنام، والكلام، فإنَّ هذا الأمر له ارتباط تام بإنارة القلب.

السابع عشر: أن يقرأ القرآن كل يوم، بتدبّر، وتأمّل، وخضوع وأقله خمسون آية، وإذا كان بعضهُ في الصلاة، كان أفضل.

الثامن عشر: أن يجعل مقداراً من الأذكار ورداً له في أوقات معينة، خصوصاً بعد صلوات الفريضة، وإذا استطاع فليشغل لسانه في أكثر الأوقات بذكر الحق تعالى - وإن كانت جوارحه مستغرقة في أعمالٍ أخرى - فنعم السعادة!.

نقل عن الإمام محمد الباقر عليه السلام، أنَّ لسانه المبارك كان يترنم في أكثر الأوقات بكلمة «لا إله إلا الله» الطيبة، عندما كان يأكل، أو يتكلم، أو يسير، إلى غير ذلك؛ فهذا مساعد ومعين قوي للسالك.

وإذا جعل الذكر القلبي مقارناً للذكر اللِّساني، فستظهر عليه فتوح كبيرة في مدةٍ قليلة، فليسع بقدر ما يستطيع أن يذكر الحق تعالى مع كل نفسٍ، كي لا يغفل عنه. فلا أمر يوازي هذا الشيء في السلوك، وهذا مساعدٌ قوي في ترك مخالفه الحق - سبحانه وتعالى - بالمعاصي.

التاسع عشر: صحبة العالم، وسؤاله، واستفادة العلوم الدينية منه بقدر الطاقة، وليسعَ بقدر ما يستطيع كي يزيد علماً على علمه؛ «أكيس الناس من جمع عِلْمَ الناس إلى علمِهِ». وأن يعد صحبة من هو أعلم فوزاً عظيماً، وإذا وجد عالماً يعمل بعلمه، فليلازم متابعته، ولا يخرج عن حكمه، فهذا الشخص هو الشيخ الذي يذكره الصوفية.

العشرون: معاشرة الناس بحسن الخُلق، والمداراة، كي لا يكون ثقيلاً على أحد. وأن يحمل أفعالهم على محمل حسن، ولا يظنَّ ظن السُّوء بأحد.

الواحد والعشرون: أن يجعل شعاره الصدق في الأقوال، والأفعال.

الثاني والعشرون: التوكل على الحق في كل الأمور، وعدم النظر إلى الأسباب، والإجمال في طلب الرزق، وعدم بذل الجهد الكثير فيه، وترك الأمل البعيد فيه، والقناعة بالقليل بقدر الاستطاعة، وترك الفضول.

الثالث والعشرون: الصبر على جفاء الأهل، والأقرباء، وعدم الابتعاد عنهم بسرعة، وعدم إساءة الخلق معهم؛ فبقدر ما يزداد الجفاء، وتحمل البلاء أكثر، فسيكون الوصول إلى المراد أسرع.

الرابع والعشرون: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقدر الوسع، والطاقة، وأن يدعو الاخرين للخير، والاهتمام، والاشتراك معه في السلوك، إذا كانت لديه قوَّة نفس، وإلا اجتنب صحبتهم مع المداراة، والتقية، كي لا يوجب ذلك العداوة.

الخامس والعشرون: تنظيم أوقاته، وتحديد وردِ (ذكر) في كل وقت من الليل، والنَّهار يشتغل به، كي لا تضيع أوقاته، فكل وقت تابع للموقوت له، هذا الأمر أساسيٌ في السلوك، وهذا ما وصلنا عن الأئمة عليهم السلام، وكانوا يعملون به ويأمرون به غيرهم. أمّا الانزواء مدة أربعين يوماً، وعدم أكل الحيوان، والذكر المضروب بأربعة، وغير ذلك من المنقول عن الصوفية، فلم يرد عنهم عليهم السلام. والظاهر أنَّ بعض المشايخ وجدوا أمثال ذلك مناسبٌ لبعض النُّفُوس في سهولة السلوك، لذلك أمروا به، فمأخذ الاعتزال أربعين يوماً يمكن أن يكون الحديث: «مَنْ أَخْلَصَ للهِ

أرْبَعِينَ صَباحاً، ظَهَرَتْ يَنَابِيعُ الْحِكْمَةِ مِنْ قَلْبِهِ عَلَى لِسَانِهِ»، ومستند ترك أكل الحيوان: «لا تَجْعَلُوا بُطُونَكُمْ مَقَابِرَ الْحَيَوَانَاتِ» ونحو ذلك.

لا شك أن قلة أكل اللحم، والعزلة، وفراغ البال، والتوجه التام للذكر له ارتباطٌ كامل بتنوير القلب، ولكن بشرط أن لا يمنع «الجمعة» و«الجماعة».

ومن الأمور الأساسية «الحرية» من شوائب الطبيعة، ووساوس العادة، وتقاليد العامة؛ فليس هناك سدٌّ أمام السالك أعظم من هذه الأمور الثلاثة التي سماها بعض الحكماء رؤوس الشياطين، وكل قبيحٍ يصدر من أحد، إذ نظرت جيداً، ستجد أنَّهُ ينتهي إلى أحد هذه الثلاثة.

أما شوائب الطبيعة فهي مثل: الشهرة، والغضب، وتوابعهما من حب المال، والجاه، وغيرهما، يقول تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

وأمَّا وساوس العادة فهي مثل: وساوس النفس الأمَّارة، وتزيينها، والأعمال غير الصالحة بسبب التخيلات الفاسدة، والأوهام الكاذبة، ولوازمها من الأخلاق الرذيلة، والملكات الذميمة. قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣-١٠٤].

أما تقاليد العامة فهي مثل: «اتّباع الوحوش ذوي البدن الآدمي، وتقليد الجاهلين المتشبّهين بالعلماء، والإستجابة لإغواء واستهواء شياطين الجن، والإنس، والغرور بخدعهم، وشبهاتهم، قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾ [فصلت: ٢٩].

أما بعض الرسوم، والعادات في اللِّباس، ومعاشرة الناس المقررة في العرف، فيجب متابعة الجمهور بها، بحسب الظاهر، حتى لا ينالوا منه بسبب لباسه الصوفي، فالامتياز باعثٌ على البعد والغيبة، إلا إذا كانت متابعتهم موجبة لمخالفة أمرٍ ديني في تركه ضرر على السلوك، عند ذلك لا تلزم المتابعة، إلا من باب التقية، وأمثال هذه الأمور منوطة برأي الخبير بالزَّمان.

الوصية الأخيرة

من ألزم نفسه بهذه الأمور الخمسة وعشرين المذكورة وعمل بها بجدٍ إبتغاء وجه الله لا لغرضٍ دنيويٍّ عاجل، فإنَّه سيتكامل يوماً بعد يوم، حسناته ستزيد، وتغفر سيئاته، وترفع درجاته، فإن كان من أهل العلم، أعني المسائل العلمية الإلهية عن أحوال المبدأ، والمعاد، ومعرفة النفس، وأمثال ذلك، وعرفها كما هو المطلوب الأقصى، وكان لديه اهتمام بمعرفتها، وكان أهلاً بفهمها، فإنَّ معرفته ستزيد يوماً بعد يوم بإلهام الحق؛ بقدر الكسب الاستعدادي الذي يحصل لديه من العبادة، ومحادثة العلماء، ومواعظهم. فصفاء الباطن، والدُّعاء المستجاب، ونحو ذلك من الكمالات يجدها خلال سعيه، وتوجهه، ويحصل على القربى للحق - تعالى -، والمحبة، والنُّور.

والمحبة الكاملة، والنُّور الوافر هما من ثمار المعرفة، يصل الإنسان أحياناً إلى حد يشاهد أكثر أمور الآخرة في هذه النشأة كما هو منقول عن حارثة بن نعمان في «الكافي». يعبّر الرسول ﷺ في هذه الرواية عن حالة حارثة بتعابير مثل: اللقاء، والوصول، والفداء في الله، والبقاء في الله.

هذه هي الغاية والغرض من إيجاد الخلق، كما في الحديث القدسي «كُنْتُ كَنْزاً مَخْفِياً، فأَحْبَبْتُ أَنْ أُعْرَفَ، فخَلَقْتُ الخَلْقَ لكي أُعْرَف» وفي التنزيل ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذّاريات: ٥٦] قيل: أي ليعرفون، إنما عبر عن المعرفة بالعبادة، لأنَّها لا تنفك عنها، وإنَّما عبر عن اللازم بالملزوم، لئلا يتوهم أنَّ المقصود أية معرفة كانت، بل المعرفة الخاصة التي لا تحصل إلا من جهة العبادة.

فالمعرفة أنواع متعددة، وطرق كثيرة، وليس كل معرفة توجب القرب، والوصول، فأكثر العامة لديهم معرفة عن طريق التقليد، المتكلمون لديهم معرفة عن طريق الدلائل الجدلية التي تركبت مقدماتها من المسلمات، والمقبولات، والمظنونات، والفلاسفة أيضاً لديهم معرفة عن طريق البراهين العقلية التي تركبت مقدماتها من اليقينيات، ولا شيء من ذلك موجب للوصول والمحبَّة، فكل من حصلت معرفته عن طريق العبادة فهو ثمرة شجرة الخلق، والمقصود من إيجاد العالم، والآخرون جميعهم هم طفيليات وجوده، ولخدمته.

- طفيليات عالم العشق النَّاسُ وجناحٌ.
- أظهر إرادةً لتنال سعادة.

لهذا ورد في الحديث القدسي خطاباً للنبيِّ ﷺ: «لولاكَ لما خلقتُ الأفلاكَ». فمن كان لديه همَّة عالية، ويجد في نفسه جوهراً، فيجب أن يجتهد في تقريب نفسه إلى هذه المرتبة عن طريق العبودية، والعبادة والتقوى، والطهارة.

- وإن كان وصاله لا يعطونه بالجهد.
- بقدر ما تستطيع أيُّها القلب اجتهد.

إذا وصلت إلى المقصد فهنيئاً لك السعادة، وإذا مت في هذا الطريق فنعم الشهادة.

- إذا مت في طريقه فشهيد.

- وإن سبقت فزين العبيد.

﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النِّساء: ١٠٠].

والتوفيق من الله العزيز الحكيم، والحمد لله رب العالمين، والصلاة على محمدٍ واله أجمعين.

تمت الرسالة السلوكية من إفادات المرحوم مولانا محمد حسن الكاشاني، في منتصف شهر شوال ١١١٩ هـ. ق.

وصايا الشيخ النراقي (قدس سره)

نبذة عن حياة الوصي

هو الشيخ أحمد النراقي ابن مؤلف كتاب «جامع السعادات» الشيخ محمد مهدي النراقي.

كان عالماً فاضلاً جامعاً لأكثر العلوم لا سيما الأصول والفقه والرياضيات، شاعراً بليغاً بالفارسية.

قرأ على والده في كاشان - إيران، ثم على بعض أفاضل العراق كالسيد بحر العلوم الطباطبائي والشيخ كاشف الغطاء والشهرستاني.

من تلاميذه الشيخ مرتضى الأنصاري.

توفي سنة ١٢٤٤هـ في مسقط رأسه نراق - من قرى كاشان - وحُمل إلى النجف الأشرف فدُفن خلف الحضرة الشريفة في جانب الصحن المطهر.

له مؤلفات كثيرة مشهورة نذكر منها على سبيل المثال:

١ - شرحه على تجريد الأصول لوالده، في عدة مجلدات.

٢ - معراج السعادة (بالفارسية) وهو شرح على كتاب والده العربي «جامع السعادات».

٣ - منهاج الوصول إلى علم الأصول في مجلدين.

٤ - عوائد الأيام من قواعد الفقهاء الأعلام.

٥ - رسالة في اجتماع الأمر والنهي.

٦ - ديوان شعره الكبير بالفارسية.

٧ - الخزائن.

الوصايا والإرشادات

شروط السالك وآدابه:

إعلم أنَّ للسالك شروطاً كثرة، نذكر عدة منها فيما يلي:

١ - أن لا يلتقت للشبهات سراً وعلانية، ولا ينشغل في أمور الكائنات والأحكام الشرعية والتقديرات كالقضاء والقدر بـ «لِم» و«لا» و«لعل» و«عسى» بل يكون على صراط الشرع المستقيم.

٢ - أن يكون على الطهارة دائماً، قال عزّ وجلّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

٣ - أن يختار الخلوة، ويعتزل جميع الشواغل وينزل في بيت مظلم.

٤ - أن يكون ساكتاً دائماً إلا من الذكر.

٥ - أن يحترز من الملبوس والمطعوم المشتبه.

٦ - أن يعتدل في الأكل والشرب بل يقلل لا سيما بالصوم.

٧ - أن ينام قليلاً، وأن لا ينام ما لم يصل حد الضرورة، قال الله تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ [الذاريات: ١٧].

٨ - أن يكون دائم الذكر مع حضور القلب بحيث يستغرق كل بدنه وأعضائه، وأفضل الذكر «لا إله إلا الله».

٩ - نفي الخواطر، وهذه أصعب العقبات على السالك.

١٠ - التخلق بالأخلاق الحميدة والانخلاع من الصفات الذميمة.

١١ - ربط القلب بالشيخ، كما قال بعض[١].

للسالك عدة آداب:

١ - أن لا يستعمل في سؤاله من الله تعالى - ما استطاع - خطاب الأمر والنهي، بل يراعي طريق الأدب كأن يقول: يا رب إن كنتُ مسيئاً فأنت الغفار وحاجتي كذا وأنت منتهى الرحمة، أو يا رب إني خائف من كذا وأنت الملجأ والمأمن، وهكذا.

٢ - أن يعتبر الرسول ﷺ مطلعاً على ظاهره وباطنه، وأن يحذر مخالفته.

٣ - أن يبذل غاية جهده في متابعة سُنّة النبي ﷺ.

٤ - أن يحب من ينتسب له ﷺ في الصورة كالسادات، أو في المعنى كالعلماء من أجل حبه، وأن يرى تعظيمهم وتوقيرهم واجباً.

٥ - أن يستقبل القبلة في جلوسه ما استطاع وبخاصة في الخلوة.

٦ - أن تكون جلسته بهيئة التشهد دائماً، وأن يتصور مع نفسه أنه جالس على بساط رب العزة وبين يديه، وأن الرسول حاضر ثمة فيكون مقيداً بتوقيره واحترامه.

---

(١) الخزائن ص ٢٧١.

نكتة: ذكروا للشروط والآداب أموراً:

١ - صدق الإرادة.

٢ - ورد طلب وداعية السلوك.

٣ - الأنس مع الذكر، والاستيحاش من الخلق ﴿قُلِ ٱللَّهُۖ ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

٤ - التوبة النصوح من المحرمات.

٥ - الاهتمام في عدم الغفلة عن الذكر لنفس واحد، أي دوام الذكر والفكر.

٦ - دوام الوضوء والطهارة.

٧ - الطهارة من النجاسات والمظالم والمحرمات الشرعية من الحرير الخالص ونحوه، ومن الرعونة.

٨ - تربيع الجلوس ووضع اليد اليمنى على الفخذ الأيسر، وإمساك الساق اليسرى باليد اليسرى، وحضور القلب وإغماض العين، والشروع بالذكر بتعظيم تام، ولو ابتدأ بذكر «لا إله إلا الله» فأفضل. وقالوا في كيفيته هكذا: يستخرج «لا إله إلا الله» من السرة ويصعد بها إلى تحت الثدي الأيمن ثم يذهب بها من هناك إلى تحت الثدي الأيسر ويعيدها مرة أخرى تحت الثدي الأيمن بشرط أن لا يتحرك اللسان. وكلما نظر في القلب ورأى شيئاً يتعلق به يخرجه ويصوره في نظره، ويعطي القلب للمبدأ، ويتوسل بولاية الولي والمرشد، ويستمد منه، ويبطل تلك العلقة بالنفي «لا إله» من أنه لا أبغي شيئاً ولا مطلوب لي أبداً. فتبطل محبة ذلك الشيء بالتدريج، وبتصرف «إلا الله» تقوم محبة الحق مقام تلك المحبة.

والمواظبة على هذا الذكر تفرغ القلب بالتدريج من كل المألوفات.

٩ - مراقبة القلب، وجعله مع قلب الشيخ دائماً والاستمداد منه، فإن السالك لا يمكنه في البداية بسبب الحجب أن يتوجه ويتصل بحضرة الحق فهو من عالم الغيب، ولما كان صورة وجه الشيخ من عالم الشهود، فإن توجه إلى قلب الشيخ يحصل بصورة أسهل، ويجعل باستمرار همة الشيخ دليله وهاديه، وإذا حصل خوف أو آفة، يلجأ إلى الشيخ، ويطلب في طريق الداخل المدد من الشيخ.

١٠ - المداومة على السكوت، فلا يتكلم أكثر من الضرورة.

١١ - ترك الاعتراض على الله في جميع الواردات، وكذا ترك الاعتراضات على الشيخ لكيلا يصير مردوداً لشيخه، فلا يُقبل بعدها عند أي شيخ.

١٢ - تقليل الطعام، بمقدار لا يضعف معه، بل بحيث يكون خفيفاً دائماً. وأن يتناول طعامه مع الذكر وحضور القلب، ويرفع اللقمة صغيرة ويمضغها جيداً، وأن لا يأكل أكثر من الحاجة، فإذا خرج من المنزل لا ينظر إلى الأطراف والجوانب.

ولا يخفى أن المقصود من الشيخ في كل ما ذكر إن كان هو أحد الأئمة الطاهرين فحسن، وإلا فلا[١].

---

(١) الخزائن ص ٣٩٩.

وصية العلّامة الشعراني رحمه الله

التعريف بالعلامة الشعراني

هو الحكيم المتأله آية الله الميرزا أبو الحسن الشعراني، وكان من العلماء المتبحرين والمؤلفين في كافة العلوم القرآنية والروائية، والفقهية، والأصولية، والفلسفية، ثم تحول إلى الأمور المعنوية.

ومن كتاباته التي تبيّن ورع وتواضع وصفاء وإخلاص العلاّمة الشعراني لأهل البيت عليهم السلام، مقدّمته على ترجمة كتاب نفس المهوم، وهي كالتالي:

«أما بعد، يقول العبد الفاني أبو الحسن بن محمد بن غلام حسين بن أبي الحسن المدعو بالشعراني، لأني قضيت عهد الشباب بتحصيل العلوم وحفظ الاصطلاحات والرسوم، واقتدائاً بأسلافي الصالحين من عهد صاحب منهج الصالحين قد استفدت من كل علم، واقتطفت من كل ثمر، فكنت مشغولاً أحياناً بمطالعة كتب الأدب من العجم والعرب، وزماناً بدراسة الإشارات والأسفار، وزماناً بتتبّع التفاسير والأخبار، وزماناً بتفسير وتهميش كتب الفقه والأصول، وأحياناً أخرى بالتعمّق في المسائل الرياضية والمعقول إلى ذلك العهد.

لقد طفت في تلك المعاهد كلّها
وسرحت طرفي بين تلك المعالم

وقضيت سنوات طويلة مستيقظ في الليل وأكرّر العمل في النهار، ودائماً ملازم للدفاتر والكرّاس، ومرافقٌ للأقلام والقرطاس، وفجأة ناداني ملك الغيب أن العلم لأجل المعرفة، والمعرفة بذر العمل، والطاعة ولا طاعة بدون إخلاص، ولا يتحقق ذلك إلا بتوفيق من الله وتوسّل بالأولياء، فإلى متى العمل؟

لذا يجب الإسراع وتحضير الزاد للمعاد، فانهض سريعاً، فقد طلعت الشمس، وذهب الركب، ولم يبق إلا القليل، ولم تنقذ كل القوى فتوسّل واخدم الأولياء. . .».

وصيته العلمية والأخلاقية والمعنوية

قال رحمه الله: «أُوصي إخواني: يعني طلبة العلوم الدينية ومحقّقوا آثار سيد الأنبياء صلى الله عليه وآله وسلم، والذين يقرؤون هذا الكتاب، أنّ أهمّ الأمور الواجبة والضرورية لطالب العلم هو الإخلاص في النيّة لله، فإنّه يوفّق عبده، ويهيىء له وسائل طاعته، ويلهم طريق الحق في قلوب عباده، فلو لم يكن هناك إخلاص في النيّة فلا يوفّق أحد في إرتقاء سلّم العلم أو الاستفادة مما تعلمه. . . ومن الأُمور الأخرى الواجبة على طالب العلم، هو الورع والإبتعاد عن الحرام والمسائل التي فيها شبهة، والمواظبة على العبادات، لأنّه لا يمكن لأي شخص الانتفاع من عمله إلا إذا قرنه بالعمل، ولأنّ قلوب الناس لا تطمئنّ ولا تهدأ بواسطة عالم بلا تقوى.

وعلى طالب العلم أن يستفيد من الأوقات التي لا يقضيها بطلب العلم

بالعبادات المستحبة والنوافل، وأن يقلّل من البطالة، وصرف الوقت في المناقشات، وفي قراءة المواضيع التي ليس فيها أي منفعة لدينه، مثل الصحف السياسية والحكايات والقصص الخالية من العبرة والموعظة.

ويجب على طالب العلم أيضاً أن لا يترك قراءة القرآن الكريم في الليل والنهار، وأن يقرن هذه القراءة مع التدبر والتأمّل في دقائق ومعاني الآيات حسب قابليته، ويرجع إلى التفسير في الآيات التي يواجه صعوبة في فهمها، ويجب عليه أيضاً ترك القول والتصرّف ومطالعة كل ما هو غير مفيد.

وإذا شعر في وقت ما أن الكسل والتعب بدأ يتسلل إليه ويعيقه عن الاهتمام بالمسائل العلمية، يجب عليه - كما هو مذكور في الحديث - أن ينعش ويهدىء قلبه بالحكم، وبتجنب الانشغال بالألعاب والأعمال غير المفيدة، وقراءة الأشعار والقصص إلا إذا كانت حاوية على عبرة وموعظة.

ويجب أن يُحسن طالب العلم الظن بالعلماء، فهذا سر الموفقية والنجاح والفوز، لأنّ سوء الظنّ بهم يجلب الشقاء والفشل، بل قد يؤدي أحياناً إلى الكفر والضلال والجهل. إذن يجب التفكّر باهتمام كامل والتدبّر بكلامهم، لأنَّ الله تعالى قد جعل لكل شيء سبباً، ويجب على طالبه الاهتمام في البحث عنه، وأنّ الأُستاذ هو أحد أسباب التعليم، والعناية بالأستاذ لا تحصل إلا بالتفاؤل وحسن الظنّ.

وهذه (قاعدة) في جميع العلوم الشرعية والعقليّة والصناعات الحالية. فلو لم يكن الشيخ أبو علي سينا حسن الظنّ بأرسطو وفارابي لما حصل له أبداً هذا الوعي الكامل في فهم كتبهم، ولا على ذلك المقام الشامخ في

الفلسفة... طبعاً ليس قصدنا أن هؤلاء العلماء معصومون من الخطأ، بل قصدنا أن لا يجوز تخطئتهم من البداية.

ويجب على طالب العلم أيضاً أن لا يتعصّب إلى كتاب خاص، أو طريقة خاصة، وبالخصوص في الفقه؛ لأنّ هذا يعني التقليد والتبعية للآخرين، فقد لوحظ كثيراً أن بعض الطلاب يكتفون بقراءة الكتب الجديدة فقط تقليداً لمؤلفين آخرين، في حين أنَّ أساتذة واساطين العلم، كانوا يعيشون في أواسط القرن الرابع إلى العاشر هـ. ق. حتى أن بعض الطلاب لا يتأمّلون ولا يدققون فيما ينقل عن (ابن الجنيد) و(ابن أبي عقيل) و(علي بن بابويه)، لأنهم يعتقدون أن فتاواهم قد نُسخت ولا تستحق التأمل.

ويجب على طالب العلم السعي لتهذيب نفسه وتزيينها بالأخلاق الفاضلة، فلا يكتفي في هذا الطريق بقراءة الأحاديث المذكورة فقط، بل أساس ذلك معاشرة ومجالسة أهل الأخلاق، ويعرض عليهم أعماله، فيجد عيوبه ونواقصه ويتعلّم منهم طرق إصلاح نفسه.

ومن اللائق لك أن تقلل معاشرة الناس الخالية من التعليم، وخاصّة مع الأغنياء والمترفين وطالبي الدنيا، ويجب أن تترك كل ما يُبعد الآخرة عن ذكرك، ويُوجد الميل والرغبة للدنيا في نفسك، وصاحب الصالحين والزهّاد وأهل العباد؛ لأنّ هذا العمل مؤثّر جداً في تهذيب النفس.

وأمّا لو ظنّ أحمق أنّه لم يكن في صدر الإسلام مجتهد ولا مقلد ولا علم أُصول ولا علم نحو، ولم تكن توجد مدرسة ولا مرشد ولا ذكر أو حلقة درس، فلا يجب الاهتمام بهؤلاء الأفراد (ولا بقولهم)؛ لأن العلماء كانوا كثيرين في كل زمان وفي عصرنا بسبب غلبة الكفّار والنصارى

أصبحوا أكثر أيضاً، فلو كان مقرراً أن كل ما لم يكن موجوداً في صدر الإسلام يكون حراماً، إذن لا بدّ أن يكون بناء المدارس وتعلم النحو والصرف وحفظ اصطلاحات الحديث ونقلها وروايتها وإجازة الرواية - كما هو متداول بين أهل الحديث - حراماً أيضاً [في حين أنه ليس كذلك]. وعلى طالب العلم أن يُحسن الظن بالله تعالى والناس، وصيتي الأخيرة الورع والتقوى، وأسال الله أن يوفقنا وإياكم في مرضاته.

واعلم أنَّ العلوم الشرعية كثيرة، ونادراً ما يتفق أن يوجد شخص متفوّقاً وماهراً في جميعها، لذا يجب على كل طالب علم أن ينتخب قسم من هذه العلوم حيث أنَّ:

١ - تكون فائدتها للناس أكثر.

٢ - تكون مصحوبة بقوة وعون أكثر، في الترغيب والميل إلى الدين.

٣ - تتميّز أيضاً بامتلاكها قدرة أكثر في جهة التخلص من الضلال.

ولمّا كان معرفة وتعلم كل هذه العلوم واجب كفائي، فإذا ازداد عدد العلماء في أحد الفروع وقل عددهم أو بدأ يضمحل في فرع آخر، يكون واجب على الطالب المستعد أن ينتخب هذا الفرع، حتى لو كانت منزلته ومنافعه الدنيوية مخفيّة في فرع آخر، وهذا من علامات الإخلاص في النية في طريق تحصيل العلم، ومن هذا الأمر يُعرف أن هدف هذا الطالب هو رضا الله تعالى فقط.

ومن العلوم التي يحتاج تعلّمها في كل الفروع هي:

١ - اللغة العربية.

٢ - علم القراءة... برغم أنه يمكنه الاكتفاء بقراءة أحد القرّاء...

لأنّ حفظ كلمات وألفاظ القرآن من الواجبات، وهذه تكون وظيفة أهل العلم أيضاً، ولهذا السبب تكون معجزة القرآن باقية وراسخة. . .

٣ - السيرة.

٤ - الحديث. . . يجب أن يعلم نماذج من أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام، لأن التأمّل في هذه الأحاديث يؤدي إلى رسوخ الإيمان في قلب الإنسان ويحصل يقين بصدقهم في النبوة والإمامة.

٥ - أصول الاعتقادات، من الواجب على طالب العلم أن تكون عنده معرفة بأصول المذهب، وكل ما يرتبط بالاعتقادات. . . لأنّ كل عالم يحتاج إلى البحث والتقرير والتعليم، ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا عن طريق العلم التفصيلي بخلاف عامة الناس الذين يكتفون عادة بعلم مختصر وإجمالي.

ولا يجب أن يخطو نحو كسب العلم قبل أن يستكمل مقدماته، فمثلاً لأجل التوجّه للتفسير والحديث يجب أولاً الوصول إلى حدّ الكمال في الأدب العربي، وأيضاً تعلّم مقدار من الفقه والكلام.

أو مثلاً يتّجه نحو علم الكلام إذا تسلّط على علم المنطق وأصبح ماهراً في تشخيص الأدلة.

واعلم أنّ أشكل العلوم علم الفقه، بسبب كثرة مقدماته أولاً، وثانياً لأنّه لا يمكن للفقيه أن يحصل على مهارة كافيّة في فرعه ما لم يكن لديه استعداد جامع في بقيّة الفروع، وهذا نادراً ما يتفق لحد ما.

وإنّ إدراك أدق العلوم وأصعب المسائل يكون يسيراً لأهل التحقيق، على الرغم من أن هذا الذهن الدقيق لأهل التحقيق قد يعجز أحياناً عن

درك النقاط الأدبية الطيفة والقول الجميل، في حين أنّ ذهن الفقيه يجب أن يكون عنده الاستعداد لدرك هذه الأمور، لأنّ الفقه يشمل جميع هذه الأقسام، بخلاف الفلسفة والرياضيات وغيرها، فكل منها يحتاج إلى استعداد خاص به.

وكذلك لأنَّ موضوع الفقه يرتبط بـ (أفعال المكلفين) التي تشمل جميع الأعمال المرتبطة بجميع الموجودات، لهذا يجب أن يكون ذهن الفقيه بشكل يُسهل عليه درك الأمور التالية:

١ - الأعداد والمساحة والحساب، التاريخ والسيرة، أخلاق الناس وعاداتهم في نقل الأحداث، وأيضاً كيفيّة تأثير هذه العادات في تغيير الحوادث - المراض النفسيّة وإخلاص النيّة في العبادات - النحو والصرف ومحسّنات القول واللغة - المعاملات والحيل في المعاملات - وعادات التجّار في طريقة عملهم وكذلك كيفية إلحاق الضرر بهم - السياسة وغيرها.

ونادراً ما يوجد الذهن المستعد لفهم كل هذه الأُمو المختلفة التي ذكرناها - والتي لم نذكرها أيضاً -.

وهكذا يعمل الشخص غير المستعد على تغيير وجه العلم، فيدفعه زماناً نحو الفلسفة، وزماناً نحو الأدب، وزماناً نحو ما يتلائم مع فكره وحسب فهمه وضميره...

فيجب على الفقيه أن يكون جامعاً لذاكرة قوية، ودقة نظر، ودرك عميق لكلام المخاطب، وغالباً لا تتجمّع هذه الصفات في ذهنٍ واحد.

وأنّ العلوم التي يحتاجها الناس كثيراً يكون القادرون على فهمها كثيرين أيضاً، وطريق الوصول إليها أسهل، كالقرآن واللغة العربية وأصول

الدين، والمعارف، والمواعظ، وبيان السيرة والأخلاق وعلم الكلام ودفع شبهات المخالفين، وقد جاءت أكثر الآيات القرآنية في هذه المجالات.

ويجب على الحكماء والمتكلّمين أن يعلموا ميزان درك مستمعيهم، ويتكلموا معهم حسب عقولهم؛ لأنّه توجد في أذهانهم أموراً - من اللوازم والملزمات - لا توجد في أذهان الخاصّة، ويتّجه ظنّهم وتوهمهم من أي كلمة إلى شيء آخر - خلاف نظر العلماء - فمثلاً إذا قيل لهم أن «الله للدنيا كالبناء للبناء»، فإنَّهم يفهمون من ذلك أنّ المخلوقات لا تحتاج إلى الخالق مع استمرار الوجود[1].

---

(١) في سماء المعرفة ص ١٢٥.

وصايا الشيخ حسين قلي الهمداني

التعريف بالشيخ الهمداني

هو من أعاظم العلماء وأكابر فقهاء الشيعة وخاتمة علماء الأخلاق في عصره... تتلمذ في الأخلاق على السيد علي التستري ففاق فيه أعلام الفن... وهو في خصوص هذا العلم (الأخلاق) لا يحده وصف، فقد مضت حقبةٌ طويلة لم يجد خلالها الزمن بمن ماثله في علم الأخلاق، وتهذيب النفس، وقد ختم به هذا الفن فلم ينبغ بعده من يكون له ما كان للمترجم بحيث يعد نظيراً له....

يقول العلامة الشهيد المطهري ضمن حديثه عن حوزة الحكيم السبزواري:

«إنَّ من أكبر حسنات الحكيم السبزواري هو المرحوم الحكيم الرباني والعارف الكامل الإلهي والفقيه المعروف الآخوند المولى حسين قلي الهمداني الدرجزيني قدس سره، هذا الرجل الكبير والكريم... تشرف بلقاء الآغا السيد علي الشوشتري وطوى مراحل السير والسلوك إلى الله لدى هذا العالم الجليل وتوصل هو إلى مقام من الكمال والمعرفة لا يُعلم له مثيلٌ إلا قليلاً، ولو كان تلامذة حوزة الحكيم السبزواري يفتخرون

بالحضور في تلك الحوزة فإنّ تلك الحوزة تفتخر بحضور رجل كهذا - المولى الهمداني. . .).

الوصايا

رسالة من رشحات القلم المبارك لمجمع الفضائل والمعاني ومفخر الأفاضل والأعالي صاحب النفس الزكية والأنفاس القدسية الذي قلبه الملكوتي مشكاة أنوار العرفان وصدره القدوسي مخزن أسرار السبحان علم الأعلام والبحر القمقام وشمس الظلام العالم الزاهد الآخوند المولى حسين قلي الهمداني قدس سره العزيز كتبها لأحد علماء تبريز.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

لا ينبغي أن يخفى على الأخوة في الدين أن لا سبيل إلى قرب حضرة ملك الملوك جل جلاله إلا بالالتزام بالشرع الشريف في جميع الحركات والسكنات وما يصدر عن اللسان من كلام وعن العين من لحظات وغير ذلك، وسلوك طريق العمل بالخرافات الذوقية - وإن كان الذوق حسناً في غير هذا المقام - لا يُوجب إلا بعداً عن القرب الإلهي، كما هو دأبُ الجهال والصوفية خذلهم الله جل جلاله، بل وحتى الذي يلتزم بعدم قص الشارب وعدم أكل اللحم، فليعرف - إذا كان قد آمن بعصمة الأئمة الأطهار عليهم السلام - أنه بعمله هذا سيبتعد عن حضرة الأحدية، وهكذا الحال لو عمل في كيفية الذكر بغير ما ورد عن السادات المعصومين عليهم السلام.

من هنا يجب أن يقدم ما ورد في الشرع الشريف ويهتم بما اهتم به. وما استفدته أنا الضعيف من البراهين العقلية والنصوص الشريفة أن أهم الأمور لطالب القرب من الله الجد والاجتهاد والسعي - بصورة كاملة - في ترك المعصية؛ فما لم تقم بهذه الخدمة، فلن ينفع قلبك لا ذكرك ولا تفكرك، إذ لا تنفع العاصي للسلطان والمنكر له خدمته له. ولا أدري أي سلطان أعظم من هذا السلطان العظيم المطلق، وأي نقار أقبح من النقار معه؟!

فافهم مما ذكرتُ أن طلبك المحبة الإلهية مع كونك مرتكباً للمعصية أمرٌ فاسد جداً، وكيف يخفى عليك كون المعصية سبباً للنفرة وكون النفرة لا تجتمع أبداً مع المحبة؟! فإذا تحقق عندك أن ترك المعصية أول الدين وآخره وظاهره وباطنه، فبادر إلى المجاهدة واعمد بتمام الجد إلى المراقبة من أول قيامك من نومك في جميع أوقاتك إلى نومك، والزم الأدب في مقدس حضرته، واعلم أنك بجميع أجزاء وجودك ذرةً ذرةً أسيرُ قدرته، وراع حرمة شريف حضوره، واعبده «كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»، والتفت دائماً إلى عظمته وحقارتك، ورفعته ودنائتك، وعزته وذلتك، وغناه وحاجتك. ولا تغفل شناعة غفلتك عنه جل جلاله مع التفاتهِ إليك دائماً، وقم بين يديه مقام العبد الذليل الضعيف وتبصبص تحت قدميه بصبصة الكلب النحيف. أو لا يكفيك شرفاً وفخراً أنه أذن لك في ذكر اسمه العظيم بلسانك الملوث الذي نجسته قاذورات المعاصي؟!

فيا أيها الأخ العزيز، لقد جعل هذا الكريم الرحيم لسانك خزانةً لجبل النور، أعني ذكر اسمه الشريف، فلا تلوثها دون أدنى حياء وخجل - وهي خزانة السلطان - بنجاسات الغيبة والكذب والقول البذيء والمؤذي

وغيرها من المعاصي، فخزانة السلطان يجب أن تعبق بأريج العطور وماء الورد لا أن تكون مليئة بالقذارات.

ومما لا شك فيه أنك إن لم تدقق في المراقبة فلن تقدر أن تعرف ما ترتكبه بجوارحك السبع - الأذن واللسان والعين واليد والرجل والبطن والفرج - من المعاصي وما توقده على نفسك بها من النيران، وما تجلبه بها على دينك من الفساد؛ وما تورده على قلبك من جروح منكرة بسيف اللسان ورمحه، فما أسعد حظك إن لم تقتله بها!

ولو أردتُ توضيح هذه المفاسد لما وسعها كتابٌ كامل، فما الذي أستطيع بيانه في ورقة واحدة؟! وأنت الذي لم تطهر جوارحك من المعاصي كيف تتوقع أن أكتب لك شيئاً في أحوال القلب؟! إذن، فالبدار البدار إلى التوبة الصادقة ثم العجل العجل في الجد والمراقبة.

وملخص الكلام؛ أنه ينبغي لطالب القرب الإلهي - بعد السعي الجاد في المراقبة - أن لا يغفل عن قيام الليل والتهجد في الأسحار ساعة أو ساعتين - كحد أدنى - قبل طلوع الفجر، ويستمر في ذلك إلى طلوع الشمس، فيصلي نافلة الليل ملتزماً بآدابها وبحضور القلب فيها، وإذا اتسع وقته فليتوجه إلى الذكر أو التفكر أو المناجاة، لكن عليه أن يقبل على الذكر مع حضور القلب في مقدار معينٍ من ليله يخصصه لذلك. ولا ينبغي أن يخلو قلبه من الحزن في جميع حالاته، فإن لم يكن فيه حزنٌ فليحصل عليه بتوفير أسبابه.

وعليه حتماً أن يتلو بعد الفراغ من الصلاة تسبيح سيدة نساء عليها السلام، وسورة التوحيد إثنتي عشرة مرة وذكر: «لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك... الخ» عشرة مرات، و«لا اله إلا الله» مائة مرة، والاستغفار

سبعين مرة، ويتلو ما تيسر من القرآن الكريم ودعاء الصباح المعروف أعني دعاء: «يا من دلع لسان الصباح. . . الخ».

وينبغي أن يكون على وضوء دائماً، ومن الحسن جداً أن يصلي ركعتين بعد كل وضوء. ويبالغ في الانتباه والحذر من أن يصيب أحداً بأذى بأي نحو كان، ويجتهد في السعي لقضاء حوائج المسلمين لا سيما العلماء وبالخصوص أتقيائهم. ويجتنب حتماً، حتماً، حتماً كل مجلس يحتمل وقوعه في المعصية فيه، بل إن مجالسة أهل الغفلة دون ضرورة مضرةٌ حتى لو لم تكن فيها معصية؛ فكثرة الاشتغال بالمباحات وكثرة المزاح واللغو واستماع الأراجيف تُميت القلب.

ولا فائدة من انشغاله بالذكر والتفكر دون مراقبة وإن أوجد فيه إقبالاً، لأن مثل هذا الاقبال والتوجه مؤقت غير ثابت فلا ينبغي الانخداع به.

لا طاقة لي على المزيد، وأسألكم جميعاً الدعاء وأن لا تنسوا هذا الحقير كثير التقصير والمعاصي من الدعاء.

وليتلو سورة القدر مائة مرة في ليلة الجمعة ومائة مرة عصر الجمعة.

ومن الأبواب العظيمة للإيمان الحب في الله جل جلاله والبغض في الله جل جلاله، وقد عقد له في الوسائل وغيرها من كتب الأخبار باباً مستقلاً فارجع إليها لعلك تعرف عظمته وتأخذ لنفسك نصيباً منه.

ولا شك أن المحبوب الأول هو الذات المقدسة لله جل جلاله، بل وكل محبةٍ لا ترجع إلى محبته فليست بشيءٍ. ثم بعده تجب محبة من كان هذا السلطان العظيم أشد حباً له، فالمحبوب الأول بعد واجب الوجود هو الوجود المقدس لخاتم الأنبياء ﷺ، ثم بعده أمير المؤمنين عليه السلام ثم

الأئمة المعصومين عليهم السلام ثم الأنبياء والملائكة ثم الأوصياء ثم العلماء والأولياء.

وليرجح في المحبة في زمانه أتقياء عصره لا سيما العلماء منهم على الذين يلونهم مرتبةً وهكذا يتنزل؛ والمهم أن يسعى من أجل أن يكون صادقاً في هذه المحبة، وهذه مرتبة ليست هينة. ولو تفكرتم في الأمر فستعرفون أن المدعي للمحبة يكون صادقاً إذا ظهرت آثارها في حركاته وسكناته وإلا فلا. ولا أظنك تصل إلى معرفة كنه هذا الأمر ولوازمه وليس في وسعي - أنا الحقير - التوضيح بأكثر من هذا.

والحاصل هو: لا طريق إلى القرب الإلهي إلا بالعمل بالشرع الشريف في كل أمرٍ كلي وجزئي(١).

---

(١) تذكرة المتقين ص ٢٠١.

وصايا الشيخ البهاري (قدس سره)

نبذة عن حياته

هو من العلماء الربانيين والعرفاء الصالحين، هاجر أولاً إلى بروجرد ليحضر حوزة آية الله الميرزا محمود البروجردي والد آية الله العظمى السيد حسين البروجردي، وبلغ مرتبة الاجتهاد وهو ابن إثنين وثلاثين عاماً، هاجر بعدها إلى النجف ليحضر حوزة المولى الهمداني السلوكية وأصبح من أخص تلامذته في السير والسلوك حتى قال عنه أستاذهُ الهمداني: (إن الحاج الشيخ محمد البهاري هو حكيم أصحابي)[١].

بقي الشيخ البهاري ملازماً لأستاذه الفقيه الهمداني إلى حين وفاة الأخير في الحضر والسفر، وقد اختاره أستاذه وصياً له في مدرسته السلوكية، فتابع منهج أستاذه في هداية طلاب الحق عزوجل في السير والسلوك إليه تبارك وتعالى.

توجه إلى مشهد المقدسة لزيارة الإمام الرضا عليه السلام في أواخر عمره

(١) راجع الذريعة ٤: ص ٤٦؛ نقباء البشر ٢: ص ٦٧٧ هـ.ش.

الشريف وبعد أن أتم الزيارة عزم على العودة إلى النجف الأشرف إلا أن المرض اشتد به فرجع إلى مسقط رأسه مدينة بهار وتوفي فيها يوم التاسع من شهر رمضان سنة ١٣٢٥هـ، ودفن فيها وتحول مرقده الطاهر إلى مزار معروف ظهرت منه الكثير من الكرامات للخواص والعوام.

الوصايا

قال رحمه الله: «إنَّ ما تلزم الشيخ أحمد ضرورته، أن يتفكر بدقةٍ وبصورةٍ سليمة ليعرف: - هل هو عبدٌ أم حر؟ فإن رأى نفسه حراً فهو أعرف بحاله فليفعل ما شاء، أما إذا عرف أنه عبدٌ وله مولى وسيد وليس حراً في فعل ما يشاء، حتى لو حرك يده فإنه مسؤولٌ عن ذلك وعليه أن يقدم الجواب الصحيح، حينئذٍ يجب أن يكون سعيه في الحصول على رضا مولاه حتى لو أسخط الآخرين عليه، ولا سبيل له إلى رضا مولاه الحقيقي جلَّ شأنه إلا باكتساب التقوى؛ ولن يتحقق الغرض الأصلي من خلقه إلا بالمعرفة والمحبة بين العبد والمولى، وأن تحصيل التقوى يستلزم توفر عدة أمور لا غنى له عنها.

أولاً: الورع عن المعاصي؛ فعليه أن يتعرف أولاً على تفصيلات المعاصي ويجتنب كل منها في محله، ومن المعاصي ترك الواجبات، لذا عليه أن يقوم بالواجبات بمقدار وسعه وحسب مواردها بعد أن يتعلم أحكامها. ولا يخفى أنه لا سبيل إلى محبته ومعرفته جل شأنه مع البقاء على المعاصي بل قد يصبح هذا سبباً للعداوة لا المحبة.

وإذا قال الشيخ أحمد: إني لا أقدر على ترك المعاصي بالكامل، لا بد من وقوعي في بعضها! فالجواب هو: لكنك تقدر على التوبة بعد

المعصية، وإن «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»، فلا ينبغي للمذنب أن ييأس من باب الرحمة حتى لو كان قد قتل سبعين نبياً، فباب التوبة يبقى مفتوحاً أمامه ويمكن أن تقبل توبته، ومولاه قادرٌ أن يرضي خصومه من معدن جوده جلت قدرته.

وثانياً: الورع عن المكروهات قدر الإمكان والعمل بالمستحبات قدر استطاعته، فلا يستصغر المكروه ويقول: (كل مكروه جائز)، فربما كان ترك أحد المكروهات أو العمل بأحد المستحبات البسيطة أفضل من كل عملٍ في التقريب من المولى جل وعلا، وهذا أمرٌ يتضح من التفكر في الحالات المعروفة.

ثالثاً: الورع عن المباحات إلا بمقدار الضرورة، فالشارع المقدس جل وعلا وإن كان قد أباح الكثير من الأمور للأغنياء، لكنه لا يحب لعبده الانشغال عنه بغيره من الشؤون الدنيوية، لذا فمن الجدير بالعبد أن يترك كل هذه الزخارف الدنيوية أو بعضها - وإن لم تكن محرمة - إحتراماً لما يحبه مولاه واقتداءً بالنبيين عليهم السلام وتأسياً بالأئمة الطيبين الطاهرين عليهم السلام.

رابعاً: أن يترك كل ما سوى الله جل شأنه، فلا يسمح لغيره سبحانه أن يجد إلى قلبه سبيلاً، كما قال الخاجة:

لا يوجد على لوح قلبي سوى إلف جمال الحبيب.

فماذا أعمل ولم يعلمني أستاذي كلاماً غيره.

وإذا قال الشيخ أحمد: وكيف يمكن الاعراض عما سوى الله وإخراج ذكر غيره تعالى من القلب مع الابتلاء بأمور المعاش والعيال والأصدقاء؟ إن تحقق ذلك بعيد ومحال حسب الأوضاع المتعارفة!

فنقول: المقدار الذي ينبغي لك الالتزام به هو أن لا تترك مجالسة من يذكرك بالله جلَّ شأنه، وأن تجتنب - قدر المستطاع - ما يزيد عن مقدار الواجب والضرورة من مجالسة من يصدك عن ذكره تعالى، يقول نبي الله عيسى عليه السلام [في جواب الحواريين وقد سألوه: من نجالس]: «مَن يذكركم الله رؤيته».

وملخص الكلام هو: أن على الذي يريد الله حقاً أن يقطع - تدريجياً - أنسه وتعلقه من كل شيءٍ، ويكون ذاكراً له تعالى باستمرار، ويجتنب كل ما سواه إلا ما كان معيناً له على ذكره فمجالستهم لا تنافي ذكره تعالى بل إن محبتهم هي من فروع المحبة الإلهية فلا تعارضها.

وإذا قال الشيخ أحمد: إن كل هذا حقٌّ ولكني لا أستطيع القيام به لأن شياطين الإنس والجن قد أحاطت بنا وهي توسوس لنا باستمرار وتصدنا عما تقول فلا نستطيع إزالة هذه العقبة بالكامل. كما أننا لو انقطعنا عن الجميع لاختل علينا أمر المعاش بل وهذا ما لا نطيقه حتى لو لم يختل أمر المعاش، فأين نحن من هذه المراتب العالية؟!

فنقول في الجواب: إذا كان المطلوب تحقق هذا الأمر دفعةً واحدة فهو كما تقول صعب لا يُطاق، بل هو أعظم مما تقول، كالجبل الذي يبدو عظيماً في عين الانسان في النظر الأولى [فيستصعب صعوده]. ولكنهم لم يكلفونا بما لا يطاق إذ أمرونا بالتدرج، ومعه لا يكون التكليف شاقاً، والناس يروضون النسر والصقر وباقي طيور الصيد بالتدريج فتصبح طوع أمرهم.

إذن، نخلص إلى القول: إنك في أي مرتبةٍ كنت وبالقوة التي تملكها - مهما كانت ضعيفة - يمكنك العمل بما تقدر عليه بيسر فإذا عملت ولم

تتهاون إزدادت قوتك أيضاً فضلاً عن تحقق ما تريده في تلك المرتبة، لأنه تعالى يدعوك في الحديث القدسي فيقول: «... من تقرب إليّ شبراً، تقربتُ إليه ذراعاً...». ولكنك لو تهاونت في العمل فإنك بذلك تعرض ما لديك من قوة للزوال أيضاً.

مثلاً، كنت تريد إحياء الليل بالعبادة لكنك نمت حتى طلع الفجر، فماذا تفعل؟ ما دمتَ انتبهتَ والصبح في أوله، فقم ولا تتهاون فإن عدم النوم بين الطلوعين هو بحدٍّ ذاته فيضٌ مستقل وتوفيق من الإله جل جلاله، فلا تحرم نفسك من هذا الفيض بالتهاون، ولا تصغ لوساوس الشيطان وقوله: لا زال الوقت لأداء صلاة الصبح متسعاً فنم قليلاً! فلا يخفى عليك مراده من هذه الوسوسة.

ومثال آخر؛ إن كنت قد جلست في مجلسٍ تحدثت فيه بالكثير من اللغو وفضول الكلام فاسود قلبك، لكنك تستطيع تركه قبل نصف ساعة من موعد انحلاله باللجوء إلى حسن التقدبير ولطائف الحيل، فاغتنم نصف الساعة هذا، قم واترك المجلس، ولا تقل: ما الفائدة من ذلك وأنا منشغل بذلك منذ الصباح؟! كلا لا تقل مثل هذا، فإنك تستطيع بهذا الموقف البسيط إصلاح الكثير من أمورك، إن شاء الله.

إذن وجب على الشيخ أحمد العمل على وفق الترتيب الذي أكتبه له فيما يلي:

أولاً: لا ينبغي له أن يضيع أي مقدار من وقته، ليخصص لكل أمرٍ وقتاً ويقسم أوقاته، وقتاً للعبادة لا يقوم فيه بغير العبادة، ووقتاً للكسب وأمور معاشه، ووقاً لمتابعة شؤون أهله وعياله، ووقتاً للنوم ووقتاً للطعام، ويلتزم بنظم هذه الأوقات ويحفظه لكي لا تضيع أوقاته جميعاً. ليجعل أول

الليل - قدر الإمكان وقت نومه فلا يسهر دونما مسوغ فيفوته الاستيقاظ آخر الليل. وليحرص على أن يغلبه النومُ وهو ذاكرٌ لربه، وأن ينام وهو على طهارة بعد أن يتلو الأدعية المأثورة عن المعصومين عليهم السلام، قبل النوم لا سيما تسبيح السيدة الصديقة الطاهرة عليها السلام . وليجتنب الجماع ببطنٍ مملوءة. وليكن استيقاظه قبل الفجر، ويسجد سجدة فور استيقاظه، وإن لم يكن يقدر على الاستيقاظ من تلقاء نفسه فليهيىء أسباب إيقاظه؛ وبعد سجدة الشكر يجيل نظره في أطراف السماء ويتلو بتدبر الآيات المباركة من قوله تعالى ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البَقَرَة: ١٦٤] إلى قوله ﴿إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عِمرَان: ١٩٤]. ثم يعمد إلى التطهر والوضوء والسواك والتعطر ويجلس على مصلاه ويتلو دعاء: «إلهي غارت نجوم سمائك...».

ثم يقوم لصلاة الليل على وفق الترتيب الذي ذكره الفقهاء - رضوان الله عليهم - مثل الشيخ بهاء الدين عليه الرحمة في مفتاح الفلاح وغيره في المصابيح وغيرهم، فيعمل به بمقدار ما يسعه وقته من الاختصار في الأعمال أو الاطالة، وعلى أي حال يخصص وقته إلى طلوع الشمس للعبادة فلا يشتغل بغيرها من الأعمال. بل يقضي هذا الوقت بالأذكار والأوراد المشروعة إذا لم يبلغ مرتبة أهل التفكر، أما إذا بلغها فليتفكر بالأمر الذي بين يديه خلال هذا الوقت فإذا رأى تفكره يجري بيسر فليتابعه بدلاً من الأوراد والتعقيبات، أما إذا رأى فكره جامداً ليترك التفكر ويتوجه للذكر، فيلاحظ أي عمل يؤثر فيه أكثر فيقدمه على جميع الأوراد، سواء كان تلاوة القرآن أو المناجاة أو الدعاء أو الذكر أو الصلاة أو السجود.

ثم يرتب أمور المنزل ويجلس مع أهل بيته بمقدار الضرورة ثم يذهب

إلى السوق، فلا يزيد على السلام في التحدث مع من يرى في طريقه ويشتغل بالذكر حتى يصل السوق، فيقرأ الدعاء الوارد عند دخول السوق، ثم يبسط بساط عمله ويشتغل بعمله وهو في حالة الذكر، فإن للذكر في السوق ثواب عظيم، إذ أن الذاكر في السوق كالمصباح في البيت المظلم، ويجتنب التدخل دون مبرر في شؤون الناس الدنيوية ولا يجمع الناس حوله، بل وحتى لا يعظ، أجل لو رأى منكراً من أحدٍ فلينهاه عنه بالتي هي أحسن إذا استطاع، أم إذا لم يؤثر نهيه فيه أو زاده عناداً، فليعرض عنه ولا يتعرض له.

وعليه أيضاً رعاية أوقات الصلوات، وليكن على وضوء في أغلب أوقاته، ويستغفر مائة مرة بعد صلاة الفجر، ويهلل بكلمة التوحيد مائة مرة ويتلو سورة التوحيد إحدى عشرة مرة، وينبغي أن لا يترك ذكر «اللهم صل على محمد وآل محمد وعجل فرجهم» مائة مرة، ويتلو الاستغفار الخاص في تعقيب صلاة العصر مع تلاوة سورة القدر عشر مرات.

وليحرص - ما أمكنه ذلك - على عدم ترك الصيام المستحب، لا سيما الأيام الثلاثة من كل شهر: الخميسين الأول والأخير من كل شهر والأربعاء في وسطه، وذلك إذا كان مزاجه مساعداً على الصوم، وإلا فرعاية المزاج أولى، لأن البدن هو مركب الإنسان فإذا تضرر البدن هوى بصاحبه، ولكن لا ينبغي - في الوقت نفسه - التمادي في الاستجابة لرغبات البدن فيطغى ويتمرد على طاعة صاحبه؛ بل إن خير الأمور أوسطها، وهذه قاعدة عامة تجري في جميع الأمور، فلا الإفراط صحيح ولا التفريط ففي كل مرتبة الخيرُ بما أوصوا عليهم السلام به: «عليكم بالحسنة بين السيئتين».

وليأت - في أي وقتٍ من الليل استطاع - بسجدةٍ طويلةٍ إلى المقدار الذي يتعب معه بدنه ويكون ذكره فيها هو الذكر المبارك: «سبحان ربي الأعلى وبحمده». وليكن كل ما يتلوه بحضور قلبٍ ما وجد لذلك سبيلاً، فلا يكون فكره شارداً إلى أماكن أخرى، كما أن عليه أن يديم العمل حتى يصبح عادةً وملكة له فلا يتركه.

ولا يتسع المقام لأكثر مما تقدم، فهذه كلمات سطرت على نحو الاختصار، وإذا استدعى الأمر فربما ستُسطر كلماتٌ أخرى لاحقاً - إن شاء الله تعالى -[١].

---

(١) تذكرة المتقين ص ١٠٣.

وصايا السيد أحمد الكربلائي

التعريف بالسيد

يصفه الشيخ الطهراني في أعلام الشيعة بأنه عالم جليل وفقيه كبير وأخلاقي معروف، ورع متقٍ زاهد وعابد عظيم، فريد دهره ووحيد عصره في مراتبه العلمية والعملية والسلوكية وفي تقواه وورعه ومعرفته بالله وخشيته منه، حتى عُرف بالبّكاء لكثرة بكائه: (... كان يصلي في الخلوات ويتحذر من اقتداء الناس به في الصلوات، وكان كثير البكاء حتى أنه لا يملك نفسه عند صلاته لا سيما في النوافل الليلية، توفي في آخر تشهد صلاة العصر يوم الجمعة ٢٧ شوال ١٣٣٢ ودفن في الصحن المرتضوي الشريف).

بلغ الكمال في تهذيب النفس والأخلاق، كان شديد الرأفة والعطف والبر بوالدته، كثير التعبد خاصة في مسجد السهلة، يختار لتعبده الليالي التي يخلو فيها المسجد من المتعبدين، وبلغ من قوة مرتبته العلمية في الفقه والأصول أن الميرزا محمد تقي الشيرازي كان يرجع مقلديه إليه في موارد الاحتياط ولكن كان يرفض بشدة التصدي للمرجعية الدينية في التقليد، في حين اهتم بحفظ المدرسة التربوية السلوكية لأستاذه الهمداني بعد وفاته

وأصبح الأستاذ المبرز في السير والسلوك خاصة بعد وفاة رفيقه الشيخ البهاري - رضوان الله عليهم أجمعين -.

ومن أبرز تلامذة السيد الكربلائي آية الله العظمى السيد علي القاضي الطباطبائي وهو أستاذ الكثير من العلماء الربانيين المعاصرين أمثال العلامة الطباطبائي صاحب تفسير الميزان وآية الله الشيخ محمد تقي بهجت، وآية الله السيد عبد الكريم الكشميري، وآية الله الشيخ الوحيد الخراساني، وآية الله السيد المرعشي النجفي، وغيرهم كثير.

الوصايا

منهج كتبه سماحة حجة الإسلام والمسلمين آية الله في الأرضين سيد الفقهاء والمجتهدين مولى العرفاء والمتكلمين، جامع المعقول والمنقول، حاوي الفروع والأصول، سيدنا ومولانا الحاج السيد أحمد الموسوي الحائري، لتلميذه.

«بسمه تعالى وله الحمد

رغم أن هذا الكلام لا يتيسر لواعظ المدينة قوله ما لم يترك الرياء والمكر ويصبح مسلماً صادقاً.

ولكن ليس صعباً تعلم التحرر من القيود وأخذ «الكرمة» فمن لا يشرب الشراب الطهور حيوان وليس إنساناً حقاً.

يجب أن ينقى الجوهر لكي يتأهل لتلقي الفيض فلا يمكن أن تصير كل حجارة أو طينة لؤلؤاً ومرجاناً.

والمريض الذي يخفي علته عن الطبيب لا يمكن أن يشفى منها دون اللجوء إلى الأسباب.

والذي يهتز رأسه وروحه للأوثان ليس أهلاً لتقديم بدنه قرباناً دون صعاب.

ينبغي الاهتمام البالغ بالإلتزام إن شاء الله تعالى بإقامة الفرائض وترك المحرمات بدقةٍ كاملة وتأمل، ويكون ذلك، بالوصية أول الصبح أولاً، وكمال المراقبة في تمام النهار ثانياً، والمحاسبة عند إرادة النوم ثالثاً، والتدارك والسياسة بالمجازاة بالضد عند المخالفة رابعاً، على التفصيل المعهود في كتب الأخلاق.

كما يلزم الاهتمام الكامل بأن يخصّص المرء في كل يوم وليلة ساعة للخلوة عن الأغيار والتوجه إلى الله جل جلاله بالمناجاة والتضرع والتبتل والخضوع والخشوع إليه. وينبغي أن يجعل ذلك في كل ليلة بين صلاتي المغرب والعشاء أو بعد صلاة العشاء، فيسجد السجدة المعهودة، ويذكر الله بعدها بما ساعد عليه التوفيق مع كمال الحضور والإقبال على الله تعالى بكليته والأعراض عما سواه بأسرهم، كأنه لا موجود سواه جل جلاله.

فإذا تعب من الذكر، أمسك بأذيال التفكر، فيفّكر في: من أنا وأين أنا؟ من أين جئت وإلى أين أذهب؟ فيتوغل في أعماق نفسه إلى درجةٍ يراها وكأنه لا يوجد غيرها في عالم الوجود. فيسأل الباري جلَّ وعلا داعياً: «اللهم عرفني نفسي». فلا أفضح وأشنع للإنسان من أن يجهل نفسه.

ويواظب باهتمام كامل - إن شاء الله تعالى على التهجد والقيام في الأسحار، وإقامة نافلة الليل بحضور قلب وإقبال كاملين، ثم بالتعقيبات بعد صلاة الفجر، وتلاوة القرآن إلى طلوع الشمس. ولا يترك إن شاء الله الاستغفار سبعين أو مائة مرة في الصباح والمساء، وكذلك التهليل

مائة مرة والأذكار المعهودة: «سبحان الله العظيم وبحمده، أستغفر الله»، عشر مراتٍ على الأقل صباحاً ومساءً، وكذلك ذكر «لا إله إلا الله وحده لا شريك له... الخ» و«ربي أعوذ بك... الخ» و«اشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له... الخ»، والاستغفارات المنقولة عن السيد ابن طاووس رَحِمَهُ اللهُ، ودعاء: «اللهم أنت ربي لا شريك لك، أصبحنا وأصبح الملك لله أو أمسينا وأمسى الملك لله...»، وكذلك الصلوات الكبيرة: «اللهم صل على المصطفى محمد والمرتضى علي... الخ».

ويهتم - إن شاء الله تعالى - بالمواظبة على تلاوة سورة القدر مائة مرة كل ليلة جمعة وعصر جمعة.

والأهم من كل الأمور المتقدمة أن يرى الله الحق جل وعلا حاضراً ومراقباً له في جميع الأحوال وفي الحركات والسكنات كافة، بحيث عليه - إن أمكنه - أن لا يغفل ولا للحظة ولا لطرفة عين، عن حضوره جل سلطانه، وأن لا ينساني - أنا المسود وجهه - في جميع الأحوال، ويدعوه سائلاً مضمون هذا البيت (بما ترجمته):

حطم النفس بشرابك الطهور القادر على تحويل كل هذا العالم الفاني إلى خراب.

وينبغي أن يلتزم - إن شاء الله تعالى - بتمام المواظبة على دوام التوجه إلى الإمام الحجة - عجل الله فرجه - والتوسل به، فهو واسطة الفيض الإلهي في زماننا، فلا يترك بعد كل صلاة تلاوة دعاء عصر الغيبة وهو: «اللهم عرفني نفسك فإنك إن لم تعرفني نفسك لم أعرف نبيك، اللهم عرفني رسولك فإنك إن لم تعرفني رسولك لم أعرف حجتك، اللهم عرفني حجتك فإنك إن لم تعرفني حجتك ضللت عن ديني»، وسورة

التوحيد ثلاث مرات يهديها لذاك العظيم - عجل الله فرجه -، ودعاء الفرج «اللهم عظم البلاء . . . الخ».

ويواظب بصورة كاملة - إن شاء الله - على أن يكون على طهارة دائماً قدر المستطاع، وينام على وضوء، ويتلو تسبيحات السيدة الزهراء عليها السلام قبل النوم وبعد كل صلاة فريضة مع آية الكرسي، ويواظب على سجدة الشكر فور الاستيقاظ من النوم، وتلاوة الآيات المعهودة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [البقرة: ١٦٤]. . . بعد الاستيقاظ لنافلة الليل مع توجه كامل لمعانيها والتدبر فيها والنظر إلى السماء والكواكب والآفاق، ولا يترك دعاء الصحيفة السجادية بعد صلاة الليل[1].

---

(١) تذكرة المتقين ص ١٧٥.

وصايا الشيخ الشاه آبادي رحمه الله

التعريف بالشاه آبادي رحمه الله

هو أستاذ السيد الخميني في العرفان، وكثيراً ما يستشهد السيد الخميني بأقواله وكلماته ومواعظه، وكان يقول عنه «روحي فداه» وقد تخرج على يديه الكثير من العلماء والعرفاء منهم السيد المرعشي النجفي.

وصاياه

قال نجله الشيخ نصر الله: «كان المرحوم والدي (الشاه آبادي) يقول: «إنتبهوا إلى مقام الزهراء عليها السلام الشامخ في نوافل الليل، واعلموا أن التوسّل بها يقرّب من الله سبحانه، ويجعل من العبد أكثر معرفة به تبارك وتعالى. ولا تغفلوا أن تصلوا عليها قبل أذان الصبح».

وكان والدي المرحوم كثيراً ما يؤكّد على القيام في الليل، والاستيقاظ وقت السحر، فكان يقول:

«لو استيقظت لأداء نافلة الليل ووجدت أنّك غير مستعد نفسياً لأدائها، فلا ترجع إلى نومك، وابق صاحياً، بل تناول الشاي. فهذه الصحوة تهيء الإنسان للعبادة».

وكان يقول أيضاً «إن الاستيقاظ في الليل يفيد في صحة الإنسان الجسمية والروحية».

وطالما قال من على منبره: «استيقظوا في الأسحار ولو من أجل دنياكم. فإن النهوض في الأسحار يوسع في الرزق ويجلي الوجه ويحسّن الخلق»[١].

وقال الحاج محمد صادق الشاه آدباي: «كان الشيخ الشاه آبادي رحمه الله يبذل جهوداً استثنائية في العلم، إذ كان يسعى لتزكية الناس وإرشادهم للتقوى، فقد جاءه عدد من الأشخاص مرة وقالوا له: نريد الذهاب إلى مشهد لغرض التزكية، قال: «تريدون التزكية؟ أنا أرشدكم إلى سبيل التزكية، إن الذهاب إلى مشهد يستغرق شهراً، فلو ذهبتم في هذا الشهر لطلب العلم، وتعلم مسائل الدين والأخلاق، فهذا طريق التزكية».

ويقول السيد الخميني: وكان شيخنا العارف الجليل يقول: «إن المثابرة على تلاوة الآيات الأخيرة من سورة الحشر الشريفة، من هذه الآية المباركة: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨] إلى آخر السورة، مع تدبّر معانيها، بعد كل صلاة، وخصوصاً في أواخر الليل، حيث يصفو القلب، مؤثرة جداً في إصلاح النفس، وفي الوقاية من شر النفس الشيطان. وكان رحمه الله يوصي بدوام حال الوضوء قائلاً: «إن الضوء مثل بزة الجندي»[٢].

روى أحد التجار، وكان من تلامذة الشيخ الشاه آبادي قال:

---

(١) العارف الكامل ص ٥٣.

(٢) الأربعون حديثاً ص ٢٠١.

«إن الشيخ خطب ذات ليلة وقال بألم: لماذا لا تبادرون (يقصد المحيطين به) للسير في الحياة المعنوية؟ ألا تريدون أن تصبحوا بشراً؟ وبعد أن إنتهى من موعظته ذهبت إليه مع عدّة أفراد وقلنا له: نريد أن نصبح بشراً، فماذا علينا أن نفعل؟ قال: سأعطيكم ثلاث وصايا، فإن عملتم بها ورأيتم آثارها فأتوني لنكمل المشوار.

كانت وصاياه الثلاث هي:

١ - التزموا بأداء الصلاة في أول وقتها. فإن سمعتم صوت الأذان أينما كنتم فاتركوا أعمالكم وأدوا الصلاة، ولتكن جماعة ما أمكنكم ذلك.

٢ - أنصفوا الناس في بيعكم وكسبكم، واقنعوا بأقل الربح، واعدلوا في معاملاتكم، فلا تفرِّقوا بين قريب وغريب، ولا تميِّزوا بين حضري وقروي، وارضوا بالربح القليل.

٣ - أدوا حقوق الله كل شهر، وإن كان لكم متسع شرعي في أدائها إلى نهاية العام.

كان ذلك في رجب، وقد عزمت على تنفيذ كل ما أوصى به، فواظبت على ذلك حتى قرب حلول شهر رمضان، وذات يوم وأنا في طريقي في سوق (باجنار) ارتفع الأذان، فحثثت الخطى إلى مسجد النائب، ووقفت أؤدي الصلاة جماعة خلف المرحوم السيد عباس آية الله زاده، فكنت أرى في أثناء الصلاة إمام الجماعة يظهر حيناً ويختفي حيناً آخر، أراه في الركوع والسجود ثم يختفي في القراءة. فلما انتهت الصلاة تقدمت إليه وقلت: أين كنت في أثناء الصلاة؟! لم أجدك. فدهش لقولي وتحيّر، ثم قال: معذرة إلى الله وإليك، الحق أني عندما خرجت من البيت كنت

منزعجاً، فكان ذهني يسرح أحياناً وراء مرارتي، ثم أثوب أحياناً أخرى إلى نفسي وانتبه فأعود إلى صلاتي.

كانت هذه أول مشاهدة حصلت لي، إذ انفتحت بصيرتي على أثر التزامي بوصايا الشيخ الشاه آبادي ولمدة شهرين ونصف فقط، ثم واصلت التزامي فجرت لي مشاهدات أخرى لا يمكن وصفها»[١].

---

(١) العارف الكامل ص ٦٨

وصايا الشيخ حسن علي الأصفهاني (قدس سره)

التعريف الشيخ

هو من كبار العرفاء وأهل المكاشفة، وأصحاب الكرامات، والقصص المحكية عنه كثيرة جداً، من أراد الوقوف عليها فليراجع كتاب «سيماء الأولياء وكراماتهم».

ومما جاء فيه:

أوردت صحيفة «اطلاعات» الإسبوعية في العدد **١٣٩٠** ليوم الجمعة **٢٨** من شهر تير عام **١٣٤٧** للهجرة الشمسية ما يلي:

كتب أبو القاسم فرزانه في الصفحة الأولى وتحت عنوان بارز عن أسرار الموت والروح والحياة، ومن أين جئنا، وإلى أين مصيرنا:

كان في خراسان رجل يرى الأرواح بالعين المجردة ويعرف عنها.

بعد أن يتطرق كاتب المقال إلى أن علامة الكمال في القديم هي كشف القبور، وبعد حديثه عن سيرة ومنزلة الشيخ البهائي، والسيد محمد كيسو دراز، والسهروردي كتب ما يلي:

وفي الوقت الحالي أيضاً كان هناك أشخاص نظير الشيخ البهائي

والسهروردي، ومما لا ريب فيه أنه يوجد حالياً من يماثلهم إلا أنهم يرفضون الكشف عن أنفسهم. وكان من بينهم رجل جليل القدر كان يسكن في مدينة مشهد، وقضى السنوات الأخيرة من عمره في قرية «نخودك» وتوفي قبل ما يقارب العشرين عاماً، عندما اذكر اسم نخودك فإن عشرات الآلاف من أهالي خراسان ومدن إيران الأخرى وحتى طهران - ممن شاهدوه، وجموع غفيرة ممن شفوا على يده من أمراض وآلام مستعصيه عجز الأطباء عن علاجها - يعرفون من أعني. وهذا الشخص الذي عُرف في خراسان وطهران وسائر المدن الأخرى باسم الشيخ النخودكي، كانت له قبل أربعين عاماً مقدرة روحية هائلة، إلا أنه كان يأبى الكشف عن نفسه بشكل لم يسبق له مثيل من قبل، ولم يكن يعرف مكانته في ذلك الزمن سوى أشخاص قلائل.

وفي نهاية المطاف انتقل في السنوات الأخيرة من حياته، من مشهد إلى قرية نخودك، حيث أزاح الستار عن نفسه إلى حد ما، وتمكن الناس من رؤية جوانب من مكانته الفريدة.

كان لي في مطلع الشباب شرف زيارته ومشاهدته عن قرب بشكل متواصل ولمدة سنة كاملة في مدينة مشهد، وكان مرد ذلك هو أن أحد أقربائي وهو الشخص الذي كان يتولى أمري آنذاك، كان من جملة الأشخاص المعدودين الذين لم يكن الشيخ ليخفي أمره عنهم.

ولما كنت - كما هو شأن الكثير من الناس في ذلك الزمن - لا أعرف عن الأفعال الخارقة للعادة «سيراتيزم» شيئاً سوى معلومات متناثرة إلا أنني شاهدت بأم عيني حادثة ما كنت في تلك الأيام أدرك مغزاها بشكل

صحيح، ولما اطلعت على أصول هذا العلم بشكل عام فهمت حقيقة ذلك الأمر إلى حد ما، والقصة هي على الغرار التالي:

كان الشيخ كلما يمر على أحد الحمامات ينقلب حاله حتى تظهر معالم التغيير واضحة على محياه، ويضطرب فجأة، والعلامة الأخرى لتغيير حاله الإكثار من الاستغفار، وتكرار قول لا إله إلا الله وبلهجة توحي بالضجر والإستياء، ولما سئل عن سبب ذلك التغيير المفاجىء في حاله قال: إن صاحب هذا الحمام مات قبل مدة إلا أن روحه كانت دنيئة وكان شديد التعلق بالدنيا، وهو إلى الآن لا يعرف مكانه ولا يدري أنه فارق الدنيا، وما انفك يطيل البكاء والعويل عند الحمام، ويشكو من استحواذهم على أمواله. وكلما مررت من هنا تسؤوني حالته.

ذكر أحد أهل العلم يقول: ذهبت برفقة الشيخ إلى مقبرة لقراءة الفاتحة، فقال لي الشيخ: أنصت أتسمع الصوت الصادر من هذا القبر؟ سمعت على أثر إنتباهه صوتاً يأتي من القبر يقول: خيار أخضر خيار طازج ورخيص، ثم أشار إلى قبر آخر فسمعته يقول: «لا إله إلا الله». فقال لي: القبر الأول كان صاحبه بقّالاً، ومع أنه قد فارق الدنيا منذ عدة سنوات إلا أنه لا زال يتصور أنه حي ويبيع الخيار. أما الثاني فكان من أهل الذكر والمعرفة، وهو يذكر الله في ذلك العالم[١].

وصاياه

نقل ولده الشيخ علي جملة من وصايا والده وهي:

---

(١) سيماء الأولياء ص ١٢٩.

وصاياه عند الإحتضار:

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

بالتقوى بلغنا ما بلغنا، فإذا انعدمت التقوى في هذا الطريق فلا تجدي رياضة النفس ومجاهدتها ولن يجنى منها سوى الخسران ولن ينتج عنها سوى الابتعاد عن الحق تعالى. قال علي بن الحسين عليه السلام: «إنَّ العلم إذا لم يعمل به لم يزدد صاحبه إلا كفراً ولم يزدد من الله إلا بعداً».

أي أن الإنسان إذا إرتاض أربعين يوماً وفاتته صلاة صبح واحدة عن وقتها، ستكون نتيجة تلك الرياضة لمدة أربعين يوماً هباءً منثوراً.

لقد فاتتني صلاة الصبح مرة واحدة طوال عمري صليتها قضاءً فمات طفلي مساء ذلك اليوم، وعند السحر قالوا لي أن لوعة الفقدان هذه جاءت جزاءً على فوت صلاة الصبح ولو أني تركت التهجّد ليلة، أبقى أتوقع البلاء في صبيحتها. أي أن ارتكاب المكروه يبعث على هبوط مقام العبد عند الله، وبعكسه يؤدي الإتيان بالمستحبّات إلى رفع درجته. ومعنى هذا أنني إذا بلغت منزلة فالفضل يعود إلى إحياء الليل والمداومة على المستحبّات وترك المكروهات.

إلا أنّ الأصل في كل تلك الأعمال وجوهرها هو خدمة ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

أوصيك يا بني بأمور هي:

أولاً: أن تأتي بالصلاة اليومية في وقتها.

ثانياً: أن تسعى جهد المستطاع لقضاء حوائج الناس، ولا تتوهم أن

هذا العمل أو ذاك عمل كبير لا تقدر على أدائه؛ لأنّ العبد إذا سار على طريق الحق، أعانه الله.

وهنا قلت له: يا أبه، أن السعي لقضاء حوائج الناس يؤدي أحياناً إلى الحط من كرامة الإنسان.

قال: وما أجمل أن تهتك كرامته في سبيل الله.

ثالثاً: أن تبدي للسادة المزيد من الإكرام والتجليل، وأن تبذل لهم كل ما لديك ولا تخش من عملك هذا فقراً ولا إملاقاً، وإذا افتقرت لا تكليف عليك من بعد.

رابعاً: لا تترك التهجّد وصلاة الليل، واجعل الورع والتقوى نصب عينيك.

خامساً: اكتسب من العلم ما يكفيك للانفكاك من قيد التقليد.

وهنا خطر على ذهني وجوب اعتزال الناس والانطواء في زاوية بعيداً عن كل صداقة ومعاشرة لأنّها تمنع من العبادة والرياضة وكسب العلوم الظاهرية والباطنية، إلا أنّ أبي فتح عينيه فجأة وقال: وأبعد عن نفسك الأفكار الوهمية فما تكليفك ورياضتك إلا خدمة خلق الله.

وأضاف قائلاً: إذا انتهى أمري صبيحة يوم الأحد، فقم أنت بتغسيلي وتكفيني ودفني إذا كانت حالتك تساعد على ذلك. كما وأوصي أن يتولى الدكتور حسن خان العاملي، وهو الطبيب المشرف على معالجته، توجيهه نحو القبلة وإجراء آداب الميت، وقال أيضاً للسيد «مرتضى روئين تن» مدير صحيفة طوس: أنت أيضاً تعال صباح يوم الأحد، واقرأ القرآن عند رأسي بعد ساعة من وفاتي.

وكان للسيد المذكور ظاهر قبيح لكن باطنه كان مثيراً للدهشة ويصدق عليه قول: إن أولياء الله غائبون في الأوباش.

امتنع الشيخ عن الكلام مع أي شخص اعتباراً من بعد ظهر يوم الخميس إلى يوم الأحد وهو اليوم الذي تنبأ أنّ وفاته ستكون فيه، وكان على الدوام في حالة مراقبة، وفي ليلة الجمعة رفع رأسه فجأة وألقى نظرة على الباب وقال: «أيها الشيطان لن تجد إليّ سبيلاً فكل وجودي مليء بمحبة علي عليه السلام».

ولما حل يوم السبت همس: لقد ضيّقوا علي في الذهاب ولهم معي عتاب يقولون فيه: أنت الذي كنت تتمنى في هذه الدنيا الحضور بين يدي الرضا عليه السلام، فما الداعي في أن تضحك بين الحين والآخر؟! نعم، لا جرم «إن حسنات الأبرار سيئات المقربين».

وأخيراً حل صباح يوم الأحد والساعة الأخيرة من حياته، فذبحنا خروفاً بأمر منه نذرٍ للزهراء عليها السلام، وتوفي قبل ساعة أو ساعتين من شروق الشمس ليوم السابع عشر من شعبان عام **١٣٦١** للهجرة القمرية، فأفلت شمس روحه من أفق الحياة وأشرقت في عالم القدس: ألا أن أولياء الله لا يموتون بل ينتقلون من دار إلى دار(١).

بعض رسائل الشيخ - قدس سره -

١ - كتب الشيخ هذه الرسالة لحفيد آية الله الميرزا حسن الشيرازي الكبير أعلى الله مقامه الشريف:

«السيد الأورع الأتقى العالم العامل...».

(١) المصدر نفسه ص ٣٨.

أسأل المحب الأوحد، وخالق الليل والنهار ومحرك الفلك الدّوار أن يجعلك في سلك الأبرار والأخيار ويحشرك مع شهداء دار القرار والمعتصمين بآثار الأئمة الأطهار بحق الحق والنبي المطلق. إن قلبي لفي قلق عليك، واهتمامي بك أكثر من غيرك والشاهد على ذلك قلبك الشريف.

أوصيك بأن ترفع نفسك عن هذه الدنيا الدنية فإنها ليست بدار القرار ويجب عنها الفرار، ولا تكن ممن أراد الله أن يرفعك، وتريد الخلود، فإنه تعالى قال: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٧٦] وأسأل الله أن يريك حقيقة الدنيا حتى تفر منها فراراً ولا تطلب منها قراراً، وصر صاحب الهمة العالية، فإذا رافقتك الهمة لا تنظر إلى هذه الخسائس الرواجس. إن أصحاب الهمم العالية لا يشغلون أنفسهم بالأمور الدنيئة، ويرون أنفسهم أرفع منها. واقتد بآبائك الطاهرين واسأل الله أن يدخلك في الصراط المستقيم ويجعل كتابك في عليين، قال أبو عبد الله لولده إسماعيل: «يا بني اجتهد في تعلم علم السّر فإن له بركة كثيرة أكثر مما يُظن، يا بني من تعلم علم العلانية وترك علم السّر يهلك ولا يسعد، يا بني إن أردت أن يكرمك ربك بعلم السرّ فعليك ببغض الدنيا واعرف خدمة الصالحين واحكم أمرك للموت، فإذا اجتمعت فيك هذه الخصال الثلاثة يكرمك ربك بعلم السّر».

٢ - كتب الشيخ هذه الرسالة رداً على شخص كان قد طلب علم الكيمياء:

«يا طالب طريق الله! ويا سالك طريق الهدى! إن البحث عن الكبريت الأحمر مضيعة للعمر، التفت إلى التراب الأسود فهو كله كيمياء.

يا أخي كن على ثقة أن قنطار الذهب الأحمر ليس له مقدار ذرة من النفع والتأثير لمن يدخل من هذا العالم إلى ذلك العالم. وإذا فرضنا أن أحداً قضى عمره في البحث عنه وناله، ثم جاءه الأمر بالانتقال إلى ذلك العالم، فبعد الذهاب من هنا لا ينفعه هذا العلم هناك مقدار ذرة. إذن فعليك البحث عن إكسير ينفعك في ذلك العالم أيضاً، وذلك الاكسير أنزله الحق على نبي الحق محمد بن عبد الله ﷺ وهو قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥].

وعلى الإنسان البحث أولاً عن مقدمته إلا وهي الخشوع، ثم ينطلق منها لإيجاد ذلك الأكسير، ولا شك أن من يكسب ذلك المقام يفلح، ولكن يكفيك أن تعلم أن من يطمح إلى أن يصير خطاطاً، لا يتيسر له ذلك بسهولة بل عليه أن يتحمل المشاق وأن يثابر في جهده لكي يستقيم خطه، فذلك مما لا يتيسر إدراكه منذ الخطوة الأولى. وكذا الحال بالنسبة لحضور قلب الإنسان إذ هو في مستهل الأمر صعب، وعليه التقيد بأداء الصلاة في أول وقتها، ولغرض أداء الصلاة في أول وقتها يجب عليه الكف عن أي عمل، ثم عليه إدراك معاني كلمات الصلاة ثم يلتفت إلى ما فيها من نقاط ومزايا أخرى، وعليك كذلك أن تسعى لفهم معنى الصلاة جيداً والالتفات إلى المفاهيم التي تحملها تلك الكلمات، وأرى أن الأصل في جميع الأعمال هو الانتباه لمعنى الصلاة، وتأتي بقية الشؤون في المرتبة اللاحقة.

٣ نورد فيما يلي مقتطفات مختارة من عدة رسائل كتبها الشيخ (قدس سره) إلى أحد السادة العلماء من أهالي دزفول:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

«أسأل الله أن تكونوا ممن يشملكم بلطفه ويحيطكم برعاية الأولياء ولا سيما حضرة ظل الله في العالمين. وصلتني رسالتكم الكريمة، ولكن لا أدري ماذا أكتب لكم.

نقف في كل يوم خمس مرات بين يدي بارىء الخلائق وفي كل مرة نكرر «إهدنا الصراط» مرتان. وقد أرسل ١٢٤ ألف نبي، وربما كان في إزاء كل نبي عشرة أولياء على أقل تقدير، وكلهم جاءوا للهداية إلى الطريق.

يقول أحد الأنبياء في مناجاته: «ربي أين الطريق إليك» فجاءه الرد: «دع نفسك وتعال» لقد كانت تدور في ذهني بعض الأفكار عند دخول الروضة المقدسة، لكنني رأيت أن اهتمامكم في موضع آخر، ولنعم قول من قال:

هوى ناقتي خلفي وقدامي الهوى

وأني وإياه لمختلفان

ولكن بعد مدة اتضح لي مصدر ذلك البلاء. إن الشهرة التي حصلت عليها اليوم وأحمد الله عليها إنما كانت بمضمون: «كم من عثار وقيته وكم من ثناء جميل لست أهلاً له نشرته»، وقد ستر على عيوبي بمضمون الحمد الذي أردده يومياً: الحمد لله الذي ستر عورتي ولم يفضحني بين الناس ولذلك صار الكثير من الناس ينسبون أنفسهم إليَّ، فهناك شخص كذاب يدعي بعض الأعمال ويقول: أخذت هذا عن فلان، فيقول بعض

الأصدقاء: لو قال لي فلان، لكان الأولى أن يقول لنا. ولما صارت سالبة بانتفاء الموضوع ويعمد مثل هذا الشخص إلى الأكاذيب لترويج بضاعته، فما هي التأثيرات الوخيمة التي تنجم عن ذلك، لكن الله تعالى هو الحافظ منها.

والمثال الثاني هو أن شخصاً توفي فذهب صهره إلى فلان ليأخذ عنه العلم، وكان فلان يدعى ذلك وأعطاه نسخة، وبقي المسكين منشغلاً بها لمدة سنة كاملة لكنه لم يحصل على أية نتيجة فعاد إليه مرة أخرى وأخذ بعض التوصيات ورجع. وبعد سنتين من الجهد لم يحصل على شيء. أراد الرجوع إليه ثالثاً لكنه توفي.

أما أنا فلدي نسخ بخط الأساتذة قد يبلغ عددها حوالي أربعمائة نسخة وكذلك نسخ بخط غير صاحب العمل لكنها نسخ صحيحة ويقرب عددها من ثلاثة آلاف نسخة، ولكن عندما أنظر ألاحظ أن هذا العمل ليس في ناصية الشخص الذي يطلبه، أو إذا كان موجوداً لم يحن وقته بعد، واعلم حينذاك أنني إذا قلت له شيئاً، أضيّع وقته وماله أيضاً لذا ألتزم الصمت، لكن الناس يتصورون ذلك بخلاً مني، والله يشهد أن الأمر ليس كذلك.

لما رأوا أحوال الناس على هذه الشاكلة قالوا: هذا زمان السكوت وملازمة البيوت، لأن صفة الناس في هذا الزمان التصرف وفقاً لأهواء الناس، حتّى الواعظ والخطيب والمفتي.

ورد في الحديث أن الله سبحانه وتعالى يقول: «لا تجعل بيني وبينك عالماً قلبه مفتون بحب الدنيا فإنهم قطاع طريق». «وسئل النبي عيسى عليه السلام: من نجالس؟ قال: من يذكركم الله رؤيته، ويزيدكم في العلم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله» إلاّ أن الناس يطلبون من يدلهم على

الدنيا ويوصلهم إليها. ومثل الناس مثل البقال الذي مات أبوه فذهب ليجد من يصلي ويصوم له بالأجرة. وكان لديه دبس سقطت فيه فأرة وماتت، فاتفق مع رجل أن يصلي ويصوم عن أبيه لمدة سنة ويعطيه في المقابل ذلك الدبس كأجرة له.

وبعد ذلك لما قدّم له البقال الدبس واراد أن يظهر التنسّك فقال له: إن الدبس الذي قدّمته لك مقابل الصلاة، كانت قد وقعت فيه فأرة فأرجو أن تحللني وتهبني. فقال له الشخص المذكور: لقد حللتك ووهبتك ولكن بشرط أن تحللني أنت أيضاً وتهبني. فسأله: وعلى م؟ قال: في هذه الصلاة التي تعهدت بأدائها كنت كلما ركعت تخرج مني ريح ولم أكن أعرف سببها، والآن قد عرفت ذلك.

هؤلاء الناس يبغون واعظاً يتماشى ورغباتهم الدنيوية، ثم يكون كمرحلة أخرى مفيداً. أيضاً لآخرتهم. والأمور اليوم كما تشاهدونها تسير على هذا المنوال، فظهرت شتى الحيل، وكثرت أساليب التهافت على الدنيا ﴿فَٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ هَلۡ تَرَىٰ مِن فُطُورٖ﴾ [المُلك: ٣].

منذ أوائل مرحلة تكليفي حيث فرض على صوم الأيام البيض، وقراءة آية «قل إنما» وترديد هذه الآية: ﴿فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾ [الكهف: ١١٠] ثلاثة آلاف مرة خلال هذه الأيام الثلاثة على هذا القلب القاسي إلا أن هوى اللقاء لم يفارق ذهني إلى الآن. فلا بد من ترك الرغبة في الدنيا ﴿لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا﴾ [الطّلاق: ١].

يقول النبي عيسى عليه السلام: إنَ الزق ما لم يتخرّق أو يبخل يوشك أن يكون وعاء للعسل. ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ فِيهَآ أَنۡهَٰرٞ مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ وَأَنۡهَٰرٞ مِّن لَّبَنٖ لَّمۡ يَتَغَيَّرۡ طَعۡمُهُۥ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ خَمۡرٖ لَّذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنۡهَٰرٞ مِّنۡ عَسَلٖ مُّصَفّٗىۖ﴾ [محمد:

١٥]. فيا إخواني عليكم بموعظة الشيخ حتى تحيى قلوبكم الميتة واعملوا عملاً صالحاً لعل الله برزقكم لقاءه.

ابـــذلـــوا أرواحـــكـــم يـــا عـــاشـــقـــيـــن
أن تـــكـــونـــوا فـــي هـــوانـــا صـــادقـــيـــن
تـــهـــون عـــلـــيـــنـــا فـــي الـــمـــعـــالـــي نـــفـــوســـنـــا
ومـــن طـــلـــب الـــحـــســـنـــاء لـــم يـــغـــلـــهـــا الـــمـــهـــر
فـــالـــروح أول نـــقـــداً تـــأتـــي بـــهـــا
وفـــي وصـــلـــنـــا أن كـــنـــت مـــن خـــطـــابـــنـــا

لقد أكدت لك مراراً بأن الباب قد أغلق اليوم، وأنت تقول أن السالكين ذهبوا وبلغوا منازلهم، والأمر ليس كذلك، ونعم قول القائل:

كـــذبـــتـــك عـــيـــنـــك أم رأيـــت بـــواســـط
غـــلـــس الـــظـــلام مـــن الـــربـــاب خـــيـــالا

لقد مضت مدة وأنا لا أرى الناس إلا على طائفتين لا ثالث لهما: طائفة المحتالين: وهي منهمكة بحيلها، والطائفة الأخرى هم الناس المخلصين الصادقين الذين يظنون السراب من قبل أن يرونه ماء، ويظنون المسك المغشوش مسكاً خالصاً، لكنني لم أر شخصاً بلغ غايته حقاً، إلا أن هذا لا يجب أن يؤدي إلى ترك السلوك، لأنّ هناك فرق شاسع بين الناس الجالسين خلف هذا الباب وبين الذين فقدوا في البراري كفرق السماء والأرض، وذلك لأن الفئة الأولى يعلمون أن معشوقهم في هذه

الدار إلا أنه أغلق الباب بوجوههم، بينما الفئة الثانية لا يعلمون في أي بئر سيقعون في نهاية المطاف في هذه الصحراء أثناء الليل المظلم.

أجل، الفرق شاسع بين من يعلم أن الطريق الذي يسلكه هو الطريق القويم، ولكن من غير المعلوم متى يبلغ غايته، وهو يعلم أيضاً لو أدركه الموت فقد وقع أجره على الله، وبين من هو حائر في صحراء الضلالة يتجه يوماً شمالاً ويوماً جنوباً، ولا يدري في أي بئر يسقط في آخر المطاف.

وذكرت أيضاً أنه لا علاقة لك بالآخرين فاعلم أن لكل أمر ملاكات متعددة، فأحياناً إذا أنقذ الإنسان إنساناً، ينقذه الله من المهالك، وأحياناً يأتي الحكم بأن: ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ﴾ [التحريم: ٦] ويقال «لا تجعل رقبتك للناس جسرا» أي أن القبض والبسط من مستلزمات الطريق، لكي يعلم أن كل الحسنات منه، وكل السيئات منّا، إذ ورد في الحديث: «أنا أولى بحسناتك».

على كل حال أشير إلى أن الباب مغلق اليوم، ولا فتوحات كالسابق، ولكن هذا لا يعني أن يترك المرء الطريق وينام.

ثابر ما استطعت على الصلاة في أول وقتها، وعلى حضور القلب اثناء الصلاة، وعلى تلاوة عدة آيات في الأسحار والتدبر في معانيها.

لا أعلم في أي وقت صار العمل والموانع الداخلية والخارجية حائلاً تحول بيننا وبين الغاية والمقصود. وأؤكد هنا أن بعض المواضيع لا يمكن الإفصاح عنها كتابة. لكنني أعرض على جنابكم قضيتين، الأولى: هي أن على الإنسان بذل قصارى جهده للتأكد من أن الطريق الذي يسلكه طريق الحق، وإذا ما اتضحت له حقيقة الطرق ولم يفتح له الطريق خلال عدة

أيام فلا ينبغي له الإستياء من ذلك، ولا يجوز له دخول الطريق من غير معرفة فيبقى في ريب من أمره حتى النهاية ولا يدري أهذا هو الطريق الحق أم لا؟ وهل هذا الدليل صادق أم كاذب؟ والثانية: هي أن الإنسان إذا أدى ما عليه فإن الله يعينه في أي زمان وفي أي مكان ﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البَقَرَة: ١٥٣].

تعمق في باطن الصلاة، وطالع كتاب أسرار الصلاة للشهيد الأول، وتأمل في آيات القرآن، واقرأ صباح كل يوم واحدة من المناجاة الخمسة عشر، وعند الإنتهاء منها أبدأ من الأول، وأكثر من قراءة الآية الشريفة: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ﴾ [الطّلَاق: ٢] مع التدبر في معانيها، ونرجو أن يكون في ذلك الصلاح بإذن الله.

أوصيك أن تظهر للأعزاء بأن طريقة فلان هي غير الطريق الذي سمعتم به، وليعلم الجميع أن طريقتي تراعى فيها جميع الجوانب الشرعية على أتم وجه، خلافاً لسائر الطرائق الأخرى التي لا تعير للشؤون الشرعية الاهتمام المطلوب. كأمثال السيد حسن المرتاض الذي قال: حتى إذا قال المعصوم أن صيام الأيام البيض حسن لا أصغي إلى كلامه. أما في طريقة العبد الفقير فهناك اهتمام بالغ وخاصة بالصلاة، إذ عليكم بذل كل اهتمامكم بها، واعلموا يرحمكم الله أن مدار الأمر يدور على ثلاثة أشياء: السهر، وأكل الحلال، والتوجه في الصلاة وحضور القلب فيها.

وأنوه هنا إلى الأدعية التي أرسلها إلى الأحبة، عليهم بقراءتها. أن الجميع يشكون بأن الحاج الشيخ لا يعطينا توصيات بالذكر القلبي. والحقيقة أنه لا يروقني التصريح ببعض الأُمور إذ اعتبر الطريقة المعهودة لديهم سابقاً مغلوطة ومضطر للقول بوجوب الانطلاق من جديد. إنني في

الحقيقة لست أهلاً لذلك إلا أن الإذن صادر من شخص كامل، فلذا حينما أصدر الوصايا لأحد فإنما مرادي كلام ذلك الرجل الجليل.

وأؤكد هنا تمام التأكيد على الصلاة لأنها معراج المؤمنين، وليس المهم عندي أن يرى الإنسان في المنام رؤيا لمرة او مرتين أو أن يشاهد وقت الذكر نوراً بل يتلخص جوهر الأمر في قضيتين، أحداهما: الطعامَ الحلال، والثانية: الإنتباه في الصلاة: فإذا صلحت هاتان صلح ما سواهما. ولب اهتمامي هو إصلاح القلب، وما ذكر «يا حي يا قيوم» في الأسحار إلا لهذا الغرض، ولكن الأصدقاء غير مطلعين على طريقتي، فهم يعرفون الطرائق المتعارفة المتداولة اليوم، أمّا أنا فلا أعتقد بذلك أبداً، ولهذا السبب كثيراً ما تطرح عليَّ الإعتراضات. ولو أنهم التفتوا إلى الأمر عدة أيام لاتضحت لهم حقيقة الحال.

أرجو لكم التأييد والموفقية الدائمة. إن الموضوعات واضحة، لكنك ذكرت بأنك كتبت في رسالتك السابقة أن الذين ذهبوا يشكلون حائلاً ومانعاً، إلا أنني كنت قد كتبت: أولاً أن البعض قد ذهبوا، فدعك عنهم. كنت أرغب في الاطلاع على أطوار السابقين لأرى كم كانوا يقرعون هذا الباب أو ذاك. نلاحظ اليوم أن البعض قد فتح له دكانا ونصب فخا، فإذا كان الصيد هزيلاً لا لحم فيه فهو تمهيد لصيد أكثر لحماً ويقولون أن المريد لا بد وأن يكون مروضاً للغزلان، أي أن يوقع الناس في شباكنا بشتى سبل الكذب والاغواء، فهو لحلوائهم هاضم ولدينهم حاطم. نفسي لك الفدى، هؤلاء هم الذين كتبت لك عنهم: قد ذهبوا فدعك عنهم. وقد بينت لك مراراً بأن عيني قريرة اليوم بك وبأمثالك لأنكم على هذه الدرجة من العفة، ولا أدري أن كانت كل عباراتي هذه تساوي شيئاً أمام وسوسة واحدة!؟

أمسك النبي موسى عليه السلام في المرة الثانية بالخضر عليه السلام ورفعه وضربه بالأرض وجلس على صدره ورفع قبضته ليضربه على رأسه قائلاً: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: ٧٤]؟ ولما أجابه الخضر عليه السلام: ﴿أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٢] قام عنه موسى عليه السلام واعتذر إليه، ولم يقل له الخضر عليه السلام شيئاً. ولكن عندما قال موسى عليه السلام: ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧] قال له الخضر عليه السلام: ﴿هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾ [الكهف: ٧٨] قال: هذه طريقة الاجراء لا منهج العشاق، فلا تقرن العبادة بالأجر كالمتسولين.

طالما أكد كبار الفضلاء على اجتناب مجالسة المنكرين، وقالوا أن الضرر الناتج عن وسوسة واحدة لا يمكن إزالته بعد سنوات متمادية: ﴿رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا﴾ [فصلت: ٢٩].

ذكر أهل الفضل حكاية بنت كيخسرو وعشاقها الذين افترشوا الرماد، فيا ليت شعري أن يكون إخلاصي لأهل البيت كذلك، وادعوا الله الثبات على هذا الإخلاص، إلا أن مستلزمات الطريق من نمط آخر، والحقيقة أنني لست أكثر من خادم. من المؤكد أن الرفض أو القبول إنما هو عمل آخر ليس من شأني. فعندما كتبت لك أن هناك شخصاً كان يدعي السلوك ويعتبر نفسه سالكاً للطريقة، رأيت في إحدى الليالي شخصية كبيرة تنادي عليه ببيت شعر هذا معناه: «أيها الأعرابي لن تبلغ الكعبة فالطريق الذي أنت فيه يؤدي إلى تركستان».

كتب مؤلف كتاب مرآة المحققين يقول: إنَّ النطفة على كثرة عددها لا يخصب منها سوى عدد قليل، أما البقية فتكون سقطاً، ومن هذه أيضاً لا يولد إلا القليل، وسواهم يموتون في مرحلة الطفولة، فكم من هؤلاء يبلغ

سن التكليف، وكم منهم يطلب طريق الله، وكم منهم يذهب إلى أن يدخل واحد منهم في طريق الله ويسلك هذا السبيل. ومن الواضح أن الشروط التي يتطلبها السلوك كثيرة ومتعددة.

لا أدري ما الذي حصل فلم يبق شخص واحد يعرف كلمة واحدة عن شروط السلوك، وليس لدى الناس إلا الإعلان عن رغبتهم في طلب هذا الطريق، والسلام عليكم.

على كل حال أسألكم الدعاء أن لا يجعلنا الله في موضع الإبتلاء، وفُرَّ من الناس فرارك من الأسد والأفاعي.

نفسي لك الفداء، إننا نعيش اليوم في عهد آخر زال فيه الصدق والإخلاص. ولا يتصور الناس تلك المثل سوى أساطير ويسمون الداعي إليها سفيهاً لا عقل له، كان الناس فيما مضى من نمط آخر، فقد سأل شخص عن حديث: «علماء أُمتي كأنبياء بني إسرائيل، أو أفضل من أنبياء بني إسرائيل» فأعطى الجواب، وطبع ذلك ونشر. أنتم تعلمون أنهم أتوا بأفعال تفوق إحياء الموتى بكثير. فقضية إحياء النفس كانت قائمة، ولكن هناك أفعال وأنوار فوق ذلك.

وعليك أن تعلم بأن مثل هذه العناوين لا يستطيع مثلي بلوغها، فأنا أرى اليوم أن الطريق مغلق، وما أقوله لك هو عين الواقع. كانت في ذهني فكرة عن جنابكم وهي أن يكون هناك شخص مثلي مجيب إذا ساله شخص مثلك ومن طلاب هذا الطريق يقدم له مثل ما أعرضه على جنابك. لكنك سألت عن كيفية سلوك أودية الفقر السبع، فقلت لك أن الطريق مسدود. أما إذا كان الغرض أن أنسب هذه المواضيع إلى نفسي فإنني لا أفعل: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ [الكهف: ١١٠] ومرادي من القول

بانسداد الطريق هو هذه الأودية السبعة التي كانوا يقطعونها فيما مضى. وأما مرادي من القول أنه كانت في ذهني فكرة عن جنابكم فهو أن أعرض عليك سلوكي، ونعم قول من قال: «هوى ناقتي وقدامي الهوى».

أشرت إلى أن جوهر طريقتي يتلخص باستحضار القلب في الصلاة والتركيز على معانيها وما تشتمل عليه من نقاط شيئاً فشيئاً. أي أن الأشخاص الذين يرغبون باتباع طريقتي عليهم أولاً فهم المعاني الصورية للصلاة، ثم التأويلات المعروضة ومن بعدها النقاط الأخرى، بنفس النحو الذي ذكر عن الإمام الصادق عليه السلام في تكرار عبارة «إياك نعبد» حتى غشي عليه. لا أن يتجاهل المرء الأحكام الشرعية ويركز كل همه على الأذكار. فالحقيقة لا بد وأن تستقى من الشريعة.

إنني طالب لهذا المقام وسالك لهذا الطريق، وعليكم أن تبينوا لمن يريد السير على هذا الطريق أن الحقيقة التي نسعى إليها نستقيها من هذه الشريعة لا من موضع آخر، وبنفس الطريقة التي سار عليها الأئمة عليهم السلام وبلغها مشايخنا. أن الطريقة التي يتبعها الآخرون تختلف عما لدينا، وما نحن بسائرين عليها. والله يعلم أن رأيي فيكم هو غير ما تصورتم. لأن كل ما لدي إنما كسبته بهذه الطريقة. وليس لي إلا الصبر إزاء ما لم يقضيه الله.

كـــن عـــن أمـــورك مـــعـــرضـــا

وكـــل الأمـــور إلـــى الـــقـــضـــا

نفسي لك الفداء، هذه هي طريقتي ودع تصرفك جانباً، وكل أمرك إلى الله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزُّمَر: ٣٦] أدعو الله بتعجيل الفرج، ولكن

عليك أن تضع تصرفك جانباً، لأن التوكل يعني إيكال الأمر إلى الله.

سبق وأن كررت القول أن هذا الكلام ليس من عندي بل من قبل شخص جليل، وهو نفس الشخص الذي قال لك في المنام: «أنت أيضاً ذهبت» أما بالنسبة للأذن بكتابة الدعاء فقد أذنت لك بما يتعلق بي منه. إلا أن ما يتعلق به فقد قلت لك وقلت لا أريد. ولا شيء سوى ذلك بيدي، فالنسبة لي أبديت إخلاصي إلا أن جنابك رفضت.

لقد بينت لك أن حوالي ٢٠ أو ٣٠ شخصاً كانوا قد عقدوا عليك العزم وسلكوا الطريق بحرارة بتشجيع منك، إلا أنك أوقعتهم في الحيرة نتيجة لكلام تلفظ به شخص آخر، مع أنني ذكرت لك بأني رأيت في المنام قبل عدة أشهر بأن هناك شخصاً كان يكثر الادّعاء والتبجح فجاءه شخص كبير وقال له بيتاً من الشعر خلاصته: أنك لن تصل إلى القبلة أيها الأعرابي فالطريق الذي تسلكه يؤدي إلى تركستان.

ومع كل هذا فقد اتبعته، ولما استرشدتني قلت لك: إنني لست أهلاً لذلك لكنني فضلت أن أعرض عليك شيئاً لكي تنشغل به ولا تشعر بالفراغ، وعندما يتاح لك العثور على شخص كامل، تعمل بتوصياته وتترك ما سواها. فإذا وصلت إلى الشخص الكامل لا يتبقى لك أي شأن معي.

إذن فمن الأفضل أن تنشغل بهذا، ولا حاجة لأي إذن جديد.

أما عن المشاكل التي تعصف بهذا العصر، فلا تغفل عن نحس الأيام. ولا أدري إن كنت قد جربت السير في الصحراء أثناء هبوب ريح معاكسة لاتجاهك فتمنعك من المسير. لقد تعرضنا في إحدى الليالي لمثل هذا الموقف وكانت الريح شديدة وتحثو الرمال في الوجوه، فلا الناس كانت لهم قدرة على الحركة ولا الحيوانات. وهكذا الأمر اليوم حيث

أضحت الريح المعاكسة حائلاً دون مسير السالكين. أضف إلى أن القبض والبسط هما اللذان يصقلان السالك، فكلما امتد القبض يمتد في إزائه البسط.

يجب على الإنسان الدقة أولاً ليكون على يقين من أحقيه الطريق الذي يسلكه وحينما يدرك أن الطريق سالك لا عثار فيه لا يغتم بعد ذاك إذا ما تأخّر في بلوغ هدفه: فقد قال تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النِّساء: ١٠٠].

هناك مثل شائع يقول: «ماذا يبغي الأعمى؟ عينين بصيرتين». لكن القضية المهمة في هذا الطريق هي عدم جدوى «قلتم وقلنا» وليس غرضي أن يبقى الإنسان ساذجاً يصدق كل ما يقال لأن هذا قبيح أيضاً، لا سيما في هذا الزمن الذي كثرت فيه القوالة.

خليلي قطاع الفيافي إلى الحمى
كثير وان الواصلون قلائل

على المرء أن يتحرى الدقة في مستهل الأمر، لكيلا يقع ضحية للمحتالين ومن هم ليسوا أهلاً، ولكن بعد أن يفهم أن الدليل أهل لذلك عليه أن يترك «قلتم وقلنا» ويهتم من بين كل الأمور بجانبين مهمّين، هما: حلية الطعام إذ ينبغي عليه إبداء منتهى الدقة في ذلك، لكن لا بالقدر الذي يقيد كل نشاطه وعمله، بل بالقدر المستطاع، والآخر هو حضور القلب في الصلاة وأدائها في أول وقتها لأن «الصلاة عمود الدين إن قبلت قبل ما سواها»، لقد فقدنا ظواهر الشرع تدريجياً، وكلما استحكمت الطريقة الأصولية وهنت في مقابلها طريقة الاحتياط حتى بلغ الأمر إلى ما بلغ

فعليكم بالتقيد بالظواهر والمستحبات والاحتياط ولكن بالنمط الأوسط.

قسّم فترة ما بين الطلوعين إلى أربعة أقسام: الأول للأذكار والتسبيح، والثاني للأدعية، والثالث لقراءة القرآن، والرابع للتفكير في أعمال اليوم الماضي، فإن كنت قد وفقت للطاعة فاشكر، وإن كانت قد صدرت منك - لا سمح الله - معصية فاستغفر.

ثم عليك ايضاً أن تتصدق كل يوم ولو بالقليل، وفكر في الليل بتفاهة الدنيا وعدم دوامها ولاحظ كيف تسير مع أهلها.

يقال أن للإنسان ثلاثة أنواع من الأصدقاء: الأول كالغذاء يحتاجه يومياً، والآخر كالدواء لا يحتاجه إلا مرة في العام، والثالث كالسم لا يحتاجه مطلقاً.

عليكم أن تؤدوا غاية الشكر هذه الأيام التي اقتلعت فيها ريح الغضب الإلهي جذوع الأشجار القديمة ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ﴾ [القمر: ٢٠].

لقد وفقكم الله تعالى للذكر، فعليك بالصبر والتضرع ففي ذلك الصلاح إن شاء الله.

«إن لربكم في أيام دهركم نفحات» أن الأعزاء يكثرون الشكوى من الهواجس النفسية، فأوصهم بالتدبر في الآيات الأخيرة من سورة الفرقان التي تبدأ بـ ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفُرقان: ٦٣] فانظر كيف يبين الباري جلّ شأنه صفات الأشخاص الذين ينسبهم إلى نفسه. فتأدبوا بهذه الآداب ما استطعتم ولا تفرطوا بوصية الله والرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام والمشايخ الكرام وهي التقوى.

نعم هذا الزمن هو زمن التقدم، فقد ارتقى مشايخ هذا الزمن حتى صاروا أعلى من الأئمة عليهم السلام وبدأوا يعطون الأذن لمريديهم بالاستحواذ على أي مال وأينما كان، بينما لم يصدر من الأئمة مثل هذا الحكم قط بأن نأذن لكم بالاستحواذ على أي مال كان.

كان قطب الاقطاب الشيخ صفي الدين الأردبيلي الذي يعتبر بحق شمساً لا بديل عنها، يؤكد على هذا الجانب بشدة إلى حدّ أنه حينما التقى مع علاء الدولة السمناني في مجلس السلطان، ولم يتناول الشيخ من الطعام شيئاً، قال له السلطان إذا كان طعامي حراماً فلماذا أكل منه علاء الدولة؟ وإذا كان حلالاً لماذا لا تأكل؟ اعتذر الشيخ بأن علاء الدولة بحر والبحر لا يتنجس. وحتى أنه رد على أحد مريديه الذي اعترض على الشيخ على أساس أنه أكل من مال القبيلة الفلانية وهم لصوص، قائلاً: يا ولدي ومتى وافقت أنا؟ ولم يقل: أنا قطب ولا إشكال في أن آكل ما أشاء.

إنني ومنذ مطلع سني لم أخالط الناس، ولم أكن قد بلغت حد الحلم حتى قرأت في أحد الأيام في كتاب مجمع البحرين حديثين، أحدهما: أن معروف الكرخي قال للإمام الصادق عليه السلام: أوصني يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله. قال: «أقلل معارفك» فقال: زدني، قال: «أنكر من عرفت». لا أدري فحوى هذه الحكاية، فالباري تعالى يقول: «يا داود تريد وأريد ولا يكون إلا ما أريد» وعندما أردت الزواج يقيني أنه إذا كان هنالك بئراً قد حفر لي فسيكون مثل هذا الاحتراز تمهيداً لسقوطي فيه. فسألني: وماذا يعني الاحتياط مع وجود هذا التصور؟ قلت: أمر وأنا ملزم بالاهتمام به وأدائه على خير وجه، وهناك حديث منقول عن الرسول صلى الله عليه وآله بهذا

الخصوص يقول فيه: «ما أخاف على أُمتي الفقر ولكن أخاف عليكم سوء التدبير، فعليكم بحسن التدبير» وكلما حاولت أن أبين له هذا الموضوع لم أفلح ورأيته يحمل هذه الترهات على التوكل ولا يلتفت إلى هذا الطرح. مثلما أن مسائل الطهارة والسهو والشكوك والقراءة يجب أن يؤديها أهلها، فكذا المعتقدات بطريق أولى، ولكن اليوم كل من تستطلع معتقداته تجده قد نسج معتقداته من وحي خياله.

ففي الأُمور الدنيوية تراه قادراً على كل شيء متبعاً في ذلك شتى الحيل والخدع، أما في الشؤون الأخروية فكل اعتماده على الله، ويعتبره رحيماً غفاراً. ﴿فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢]. على الإنسان أن يحترز بشدة، ومع أن كل شيء واقع تحت قلم التقدير ولكن ينبغي بذل أقصى درجات الجهد والمثابرة، ومع هذا فاعتبروا يا أولي الأبصار.

يذكر المرحوم والدي رحمه الله: عندما كنت في النجف عند المرحوم السيد مرتضى الكشميري قلت له: لقد ثبت لي عن طريق المكاشفة والباطن ومن الدلائل الظاهرية بأنني من نسل فاطمة الزهراء عليها السلام فأجابني بقوله: من الأفضل لك أن تحتاط في هذا ولا تأخذ شيئاً من أموال الصدقات.

وذكر أيضاً: كنت أكتب للمرحوم السيد مرتضى، وكانت أجرة كتابة الألف سطر آنذاك ثلاثة تومانات، ولما كانت كتابتي خالية من الخطأ فقد كان السيد يعطيني أربعة تومانات، وقد بقي لي مبلغ من المال عنده. ذهبت إليه وقلت: لم أتناول طعاماً منذ اسبوع وأفطر بالماء وحده، إذا سمحت أن تعطيني جزءاً من طلبي. فقال لي: ليس عندي من النقود التي يجب أن تأكلها أنت. فذهبت إلى صحن أمير المؤمنين عليه السلام وشكوت حالي قائلاً: يا سيدي لم أتناول طعاماً من اسبوع، فحصلت حالة من

المكاشفة وظهر لي عليه السلام وقال: ألا تستحي، وهل جئت لتشتكي عدم تناول الطعام لمدة اسبوع، فيما نحن حفظناك في عدة مواقف ومعاصي. وذكرها لي بكل مواصفاتها، يقول: فاستحوذت على حالة شديدة من الخجل، حتى أنني امتنعت من زيارته لمدة اسبوع خجلاً[١].

---

(١) المصدر نفسه ص ١٤٥.

وصايا السيد الخميني (قدس سره)

نبذة عن حياة المُوصي

هو السيد روح الله الخميني، وُلد في ٢٠ جمادى الثانية عام ١٣٢٠هـ الموافق لـ ٢٤ أيلول عام ١٩٠٢م وتُوفى في ٤ حزيران عام ١٩٨٩م ودُفن في مقبرة بهشت زهراء في طهران.

وشهرته تُغني عن التعريف ويكفي أنَّه الرجل العالم العارف الذي جدّد الدين في القرن العشرين وأسس الجمهورية الإسلامية الإيرانية التي أعلنت تطبيقها للشريعة الإسلامية.

وصاياه

وصيته إلى ولده السيد أحمد الخميني رحمه الله

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين.

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمداً عبده

ورسوله، وأنَّ علياً أمير المؤمنين وأولاده المعصومين صلوات الله عليهم خلفاؤه، وأنَّ ما جاء به رسول الله ﷺ حقٌّ، وأنَّ القبر والنشور والجنَّة والنار حقٌّ، وأنَّ الله يبعث من في القبور.

وصية من أب عجوز أهدر عمره ولم يتزوَّد للحياة الأبدية، ولم يخط خطوةً خالصةً لله المنَّان، ولم ينجُ من الأهواء النفسانية والوساوس الشيطانية، لكنه غير آيس من فضل وكرم الكريم تعالى وهو يأمل بعطف وعفو الباري جلّ وعلا، ولا زاد له سوى هذا..

إلى ابن يتمتّع بنعمة الشباب، متاحة أمامه فرصة لتهذيب النفس وللقيام بخدمة خلق الله، والأمل أن يرضى الله تعالى عنه، كما رضي عنه أبوه، وأن يُوفَّق لخدمة المحرومين الذين يستحقون أكثر من بين جماهير الشعب، وقد أوصى بهم الإسلام.

الفقر الذاتي للمخلوقات

بُني أحمد - رزقك الله هدايته: إعلم، أنَّ العالم سواءٌ كان أزلياً وأبدياً أم لا، وسواء كانت سلاسل الموجودات غير متناهية أم لا، فإنَّها جميعاً محتاجةٌ، لأنَّ الوجود ليس ذاتياً لها، ولو تفكّرت وأحطت عقلياً بجميع السلاسل غير المتناهية فإنَّك ستدرك الفقر الذاتي والاحتياج في وجودها وكمالها إلى الوجود الموجود بذاته والذي تمثل الكمالات عين ذاته.

ولو تمكنت من مخاطبة سلاسل الموجودات المحتاجة بذاتها خطاباً عقلياً وسألتها: أيتها الموجودات الفقيرة، من يستطيع تأمين احتياجاتكم؟

فإنَّها ستردُّ جميعاً بلسان الفطرة: «إنّنا محتاجون إلى من ليس محتاجاً

مثلنا إلى الوجود، وكما الوجود». وهذه الفطرة أيضاً ليست من ذاتها، ففطرة التوحيد ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الروم: ٣٠] من الله، والمخلوقات الفقيرة بذاتها لن تتبدل إلى غنيَّة بذاتها، فمثل هذا التبديل غير ممكن الوقوع، ولأنَّها فقيرة بذاتها ومحتاجة، فلن يستطيع سوى الغنيّ بذاته أن يرفع فقرها واحتياجها. كما أن هذا الفقر الذي هو لازم ذاتي لها، هو صفة دائمةٌ أيضاً، سواءٌ كانت هذه السلسلة أبدية أم لا، أزلية أم لا، وليس سواه تعالى من يستطيع حلَّ مشاكلها وتأمين احتياجاتها، كذلك فإنَّ أي كمال أو جمال ينطوي عليه أيَّ موجود ليس منه ذاتاً، إنَّما هو مظهر لكمال الله تعالى وجماله، ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ ۚ﴾ [الأنفال: ١٧] حقيقةٌ تصدق على كل شيء، وكل فعل، وكل قول، وإن كلُّ من يدرك هذه الحقيقة ويتذوقها، لن يتعلَّق قلبُه بغير الله تعالى، ولن يرجو غيره تعالى.

هذه بارقةٌ إلهية، حاول أن تفكر فيها في خلواتك، ولقن قلبك الرقيق وكرّرها عليه إلى أن ينصاع اللسان لها، وتسطع هذه الحقيقة في ملك وملكوت وجودك، وارتبط بالغني المطلق حتى تستغنيّ عمَّن سواه، واطلب التوفيق منه حتى يجذبك من نفسك ومن جميع من سواه، ويأذن لك بالدخول والتشرّف بالحضور.

الظهور الإلهي

ولدي العزيزي: إنَّ الله جلَّ وعلاّ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ﴾ [الحديد: ٣] «أيكون لغيرك من الظهور ما ليس لك، حتى يكون هو المظهر لك؟ متى غبت حتى تحتاج إلى دليل يدلُّ عليك، ومتى بعُدت حتى تكون

الآثار هي التي توصل إليك؟ عميت عينٌ لا تراك عليها رقيبا»[١].

أنــت لــم تــكــن غــائــبــاً لــكــي أرجــو رؤيــاك

أنــت لــم تــكــن بــعــيــداً حــتــى أبــحــث عــنــك

فهو ظاهرٌ، ولك ظهورٍ هو ظهورٌ له، ونحن بذاتنا حجبٌ، فأنانيتنا وإنيّتنا هي التي تحجبنا «أنت حجاب نفسك، فانطلق منه يا حافظ»[٢].

فلنلذ به ولنطلب منه - تبارك وتعالى - متضرعين مبتهلين أن ينجينا من الحجب «إلهي هب لي كمال الانقطاع إليك، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرنا إليك، حتى تخرق أبصارُ القلوب حُجُب النور، فتصل إلى معدن العظمة، وتصير أرواحنا مُعلقةً بعزِّ قدسك، إلهي واجعلني ممَّن ناديته فأجابك، ولاحظته فصعق لجلالك»[٣].

عدم إنكار القضايا العرفانية

بني: نحن ما زلنا في قيد الحجب الظلمانية، وبعدها الحجب النورية، ونحن المحجوبون ما زلنا عند منعطف زقاق ضيّق.

بني: إن لم تكن من أهل المقامات المعنوية، إسعَ أن لا تُنكر المقامات الروحانية والعرفانية، لأنَّ الإنكار من أخطر مكائد الشيطان والنفس الأمّارة بالسوء التي تصدُّ الإنسان عن بلوغ جميع المراتب الإنسانية والمقامات الروحانية، وهو يدفع الإنسان إلى إنكار السلوك إلى الله

(١) من دعاء الإمام الحسين عليه السلام في يوم عرفة.
(٢) بيت شعر من ديوان البسطامي.
(٣) مقطع من المناجاة الشعبانية.

والإستهزاء به أحياناً، ممَّا يجرُّ إلى الخصومة والمعاداة لهذا الأمر، وبهذا فإنَّ ما جاء به جميع الأنبياء العظام عليهم السلام والأولياء الكرام عليهم السلام والكتب السماوية خصوصاً القرآن الكريم، كتاب بناء الإنسان الخالد، ستموت قبل أن تولد.

القرآن الكريم

فالقرآن الكريم - كتاب معرفة الله وطريق السلوك إليه تعالى حُرِّف على أيدي الأصدقاء الجهلة عن طريقه وعزل جانباً، فجعلوا يصدرون عنه الآراء المنحرفة، ويفسّرونه بالرأي - الأمر الذي نهى عنه جميع أئمة الإسلام عليهم السلام، وراح كل واحد منهم يتصرف فيه بما تُمليه نفسانيته.

لقد نزل هذا الكتاب العظيم في عصر وفي محيط كان يمثّل أشدَّ حالات الظلام، كما نزل بين قومٍ يعيشون في أشدّ حالات التخلف، وقد أُنزل بيد شخص وعلى قلب إلهي لشخص كان يعيش في ذلك المحيط.

كذلك فإنَّ القرآن الكريم اشتمل على حقائق ومعارف لم تكن معروفة آنذاك في العالم أجمع فضلاً عن المحيط الذي نزل فيه، وإن من أعظم وأسمى معاجزه هي هذه المسائل العرفانية العظيمة التي لم تكن معروفة لدى فلاسفة اليونان، فقد عجزت كتب أرسطو وأفلاطون - أعظم فلاسفة تلك العصور - عن بلوغها، وحتى أنَّ فلاسفة الإسلام الذين ترعرعوا في مهد القرآن الكريم، وانتهلوا منه ما انتهلوا من مختلف المعارف لجأوا إلى تأويل الآيات التي صرَّحت بحياة الموجودات في العالم مثلاً، والحال أنَّ عرفاء الإسلام العظام إنَّما أخذوا ما قالوه منه، فكل شيء أخذوه من الإسلام ومن القرآن الكريم، فالمسائل العرفانية الموجودة في القرآن الكريم ليست موجودة في أي كتاب آخر.

عظمة رسول الله ﷺ

وإنَّها لمعجزة الرسول الأكرم ﷺ إذ كان على معرفة بمبدأ الوحي، بحيث يُكشف له أسرار الوجود، وكان هو ﷺ بدوره يرى الحقائق بوضوح ودون أي حجاب، وذلك بعروجه وارتقائه قمة كمال الإنسانية، وفي ذات الوقت كان حاضراً في جميع أبعاد الإنسانية ومراحل الوجود، فمثَّل بذلك أسمى مظهر لـ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣] كما سعى إلى رفع جميع الناس للوصول إلى تلك المرتبة، وكان يتحمَّل الآلام والمعاناة حينما كان يراهم عاجزين عن بلوغ ذلك، ولعلَّ قوله تعالى: ﴿مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ٢] إشارة خفيَّة إلى هذا المعنى، ولعلَّ قوله ﷺ: «ما أُوذي نبيٌّ مثلما أُوذيت» يرتبط أيضاً بذات المعنى.

إنَّ أولئك الذين بلغوا هذا المقام أو ما يماثله، لا يختارون العزلة عن الخلق أو الإنزواء، فهم مأمورون بإرشاد وهداية الضالين إلى هذه التجلّيات - وإن كانوا لم يُوفَّقوا كثيراً في ذلك - أمَّا أولئك الذين بلغوا مرتبة ما من بعض هذه المقامات، وغابوا عن أنفسهم بارتشاف جرعةٍ ما، وظلوا بذلك في مقام «الصعق» فإنَّهم وإن كانوا قد حازوا مرتبة ومقاماً عظيماً، إلا أنَّهم لم يبلغوا الكمال المطلوب، لقد سقط موسى الكليم عليه السلام بحال «الصعق» نتيجة تجلي «الحق» وأفاق بعناية إلهية خاصة، ثم أُمر بتحمل أمر ما، وكذا فإنَّ خاتم النبيين، الرسول الأكرم ﷺ أُمر بعد بلوغه القمة من مرتبة الإنسانية - وما لا تبلغه الأوهام من مظهرية الاسم الجامع الأعظم - بهداية الناس بعد أن خاطبه تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ [المدثر: ١ ٢].

عدم إنكار المقامات العرفانية

ولدي العزيز: هدفت ممَّا ذكرته لك - رغم أني لا شيء، بل أقلُّ حتى من اللاشيء - أن ألفت نظرك إلى أنَّك إن لم تبلغ مقاماً ما فلا تُنكر المقامات المعنوية والمعارف الإلهية، وكن من أولئك الذين يحبّون الصالحين والعارفين، وإن لم تكن منهم، ولا تغادر هذه الدنيا وأنت تكنّ العداء لأحباب الله تعالى.

الحثّ على قراءة القرآن الكريم

بُني: تعرّف إلى القرآن - كتاب المعرفة العظيم - ولو بمجرد قراءته، وشق منه طريقاً إلى المحبوب، ولا تتوهمنَّ أنَّ القراءة من غير معرفة لا أثر لها، فهذه وساوس الشيطان، فهذا الكتاب كتابٌ من المحبوب إليك وإلى الجميع - وكتاب المحبوب محبوبٌ - وإن كان العاشق المُحب لا يدرك معنى ما كُتب فيه، وقد جاء إليك هادفاً خلق هذا الأمر لديك «حب المحبوب» الذي يمثل غاية المرام، فلعلَّه يأخذ بيدك.

واعلم أنَّنا لو أنفقنا أعمارنا بتمامها في سجدة شكرٍ واحدة على أنَّ القرآن كتابنا، لما وفّينا هذه النعمة حقها من الشكر.

الدعاء

بُني: إنَّ الأدعية والمناجات التي وصلتنا عن الأئمة المعصومين عليهم السلام هي أعظم أدلة إلى معرفة الله جلَّ وعلا، وأسمى مفاتيح العبودية، وأرفع رابطة بين الحق والخلق، كما أنَّها تشتمل في طيّاتها على المعارف الإلهية، وتمثّل أيضاً وسيلة ابتكرها أهل بيت الوحي للأُنس بالله جلّت

عظمته، فضلاً عن أنَّها تمثل نموذجاً لحال أصحاب القلوب وأرباب السلوك، فلا تصدنَّك وساوس الجاهلين عنالتمسك أو الأُنس بها.

إنَّنا لو أمضينا أعمارنا بتمامها نقدم الشكر على أنَّ هؤلاء - الأحرار والواصلين إلى الحق - هم أئمتنا ومرشدونا؛ لما وفينا.

إختيار الأصدقاء والمجالس

من الأُمور التي أود أن أوصيك بها - وأنا على عتبة الموت، اصعّد الأنفاس الخيرة -: أن تحرص - ما دمت متمتعاً بنعمة الشباب - على دقة اختيار من تعاشر وتصاحب، فليكن انتخابك للأصحاب من بين أولئك الصالحين والمتدينين والمهتمين بالأُمور المعنوية، ممَّن لا تغرهم زخارف الدنيا ولا يتعلقون بها، ولا يسعون في جمع المال وتحقيق الآمال أكثر ممَّا هو متعارف، أو أكثر من حدّ الكفاية، وممَّن لا تلوّث الذُّنوب مجالسهم ومحافلهم، ومن ذوي الأخلاق الكريمة، فإنَّ تأثير المعاشرة على الطرفين من إصلاح وإفساد أمر لا شك في وقوعه.

واسعَ أن تتجنب المجالس التي تُوقع الإنسان في الغفلة عن ذكر الله، فإنَّ إرتياد مثل هذه المجالس قد يُؤدِّي إلى سلب الإنسان التوفيق، الأمر الذي يُعدُّ - بحدِّ ذاته خسارة لا يمكن جبرانها.

حب الكمال

إعلم أنّ في الإنسان إن لم أقل في كل موجود حباً فطرياً للكمال المطلق، وحباً للوصول إلى الكمال المطلق، وهذا الحب يستحيل أن ينفصل عنه، كما أنّ الكمال المطلق محال أن يتكرر أو أن يكون اثنين.

فالكمال المطلق هو الحق جلَّ وعلا، والجميع يبحثون عنه، وإليه تهفو قلوبهم وإن كانوا لا يعلمون.

فهم محجوبون بحُجب الظلمة والنُّور، ولهذا فهم يتوهّمون أنَّهم يطلبون شيئاً آخر وهم لا يقنعون بتحقيق أية مرتبة من الكمال، ولا بالحصول على أي جمال أو قدرة أو مكانة، فهم يشعرون أنَّهم لا يجدون في كل ذلك ضالتهم المنشودة، فالمقتدرون وأصحاب القوى العظمى، هم في سعي دائم للحصول على القدرة الأعلى مهما بلغوا من القدرة، وطُلاَّب العلم يطلبون الدرجة الأعلى من العلم مهما بلغوا منه، ولا يجدون ضالتهم التي غفلوا عنها في ذلك.

ولو أُعطي الساعون إلى القدرة والسلطة، التصرف في كل العالم المادي من الأرضين والمنظومات الشمسية والمجرات، وفي ما فوقها، ثم قيل لهم: إنَّ هناك قدرةٌ فوق هذه القدرة التي تملكونها، وهناك عالم أو عوالم أخرى أبعد من هذا العالم، فهل تريدون الوصول إليها؟ فإنَّهم من المحال أن لا يتمنوا ذلك، بل إنَّهم سيقولون بلسان الفطرة: «ليتنا بلغنا ذلك أيضاً!».

وهكذا طالب العلم، فهو إن ظنَّ أنَّ هناك مرتبة أخرى - غير ما بلغه - فإنَّ فطرته الباحثة عن المطلق ستقول: يا ليت لي القدرة للوصول إليه، أو يا ليت لي سعةً من العلم تشمل تلك المرتبة أيضاً!

الإطمئنان بذكر الله تعالى

إنَّ ما يُطمئن الجميع ويُخمد نيران النفس المتمردة ويحدُّ من إلحاحها واستزادتها في الطلب، إنَّما هو الوصول إليه تعالى.

والذكر الحقيقي له جلَّ وعلا؛ إذا كان مظهراً له، فإنَّ الاستغراق فيه يبعث الطمأنينة والهدوء، وكأنَّ قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] هو نوع من الإعلان أن: انتبه انتبه عليك أن تلجأ إلى ذكره حتى تحصل عليه الطمأنينة لقلبك الحيران الذي يواصل القفز من مكان إلى مكان والطيران من غصن إلى غصن.

عدم الاهتمام بالدنيا

فاستمع يا ولدي العزيز - الذي أسأل الله أن يجعل قلبك مطمئناً بذكره - لنصيحة أبٍ قلق محتار، ولا تُتعب نفسك بالانتقال بطرق باب هذا الباب أو ذاك الباب، للوصول إلى المنصب أو الشهرة التي تشتهيها النفس، فأنت مهما بلغت من مقام، فإنَّك سوف تتألم وتشتد حسرتك وعذاب روحك لعدم بلوغك ما فوق ذلك، وإن سألتني: لِمَ لم تعمل أنت بهذه النصيحة؟ أجبتك بالقول: أنظر إلى ما قال، لا إلى من قال، فما قلتهُ لك صحيح، حتى وإن صدر عن مجنونٍ أو مفتون.

يقول تعالى في محكم كتابه العزيز: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢] ثم يتبع ذلك بقوله: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٣] فالإنسان في هذا العالم عُرضة للتحولات، أحياناً تنزل به المصائب، كما أنَّه قد يلاقي إقبالاً من الدنيا، فيبلغ فيها المقام والجاه ويحصل على المال ويحقق أمانيه وينال القدرة والنعمة، وكلا الحالين ليس بثابت، فلا ينبغي أن تحزنك المصائب والنقائص فتفقدك صبرك، لأنَّها قد تكون أحياناً في نفعك، وصلاحك ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢١٦] كما لا

ينبغي أن تدفعك الدنيا بإقبالها عليك وتحقيقها ما يشبع شهواتك إلى أن تتكبر وتفتخر على عباد الله، فما أكثر ما تعده أنت خيراً، وهو شرٌ لك.

عحب الدنيا

بُني: إنَّ ما هو مذموم، وأساس ومنشأ جميع ألوان الشقاء والعذاب والمهالك، ورأس جميع الخطايا والذُّنوب إنَّما هو «حب الدنيا» الناشىء من «حب النفس».

إنَّ عالم المُلك ليس مذموماً في حدِّ ذاته، فهو مظهر الحق ومقام ربوبيته تعالى، ومهبط ملائكته، ومسجد، ومكان تربية الأنبياء والأولياء عليهم السلام، ومعبد الصلحاء، وموطن تجلي الحق على قلوب عشاق المحبوب الحقيقي، فإن كان حب «عالم الملك» ناشئاً عن حب الله - باعتباره مظهراً له جلَّ وعلا - فهو أمر م طلوب ويستوجب الكمال، أما إذا كان منشؤه «حب النفس» فهو رأس الخطايا جميعاً، فالدنيا المذمومة هي في داخلك أنت، والتعلق بغير صاحب القلب، هو الموجب للسقوط، وجميع المخالفات لأوامر الله وجميع المعاصي والجرائم والجنايات التي يُبتلى بها الإنسان، كلها من «حب النفس» الذي يولّد «حب الدنيا» وزخارفها، وحب المقام والجاه والمال ومختلف الأماني.

الحجب الظلمانية والنورانية

وفي الوقت نفسه فإنَّ أي قلبٍ لا يمكنه - فطرياً - أن يتعلق بغير صاحب القلب الحقيقي لكن هذه الحجب الظلمانية والنورانية هي التي تجعلنا نميُ خطأً واشتباهاً نحو غير صاحب القلب، وهي ظلماتٌ فوقها ظلمات.

نحن وأمثالنا لم نصل إلى الحُجب النورانية بعد، وما زلنا أسرى الحجب الظلمانية!

فمن قال: «هب لي كمال الانقطاع إليك، وأنر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك، حتى تخرق أبصارُ القلوب حجبَ النُّور، فتصل إلى معدن العظمة». فقد اخترق الحجب الظلمانية وتعدّاها، أمَّا اليطان الذي خالف أمر الله ولم يسجد لآدم، فقد رأى نفسه عظيماً، لأنَّه كان في الحجب الظلمانية و ﴿أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ﴾ [الأعراف: ١٢] جعلته يُطرد ويُبعد عن ساحة الربوبية!

حجاب النفس والأنا

نحن أيضاً، ما دمنا في حجاب النفس والأنانية، فنحن شيطانيُّون مطرودون من محضر الرحمن، وما أصعب تحطيم هذا الصنم الذي يعدُّ «أم الأصنام». فنحن ما دمنا خاضعين له مطيعين لأوامره، فنحن غير خاضعين لله - جلَّ وعلا - ولا مطيعين لأوامره؛ وما لم يُحطَّم هذا الصنم فإنَّ الحجب الظلمانية لن تتمزق ولن تُزال.

علينا أن نعرف، ما هو الحجاب أولاً، فنحن إذا لم نعرفه، لن نستطيع المبادرة إلى إزالته، أو تضعيف أثره - أو في الأقل - الحدَّ من تزايد رسوخه وقوَّته بمرور الوقت.

رُوي أنَّ بعض أصحاب الرسول ﷺ كانوا معه فسمعوا صوتاً مهيباً، فسألوا: ما هذا الصوت؟ فقال ﷺ: «إنه صوت حجر كان قد أُلقي إلى جهنم قبل سبعين سنة، وقد بلغ قعرها الآن» بعدها علموا أن كافراً كان قد مات حينها عن سبعين سنة من العمر، وإذا صحّ الحديث فإنَّ من سمعوا

الصوت لا بدَّ أنَّهم كانوا من أهل الحال، أو قد يكون الأمر قد تمَّ بقدرة الرسول الأكرم ﷺ قاصداً إسماع الغافلين وتنبيه الجاهلين - أمَّا إذا لم يصح الحديث - ولا أذكره بالنص - فإنَّ الأمر في حقيقته كذلك، فنحن نقضي عمراً باتجاه جهنم - فنحن نمضي العمر بتمامه نؤدي الصلاة - التي تعدُّ أكبر ذكر لله المتعال - ونحن معرضون عن الحق تعالى، وعن بيته العتيق، متوجهين إلى الذات وإلى بيت النفس. وكم هو مؤلم أنَّ الصلاة التي ينبغي أن تكون معراجاً لنا، وترفعنا إليه وإلى جنَّة لقائه تعالى تكون سيراً نحن أنفسنا وباتجاه منفى جهنم.

القصور عن معرفة الله تعالى

بُني: لم أقصد من هذه الإشارات إيجاد السبيل لأمثالي وأمثالك لمعرفة الله وعبادته حق العبادة، مع أنَّه قد نُقل عن أعرف الموجودات بالحق تعالى، وأعرفها بحق العبادة له جلَّ وعلا، قوله «ما عرفناك حق معرفتك، وما عبدناك حق عبادتك» وإنَّما لأجل أن نفهم عجزنا، وندرك ضالتنا، ونهيل التراب على أنانيتنا وإنيتنا، لعلَّنا بذلك نكبح جماح هذا القول، ولعلنا نلجمه بعد ذلك ونروّضه، فنتحرر بعدها من خطر عظيم يكوي - مجرد تذكره - الروح ويحرقها.

عاقبة حب الدنيا العديلة عند الموت

وعليك أن تنتبه! فهناك خطرٌ قد يعترض الإنسان في اللحظات الأخيرة من عمره، وهو يهمُّ بمغادرة هذا العالم، والانتقال إلى مستقره الأبدي. فإنَّ ذلك قد يجعل المبتلى بحب النفس وما يولّده من حب الدنيا - بأبعادهما المختلفة - يرى وهو في حال الاحتضار، وحيث تنكشف للإنسان بعض

الأُمور فيراها عياناً، أن «مأمور الله» جلّ وعلا يريد فصله ومعشوقه! فيرحل عن هذه الدنيا وهو غاضب على الله جلّ وعلا متنفرٌ منه! وهذه عاقبة وثمرة حب النفس والدنيا، وقد أشارت إلى ذلك الروايات المختلفة.

يروي أحد المتعبدين الثقاة قائلاً: «ذهبت لزيارة أحدهم - وكان يحتضر - فقال وهو على فراش الموت: إنَّ الظلم الذي لحقني من الله تعالى لم يلحق أحداً من الناس، فهو يريد أن يأخذني من أبنائي الذين صرفت دم القلب في تربيتهم ورعايتهم! فقمت من عنده ثم تُوفي، ولعلَّ بعض التفاوت بين ما نقلته وما سمعته من ذلك العالم المتعبد.

على أية حال، فإنَّ ذلك ولو كان مجرد احتمال الحدوث فهو أمرٌ على درجة خطيرةٍ من الأهمية تدفع الإنسان إلى التفكير بجدية للنجاة منه!.

الألطاف الإلهية وعاقبة الغرور

إنَّنا لو فكرنا ساعة في موجودات العالم - التي نمثل نحن جزءاً منها - وأدركنا أنَّ أي موجود ليس لديه شيءٌ من نفسه، وأن ما وصله ووصل إلى الجميع ألطاف ومواهب مستعارة، وفي الألطاف التي مَنَّ الله تعالى بها علينا - سواء قبل أن نأتي إلى الدنيا، أو خلال حياتنا فيها، ومنذ الطفولة إلى آخر العمر، أو بعد الموت - بواسطة الهُداة الذين كُلِّفوا بهدايتنا، لعلَّ بارقة من حبه جلَّ وعلا الذي نحن عنه محجوبون ستلوح في أفق وجودنا، فندرك بعدها مدى ضآلتنا وتفاهتنا، فيفتحُ بذلك لنا طريقٌ نحوه جلَّ وعلا، وننجو على الأقل من «الكفر الجحودي». ولا نحسب إنكار المعارف الإلهية، والمظاهر الرحمانية مقاماً لنا، ونفاخر به، الأمر الذي سيبقينا أسرى بئر «ويلٍ» الأنانية والغرور إلى الأبد.

يُروى «أنَّ الله تعالى خاطب أحد أنبيائه، فطلب إليه أن يأتيه بمخلوق أسوأ منه، فقام النبي ﷺ بعدها بسحب رفاة حمار قليلاً إلا أنَّه ندم فتركها، فخوطب بالقول: لو أنَّك أتيتني بتلك الجيفة، لكنت سقطت في مقامك» وإني لا أعرف مدى صحة الحديث، ولكن لعلَّ الأمر بالنسبة لمقام الأولياء، يعدُّ سقوطاً حينما يرون الأفضلية لأنفسهم على غيرهم، فتلك أنانية وغرور، وإلا فلِمَ كان النبي الأكرم ﷺ يأسف ذلك الأسف المرير على عدم إيمان المشركين، إلى الحد الذي خاطبه الله تعالى بقوله: ﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦] فليس هذا سوى أنَّه عشق جميع عباد الله، وعشق الله هو عشقٌ لتجلياته.

فهو ﷺ يتألم ممَّا تؤدي إليه الحجب الظلمانية للأنانية والغرور في المنحرفين، من دفعهم إلى الشقاء ثم العذاب الأليم في جهنم نتيجةً لأعمالهم في حين أنَّه يريد السعادة للجميع - فهو مبعوث لتحقيق السعادة للجميع - والمشركون المنحرفون - عُمي القلوب - وقفوا بوجهه، ونصبوا له العداء رغم أنَّه جاء لإنقاذهم!.

طلب الخير لجميع الناس

أنا وأنت إذا وُفّقنا إلى إيجاد بصيص من هذا العشق لتجليات الحق - الموجود في أولياء الله - في أنفسنا، وأردنا الخير للجميع، فقد بلغنا مرتبةً من الكمال المطلوب.

اللهم أحيي قلوبنا الميّتة من فيض رحمتك، ورحمة صفيّك الذي بعثته رحمة للعالمين.

وأهل المعرفة يعلمون بأنَّ الشدة على الكفار - وهي من صفات

المؤمنين - وقتالهم أيضاً رحمةٌ، ولصفٌ من الألطاف الخفية للحق، فالعذاب يزداد على الكفار مع كل لحظةٍ تمرُّ عليهم، زيادة كمية وكيفية إلى ما لا نهاية له، لذا فإن قتل من هو ميؤسٌ من صلاحه هو رحمةٌ في صورة غضب، ونعمةٌ في صورة نقمة، بالإضافة إلى أنَّه رحمة ستنال المجتمع، لأنَّ العضو الذي يجرّ المجتمع كله إلى الفساد، يُشبه إلى حدٍّ كبير العضو في البدن الذي يؤدي عدم قطعه بالبدن كله إلى التلف والهلاك، وهذا هو الذي جعل نوحاً يدعو الله ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح: ٢٦-٢٧] والله تعالى يقول: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البَقَرَة: ١٩٣] وعلى هذا وعلى ما سبقه، كانت الحدود والتعزيرات والقصاص رحمة من أرحم الراحمين بمرتكب الجرم أولاً، وبالمجتمع بأسره ثانياً.

ولنتخط هذه المرحلة.

الرحمة بالخلق

بني: إذا استطعت - التفكر والتلقين - فاجعل نظرتك إلى جميع الموجودات - وخصوصاً البشر - نظرة رحمة ومحبة. أوليست الموجودات كافة - والتي لا حصر لها - واقعةً تحت رحمة رب العالمين من جهات عديدة؟ ثم أليس وجود حياتها وجميع بركاتها وآثارها من رحمة اله ومواهبه على الموجودات؟ وقد قيل: «كل موجود مرحوم» فهل يمكن لموجود ممكن الوجود أن يكون له شيءٌ من نفسه؟ أو أن يستطيع موجود (ممكن الوجود) مثله أن يعطيه شيئاً ما؟ وعليه، فإنّ الرحمة الرحمانية هي الشاملة للعالم بأسره ثم إن الله الذي هو رب العالمين، وتربيته التي

تشمل العالم، أوليست تربيته مظهراً للرحمة؟ وهل يمكن أن تكون الرحمة والتربية شاملة للعالم دون اقترانها بالعناية والألطاف الإلهية؟ إذن لِمَ لا يكون من شملته العنايات والألطاف والمحبة الإلهية موضعاً لمحبتنا؟ وإذا لم يكن هذا الأمر منّا، أليس هو نقص فينا؟ أليس هو ضيق أفق وقصر نظر من قبلنا؟

إنتبه يا ولدي! لقد أصبحتُ أنا عجوزاً دون أن أتمكن من علاج هذه النقيصة، أو سواها من النقائص التي لا تُحصى، وأنت ما زلت شاباً، وأقرب إلى رحمة الحق وملكوته، فاسعَ لإزالة هذه النقيصة، وفقك الله ووفقنا والجميع لرفع هذا الحجاب، والتحلي بما تقتضيه فطرةُ الله.

تعرضت فيما سبق إلى جانب من هذا الأمر، والآن تأتي الإشارات إلى ما يساعدك في رفع هذا الحجاب:

حب الكمال

نحن مفطورون على عشق الكمال المطلق، ومن هذا العشق - شئنا أم أبينا - ينشأ العشق لمطلق الكمال الذي هو من آثار الكمال المطلق، والأمر الملازم لفطرتنا هذه هو السعي للخلاص من النقص المطلق، وتلازمه الرغبة في الخلاص من مطلق النقص أيضاً.

إذن، نحن - وإن لم نعلم أو ندرك - عاشقون لله تعالى، الذي هو الكمال المطلق - ونعشق آثاره التي هي تجليات الكمال المطلق، وأيُّ شخص أو أي شيء نكرهه ونبغضه، أو نحاول التخلص منه، فهو: «لا كمال مطلق ولا مطلق الكمال» بل: «نقص مطلق أو مطلق النقص» الذي يقف في الجهة المقابلة، وعلى النقيض من الأول تماماً، ولا شك أنَّ

نقيض الكمال هو عدم الكمال، ولأنَّنا محجوبون، فإنَّنا نضل في التشخيص، ولو زال الحجاب لاتضح لنا أنَّ كل ما هو منه جلَّ وعلا محبوب، وكل ما هو مبغوض فليس منه، وهو بالتالي ليس موجوداً.

واعلم أنَّ هناك تساهلاً في التعبيرات الواردة فيما يخصّ المتقابلات والموضوع أعلاه - رغم موافقته للبرهان المتين والرؤية العرفانية والمعرفة ورغم ما ورد في القرآن الكريم من إشارات إليه - إلا أنَّ التصديق والإيمان به في غاية الصعوبة، ومنكريه في غاية الكثرة، والمؤمنين به قلة نادرة، وحتى أولئك الذين يعتقدون بثبوت هذه الحقيقة عن طريق البرهان لا يؤمن بها منهم إلا قلة قليلة، فالإيمان بأمثال هذه الحقائق لا يُحرز إلا بالمجاهدة والتفكر والتلقين.

الإيمان والبرهان

وقد يبدو للوهلة الأولى أنَّ هذا الادعاء (بأنَّ بعض الأُمور البرهانية يمكن أن لا تكون موضعاً للتصديق والإيمان) عقدةٌ يصعبُ الاقتناع بها، بل لعلَّ البعض قد يقطع بأنَّه أمر لا أساس له، ولكن ينبغي أن تعلم بأنَّ هذا الأمر أمر وجداني، وقد وردت إشارات إليه في القرآن الكريم، كالآيات الكريمة من سورة التكاثر.

وأمَّا الوجدان، فأنت تعلم بأنَّ الموتى لا تصدر عنهم أية حركة، وأنهم لا يستطيعون إلحاق الأذى بك، وأن الموتى لا يعادلون ذبابةً حية واحدة من حيث الأثر والفعالية، كما تدرك أنَّهم لا يمكن أن يعودوا إلى الحياة في هذا العالم بعد موتهم وقبل يوم النشور، إلا أنَّك قد لا تمتلك القدرة على النوم وحيداً براحة في المقابر، وهذا ليس إلا لأنَّ قلبك لم

يصدق بما عندك من علم، وأنَّ الإيمان بهذا الأمر لم يتحصّلا لديك، في حين أنَّ أولئك الذين يقومون بتغسيل وتكفين الموتى تحصّل لهم الإيمان واليقين بهذا الأمر نتيجة تكرار العمل، فهم يستطيعون الخلوة مع الموتى براحة بال واطمئنان.

كذلك فإنَّ الفلاسفة الذين أثبتوا بالبراهين العقلية أنَّ الله حاضرٌ في كل مكان، دون أن يصل قلوبهم ما أثبتته عقولهم بالبرهان، ولم تؤمن به قلوبهم، فإنَّ أدب الحضور لن يتحقق لديهم، في حين أنَّ أولئك الذين أيقنوا بحضور الله بقلوبهم، وآمنت قلوبهم بذلك، فإنَّهم - رغم أن لا مراودة لهم مع البراهين - فإنَّهم يتحلّون بأدب الحضور، ويجتنبون كل ما ينافي حضور المولى.

فالعلوم المتعارفة إذن - وإن كانت الفلسفة وعلم التوحيد - لكنَّها تعدُّ في حدِّ ذاتها حجباً، وكلُّما ازدادت تزيد الحجاب غلظةً وسمكاً.

كذلك فإنّنا نعلم جميعاً ونرى بأنَّ دعوة الأنبياء عليهم السلام والأولياء الخلص عليهم السلام ليست من سنخ الفلسفة والبرهان المتعارف، بل أنهم يهتمون بأرواح وقلوب الناس، ويوصلون نتائج البراهين إلى قلوب العباد، ويبذلون الجهد لهدايتهم من داخل الروح والقلب.

وإن شئت فقل: إنَّ الفلاسفة وأهل البراهين يزيدون الحجب، في حين أنَّ الأنبياء عليهم السلام وأصحاب القلوب يسعون في رفعها. لذا ترى أن من تربّوا على أيدي الأنبياء مؤمنون وعاشقون، في حين أنَّ طلاب علماء الفلسفة أصحاب برهان وقيلٍ وقال: لا شأن لهم بالقلب والروح.

الفلسفة والعلم وسيلة لا غاية

وليس معنى ما أوردته أن تتجنب الفلسفة والعلوم البرهانية والعقلية، أو أن تشيح بوجهك عن العلوم الاستدلالية، فهذا خيانة للعقل والإستدلال والفلسفة، بل المعنى هو أن الفلسفة والاستدلال وسيلة للوصول إلى الهدف الأساسي، فلا ينبغي - والحال كذلك - أن تحجبك عن المقصد والمقصود والمحبوب.

أو فقل: إنَّ هذه العلوم معبرٌ نحو الهدف، وليست الهدف بحدِّ ذاتها، فكما أنَّ الدنيا مزرعة الآخرة، فإنَّ العلوم المتعارفة مزرعةٌ للوصول إلى المقصود، تماماً كما أنَّ العبادات معبرٌ نحو الله جلَّ وعلا، فالصلاة - وهي أسمى العبادات - معراج المؤمن والكل منه وإلأيه تعالى.

الوصول إلى الله تعالى

وإن شئت فقل: إنَّ المعروف بجميع أنواعه درجات في سلم الوصول إلى الله تعالى، وجميع المنكرات موانع في طريق الوصول، والعالم بأسره يبحث عنه تعالى، ويحوم كالفراش باحثاً عن جماله الجميل، ويا ليتنا نصحو من نومتنا ونلج أول منزل وو اليقظة! ويا ليته جلَّ وعلا يأخذ بأيدينا - بألطافه وعنايته الخفيَّة - فيرشدنا إلى جماله الجميل، ويا ليت فرس النفس الجموح تهدأ قليلاً، فتنزل عن مقام الإنكار، ويا ليتنا نُلقي هذا العبء الثقيل من على كواهلنا إلى الأرض، فتنطلق مخفّين نحوه تعالى! يا ليتنا نحترق كالفراش حول شمع جماله دون أن نتكلم! ويا ليتنا نخطو خطوة واحدة بقدم الفطرة ولا نبتعد عن طريقها بهذا القدر، و... و... وآلاف التمنيات والأماني الأخرى التي تزدحم في ذاكرتي، وأنا على شفير الموت في شيخوختي هذه، ولكن دون أن تصل يدي إلى أي مكان.

ذكر الله تعالى

وأنت يا بني: استفد من شبابك وعش طوال عمرك بذكر الله ومحبته (جلّ وعلا)، والرجوع إلى فطرة الله، فذكر المحبوب لا يتنافى مع الفعالية السياسية والاجتماعية في خدمة دينه وعباده، بل إنَّهُ سيعينك، وأنت تسلك الطريق إليه.

وساوس الشيطان للشيوخ والشبان

ولكن اعلم بأن خدع النفس الأمَّارة والشيطان الداخلي والخارجي كثيرةٌ، فما أكثر ما تبعد الإنسان عن الله باسم الله واسم الخدمة لخلق الله وتسوقه نحو نفسه وآمالها؛ لذا كانت مراقبة النفس ومحاسبتها في تشخيص طريق الأنانية عن طريق الله من جملة منازل السالكين، وفّقنا الله وإيَّاكم لبلوغ ذلك.

وما أكثر ما يخدعنا شيطان النفس - نحن الشيّب وأنتم الشبّان - بوسائل مختلفة، فنحن الشيوخ يواجهنا بسلاح اليأس من الحضور وذكر الحاضر، فينادي: لقد فاتكم العمر، وتصرّم وقت الإصلاح، ومضت أيام الشباب التي كان ممكناً فيها الاستعداد والإصلاح، ولا قدرة لكم في أيام ضعف الشيخوخة هذه على الإصلاح، فقد استحكمت جذور شجرة الأهواء والمعاصي في جميع أركان وجودكم وتشعبَّت فروعها، فأبعدتكم عن اللياقة لمحضره جلّ وعلا، وضاع كلُّ شيءٍ! فما أحرى أن تستفيدوا من هذه الأيام الباقية من أعماركم أقصى ما يمكن من الاستفادة من الدنيا.

وقد يتصرف معنا أحياناً بنفس الطريقة التي يتصرف بها معكم أيها الشبان، فهو يقول لكم: أنتم شبانٌ، ووقت الشباب هذا هو وقت التمتع

والحصول على اللَّذات، فاسعوا الآن بما يساهم في إشباع شهواتكم، ثم توبوا إن شاء الله في أواخر أعماركم فإنَّ باب رحمة الله مفتوح والله أرحم الراحمين، وكلما زادت ذنوبكم، فإنَّ الندم والرغبة في الرجوع إلى الحق سيزداد، وسيكون التوجه إلى الله تعالى أكبر والاتصال به جلَّ وعلا أشدّ، فما أكثر أولئك الذين تمتعوا في شبابهم، ثم أمضوا آخر أيامهم بالعبادة والذكر والدُّعاء وزيارة الأئمة عليهم السلام والتوسل بشفاعتهم، فرحلوا عن هذه الدنيا وهم سعداء.

تماماً هكذا يتصرف معنا نحن الشيوخ، فيأتينا بأمثال هذه الوساوس فيقول لنا: ليس معلوماً أن تموتوا بهذه السرعة، فالفرصة ما زالت موجودة وأجّلوا التوبة إلى آخر العمر، فضلاً عن أنَّ باب شفاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته مفتوح، وإنَّ أمير المؤمنين عليه السلام لن يتخلى عن محبيه ويتركهم يتعذبون، فسوف ترونه عند الموت، وسوف يأخذ بأيديكم، وأمثال هذه الوساوس الكثيرة التي يلقي بها في سمع الإنسان.

قابليات الشباب للسرعة في الكمال

بُني: أتحدث إليك الآن وأنت ما زلت شاباً، عليك أن تنتبه إلى أنَّ التوبة أسهل على الشبان، كما إنَّ إصلاح النفس وتربيتها يتم بسرعة أكبر عندهم، في حين أنَّ الأهواء النفسانية والسعي للجاه وحب المال والغرور أكثر وأشدّ بكثير لدى الشيوخ منه لدى الشبان، أرواح الشبان رقيقة شفافة سهلة القياد، وليس لدى الشبان من حب النفس وحب الدنيا بقدر ما لدى الشيوخ، فالشاب يستطيع بسهولةٍ - نسبياً - أن يتخلص من شر النفس الأمَّارة بالسوء، ويتوجّه نحو المعنويات، وفي جلسات الوعظ والتربية الأخلاقية يتأثر الشبان بدرجة كبيرةٍ لا تحصل لدى الشيوخ، فلينتبه الشبان،

وليحذروا من الوقوع تحت تأثير الوساوس النفسانية والشيطانية، فالموت قريب من الشبان والشيوخ على حدٍّ سواء، وأي من الشبان يستطيع الاطمئنان إلى أنَّه سيبلغ مرحلة الشيخوخة؟ وأيُّ إنسانٍ مصونٌ من حوادث الدهر؟ بل قد يكون الشبان أكثر تعرضاً لحوادث الدهر من غيرهم.

بني: لا تضيّع الفرصة من يديك، واسع لإصلاح نفسك في مرحلة الشباب.

خطاب الشيوخ

على الشيوخ أيضاً أن يعلموا أنَّهم ما داموا في هذا العالم، فإنُّهم يستطيعون جبران ما خسروا وما ضيّعوا، وأن يكفّروا عن معاصيهم، فإنَّ الأمر سيخرج من أيديهم بمجرد إنتقالهم من هذا العالم.

والتعويل على الشفاعة

والتعويل على شفاعة أولياء الله عليهم السلام، والتجرؤ في إرتكاب المعاصي من الخدع الشيطانية الكبرى، تأمَّل أنت حالات الذين عوّلوا على شفاعتهم غافلين عن الله وتجرأوا على المعاصي، تأمّل في سيرتهم، وانظر أنينهم وبكائهم ودعائهم وتحرقهم، واعتبر من ذلك.

يروى أنَّ الإمام الصادق عليه السلام جمع أهل بيته وأقاربه في أواخر عمره وقال لهم: «إنَّكم ستردون على الله بأعمالكم، فلا تظنوا أن قرابتكم لي ستنفعكم يوم القيامة». وإن كان هناك إحتمال بأن تنالهم الشفاعة، لأنَّ الإرتباط المعنوي حاصل بينهم وبين الشافع لهم، فالرابطة الإلهية بينهم تجعلهم مؤهلين أكثر من غيرهم لنيل الشفاعة، وإن لم يحصل هذا الأمر لهم في هذا العالم، فلعلَّه يحصل لهم بعد تنقيات وتزكيات أنواعٍ من

العذاب البرزخي أو الجهنمي، حتى يصبحوا عبده لائقين للشفاعة، والله العالم بمدى ما سيصيبهم.

فضلاً عن هذا، فإنَّ الآيات التي وردت في القرآن الكريم حول الشفاعة لا تبعث - بعد التأمل فيها - الإطمئنان في الإنسان، قال تعالى ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] وقال ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨] وأمثال ذلك من الآيات التي تثبت موضوع الشفاعة، ولكنَّها في الوقت نفسه لا تبعث الاطمئنان لدى الإنسان ولا تسمح له بالإغترار بها، لأنَّها لم تُوضِّح من هم أولئك الذين ستكون الشفاعة من نصيبهم، أو ما هي شروطها، ومتى تكون شاملة لهم.

نحن نأمل بالشفاعة، ولكن ينبغي أن يدفعنا هذا الأمل نحو طاعة الحق تعالى، لا نحو معصيته.

حقوق الناس

بُني: إحرص على أن لا تغادر هذا العالم بحقوق الناس فما أصعب ذلك وما أقساه. واعلم أن التعامل مع أرحم الراحمين أسهل بكثيرٍ من التعامل مع الناس، نعوذ بالله تعالى أنا وأنت وجميع المؤمنين من التورط، في الاعتداء على حقوق الآخرين، أو التعامل مع الناس المتورطين.

ولا أقصد من هذا دفعك للتساهل بحقوق الله والتجرؤ على معاصيه، فلو أننا أخذنا بنظر الاعتبار ما يُستفاد من ظاهر بعض الآيات الكريمة، فإنَّ البلية ستزداد باطراد، ونجاة أهل المعصية بالشفاعة يتم بعد المرور بمراحل طويلة، فتجسّم الأخلاق والأعمال، وما يستتبع ذلك من ملازمتها للإنسان إلى ما بعد الموت وإلى القيامة الكبرى، ثم إلى ما بعدها حتى الوصول إلى

التنزيه وقطع الروابط بنزول الشدائد والعذاب بمختلف أشكاله في البرازخ وفي جهنم، وعدم التمكن من الارتباط بالشفيع، والإشتمال بالشفاعة، كلها أُمور يؤدي التفكير فيها إلى إثقال كاهل الإنسان، ويدفع المؤمنين نحو الجدية في الإصلاح، ولا يمكن لأي شخصٍ أن يدّعي أنه يقطع بخلاف هذه الاحتمالات، إلاّ إذا كان شيطان نفسه قد تسلط عليه بدرجةٍ عالية، حتى راح يتلاعب به، ويصده عن طريق الحق، فيجعله مُنكراً لا يفرق بين الضوء والظلام، وأمثال هؤلاء من عخمي القلوب كثير، حفظنا الله من شرور أنفسنا.

إصلاح النفس

وصيتي إليك يا بني أن لا تدع الفرصة تضيع من يديك - لا سمح الله - وأن تسعى في إصلاح أخلاقك وتصرفاتك، وإن كان بتحمل الشمقة والترويض، وعليك بالحدّ من التعلق بالدنيا الفانية، وتختار طريق الحق أينما اعترضك مفترقٌ للطرق، وأن تجتنب طريق الباطل، وتطرد شيطان النفس عنك.

خدمة الناس كذلك فإنَّ من الأُمور الهامة التي ينبغي أن أوصي بها: الحرص على إعانة عباد الله، خصوصاً المحرومين والمساكين المظلومين، الذين لا ملاذ لهم في المجتمعات، فابذل ما في وسعك في خدمتهم، فذلك خير زاد، وهو من أفضل الأعمال لدى الله تعالى، ومن أفضل الخدمات التي تُقدّم للإسلام العظيم، اسع في خدمة المظلومين، وفي حمايتهم من المستكبرين والظالمين.

الحفاظ على الحكومة الإسلامية

واعلم أن المشاركة في أمور السياسة السليمة والاجتماع، هي تكليف في هذه الحكومة الإسلامية، كذلك فإن مساعدة المسؤولين والمتصدين لإدارة أمور الجمهورية الإسلامية ودعمهم مسؤولية إسلامية وإنسانية ووطنية.

وأملي أن لا يغفل الشعب المجيد والواعي عن هذه المسؤولية. وعليهم أن يواصلوا -. وكما هو شأنهم حتى الآن، إذ كانوا حاضرين في الساحة دوماً، حتى أن الحكومة الإسلامية والجمهورية ما استطاعت الإستقرار والبقاء إلا بدعمهم - عليهم أن يواصلوا دورهم هذا في المستقبل أيضاً، وإنّي مفعم بالأمل أن يواصل الجيل الحاضر والأجيال القادمة وقوفهم بوفاءٍ مع الجمهورية الإسلامية ودعمها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً، ليكونوا سبباً في ديمومتها واستقرارها.

وعلينا جميعاً أن نعلم بأنَّنا ما دمنا على عهدنات مع الله تعالى، فإنَّه معنا، وكما قضى سبحانه وتعالى إلى الآن على مؤامرات المجرمين في الداخل والخارج وبشكلٍ إعجازي، فإنَّه سيُقضى عليها مستقبلاً بتأييدته إن شاء الله تعالى.

والأمل أن يكون الجيش، وحراس الثورة، وأبناء قوات التعبئة الشعبية، وسائر القوات العسكرية والأمنية، وجماهير شعبنا قد تذوقوا حلاوة الإستقلال والخروج من أسر القوى الدولية الكبرى الناهبة، وآمل أن يرجحوا تحررهم من أسر الأجانب على أي شيء وعلى أيَّة حياة مرفهة، وأن لا يقبلوا بحمل عبء عار الارتباط بالقوى الشيطانية على كواهلهم، وأن يقبلوا بالموت المشرّف - برجولة وعزة - في سبيل

الأهداف السامية وفي سبيل الله - إذا أريدت لهم الحياة بذلةٍ - وأن يختاروا السير على طريق الأنبياء العظام وأولياء الله عليهم السلام.

وأدعو الله خاضعاً معرباً عن عجزي، أن يزيد من وعي وحب والتئام صفوف الرجال والنساء والأطفال والشيوخ من أبناء شعبنا العزيز، وأن يفيض عليهم برحمته، فيقفوا بثبات في طريق الله، وأن ينشروا الإسلام العزيز وأحكامه النورانية في مختلف أنحاء العالم.

وصية شخصية حول الأم

بُني: لا يفوتني أن أكتب لك بضع جملات حول الأُمور الخاصة والعائلية لأختتم بها حديثي المُطنب هذا.

أشدُّ ما أود أن أوصيك به ولدي العزيز، هو الاهتمام بوالدتك الوفيَّة.

إنَّ الحقوق الكثيرة للأمهات، أكثر من تُحصى، أو أن يُؤدي حقها، فليلة واحدة تسهرها الأم مع وليدها تفوق سنوات من عمر الأب المتدين، فيجسّد العطف والرحمة في عيونها النورانية بارقةً من رحمة وعطف رب العالمين.

فالله تبارك وتعالى قد أشبع قلوب وأرواح الأمهات بنور رحمة ربوبيته بشكل يعجز عن وصفه الواصفون، ويعجز عن إدراكه سوى الأمهات، وإن رحمة الباري هي التي تجعلهنَّ يقفن ويتحملن بثباتٍ عجيب المتاعب والآلام منذ استقرار النطف في الأرحام، وطوال فترة الحمل، وحتى ساعة الولادة، ثم منذ عهد الطفولة، وحتى آخر العمر، وهي المتاعب والآلام التي يعجز الآباء عن تحملها ليلة واحدة.

فالتعبير الرقيق الوارد في الحديث الشريف «الجنَّة تحت أقدام

الأمهات» حقيقةٌ تشير إلى عظم دور الأم، وتنبه الأبناء إلى أنَّ السعادة والجنَّة تحت أقدام الأمهات، فعليهم أن يبحثوا عن الجنة والسعادة تحت التراب المبارك لأقدامهن، ويعلموا أن حرمتهن تقارب حرمة الله تعالى، وأن رضا الباري جلَّت عظمته إنَّما هو في رضاهن.

إنَّ الأمهات - رغم أنهن جميعاً مثالٌ لذلك - إلا أنَّ بعضهن يتمتعن بخصائص أخرى تميزهن عن الأخريات، وقد أدركتُ على مدى عمري، ومن الذكريات التي أحملها عن والدتك المحترمة، وعن الليالي التي كانت تقضيها مع أطفالها - بل وحتى الأيام - أنَّها تحمل مثل هذه المزايا.

لذا فإني أوصيك - أنت وبقية أبنائي - أن تجهدوا بعد وفاتي في خدمتها، وتحرصوا على راحتها ونيل رضاها، وكما آراها راضية عنكم في حياتي، عليكم أن تبذلوا مساعيكم أكثر في خدمتها بعد وفاتي.

وأوصيك يا ولدي أحمد: أن تحرص على معاملة أرحامك وأقربائك وخصوصاً أخواتك وأبناء أخواتك بالعطف والمحبة والصفاء والسلام والإيثار، وبمراعاة السلوك الحسن.

كما أوصي جميع أبنائي أن يكونوا قلباً واحداً، وأن يتحركوا نحو هدف واحد، وأن يتعاملوا مع بعضهم بالمحبة والعطف، وأن يسعوا جميعاً للعمل في سبيل الله، وفي خدمة عباده المحرومين، لأنَّ في ذلك خير وعافية الدنيا والآخرة.

وأوصي نور عيني (حسين) أن لا يغفل عن الانكباب على تحصيل العلوم الشرعية، وأن لا يبدد ما أنعم الله عليه من الإستعداد واللياقة، وأن يعامل والدته وأخته بمنتهى العطف والصفاء، وأن يستصغر الدنيا، ويسلك في شبابه طريق العبودية المستقيم.

وآخر وصيتي إلى أحمد: أن يُحسن تربية أبنائه وأن يُعرِّفهم، منذ نعومة أظفارهم - على الإسلام العزيز، وأن يعتني بأمهم العطوفة، ويحرص على خدمة جميع أفراد العائلة والأقارب.

وسلام الله على ميع الصالحين.

واستميح جميع أقاربي عذراً - وبالأخص أبنائي - وأرجوهم أن يعفوا عني إن كنت قصّرت معهم، أو ظهر مني قصور ما، أو إن كنت ظلمتهم، وأن يدعوا الله أن يغفر لي ويرحمني إنَّه أرحم الراحمين.

وأدعو الله متضرعاً إليه أن يوفق أرحامي وأقربائي إلى طريق السعادة والإستقامة، وأن يشملهم برحمته الواسعة، وأن يُعزَّ الإسلام والمسلمين، ويقطع أيدي المتكبرين والقوى الظالمة، ويكفها عن الظلم.

والصلاة والسلام على رسول الله، خاتم النبيين وعلى آهل المعصومين، ولعنة الله على أعدائهم أجميعن إلى يوم الدين».

الأربعاء ٢٨/ ٤/ ١٩٨٢م

٤ رجب ١٤٠٢هـ

روح الله الموسوي الخميني

بلسم الروح
وصية إلى السيد أحمد الخميني رحمه الله

رسالة من والدٍ هرمٍ بالٍ، أفنى عمره بحفنة ألفاظٍ ومفاهيم، وضيّع حياته في إناء الأنا، وهو الآن يُصعد أنفاسه الأخيرة متأسفاً على ماضيه.

إلى ولده الشاب الذي يمتلك فرصةً ليفكر كعباد الله الصالحين بتحرير نفسه من التعلق بالدنيا التي هي فخّ إبليس الخبيث.

حقيقة الدنيا

بُني: كرُّ الدنيا وفرُّها وصعودها وهبوطها (كل ذلك) ينقضي بسرعة، وكلنا نُسحق تحت عجلات الزمن.

الآلام البشر

ومن خلال ملاحظاتي ومطالعاتي في حال الشرائح المختلفة وصلتُ إلى هذه النتيجة، وهي أن الشريحة المقتدرة والثرية آلامها الداخلة والنفسية والروحية أكثر من سائر الشرائح.

إنَّ لهؤلاء آمالاً وتمنيات كثيرة لم يُحقّقوها وهي أشد إيلاماً بل وتحرق الأكباد.

في هذا الزمان الذي نعيش فيه والدنيا تعاني من القطبين القويين، فإنَّ ألم العذاب الذي يبتلى به رؤساء تلك الدول، وألوان القلق المهلكة التي يعيشها كل قطب تجاه القطب الآخر لا يمكن أن يُقاس بآلام ومشاكل الشرائح المتوسطة، بل وحتى الفقيرة.

تنافس أولئك ليس تنافساً عملياً بناءً بل هو تنافس قاتل بقصم ظهر كل منهم.. وكأنَّ كلاً منهم في مقابل الآخر ذنبٌ مفترسٌ، يقف فاغراً فاه، حادّ الأسنان يريد إفتراس الآخر. وعذاب هذا التنافس موجود في جميع الشرائح من الثرية والقوية إلى الطبقات الأخرى.

لكن كلما ذهبنا صعوداً (في سلّم الثراء والقوة) يزداد عذاب التنافس بنفس النسبة..

النجاة من الآلام

أما ما هو أساس نجاة البشرية واطمئنان القلوب، فهو التحرر والإلات من الدنيا وتعلقاتها ولا يحصل ذلك إلا بالذكر الدائم لله تعالى.

أولئك الذي هم بصدد العلو كيفما كان.. سواءً العلو في العلوم، حتى الإلهية منها، أو في القوة والشهرة والثروة، إنَّما يسعون في زيادة آلامهم.

المتحررون من القيود المادية الذين خلصوا أنفسهم إلى حدٍ ما من شَرَك إبليس، هم في هذه الدنيا في سعادة وجنة ورحمة.

في تلك الأيام - أيام رضا خان البهلوي - التي كانت تُمارس فيها ضغوطاتٌ ملهكةٌ بهدف تغيير زي الروحانيين وكانت الحوزات العلمية تعيش حمى ذلك وآلامه (لا قدر الله الرحمن أن تمر مثل تلك الأيام على الحوزات العلمية) رأيت شيخاً فاضلاً نوعاً ما، جالساً قرب مخبز يأكل قطعة خبز (دون أدام) يقول: «قالوا لي إنزع عمامتك.. فنزعتها وأعطيتها لشخصٍ يخيط منها قميصين له، والآن أكلت خبزي وشبعت.. حتى الليل الله كبير..».

الخبيثة.

خدمة الناس

بُني: أما أنا فقد فاتتني القافلة «يشيب ابن آدم وتشبّ فيه خصلتان: الحرص وطول الأمل».

لكن أنت لديك نعمة الشباب وقدرة الإرادة.. فالمُؤمَّل أن تستطيع سلوك طريق الصالحين..

ولا يعني ما ذكرت أن تترك خدمة المجتمع وتعتزل وتكون كلا على خلق الله، فإنَّ هذه صفات الجاهلين المتنسكين أو الدراويش أرباب الدكاكين.

سيرة الأنبياء العظام عليهم السلام والأئمة الأطهار عليهم السلام. الذينن هم صفوة العارفين بالله والمتحررين من كل قيدٍ وغلّ والمتعلقين بالساحة الإلهية، هي القيام بكل قوة ضد الحكومات الطاغوتية وفراعنة الزمان.. وقد تجرعوا كؤوس الآلام من أجل إجراء العدالة في العالم وبذلوا الجهود.. التي تلقننا الدروس.. وإذا كانت لنا عينٌ بصيرةٌ سميعةٌ فسنجد فيها ما يفتح أمامنا الطريق.. «من أصبح ولم يهتم بأُمور المسلمين فليس بمسلم».

الأعمال بالنيات

بُني: لا الاعتزال الصوفيّ دليل الارتباط بالحق، ولا الدخول في المجتمع وتشكيل الحكومة شاهد الانفصال عن الحق، الميزان في الأعمال هو دوافعها..

فكثيراً ما يكون العابد والزاهد مبتلىً بشرَك إبليس وهو يوسع ذلك الشَّرَك بما يناسبه من الأنانية والغرور والعُجب والتكبر وتحقير خلق الله والشِّرك الخفي وأمثال ذلك ممَّا يبعده عن الحق ويؤدي به إلى الشِّرك..

وكثيراً ما يكون المتصدي لشؤون الحكومة ذا دافعٍ إلهي فيحظى بمعدن قرب الحق، كداود النبي، وسليمان النبي عليه السلام، وأعلى منهما وأسمى كالنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وخليفته بالحق علي بن أبي طالب عليه السلام، وكحضرة المهدي أرواحنا لمقدمه الفداء في عصره حكومته العالمية.

إذاً، ميزان العرفان والحرمان هو الدافع، كلما كانت الدوافع أقرب إلى نور الفطرة، وأكثر تحرراً من الحُجب حتى حُجب النُّور، تكون أكثر إرتباطاً بمبدأ النور إلى حيث يصبح الكلام عن الإرتباط كفراً.

خدمة الناس

بُني: لا تُلقِ عن كاهلك حمل المسؤولية الإنسانية التي هي خدمة الحق في صورة خدمة الخلق.. فإن جولات الشيطان وصولاته في هذا الميدان ليست بأقل من جولاته وصولاته بين المسؤولين والمتصدين للأُمور (العامة).

ولا تتعب نفسك للحصول على مقام مهما كان - سواءً المقام المعنوي أم المادي - متذرعاً بأني أريد أن أقترب من المعارف الإلهية أكثر.. أو أني أريد أن أخدم عباد الله. فإنَّ التوجه إلى ذلك من الشيطان.. فضلاً عن بذل الجهد للحصول عليه.

القيام لله تعالى

الموعظة الإلهية فريدة إسمعها بالقلب والروح، واقبلها بكل قوتك

وسر في خطها ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ [سَبَإ: ٤٦].

الميزان في أول السر هو القيام لله، إن في الأعمال الشخصية والفردية أو في النشاطات الاجتماعية.

اسعَ أن تكون موفقاً في هذه الخطوة الأولى.. فإنَّ ذلك في أيام الشباب أسهل وإمكانية التوفيق فيه أكثر.

لا تفعل مثل أبيك.. تهرم فتبقى تراوح مكانك أو تتراجع وهذا يحتاج إلى المراقبة والمحاسبة.

إذا تيسّر لإنسان ما - بدافع إلهي - مُلك الجن والإنس، بل إذا حصل عليه، فهو عارف بالله وزاهد في الدنيا..

وإذا كان الدافع نفسانياً وشيطانياً، فكل ما حصل عليه حتى إذا كان سبحة فقد ابتد بهذا المقدار عن الله تعالى.

سورة الحشر

بُني: طالع سورة «الحشر» المباركة، فإنَّ فيها خزائن من المعارف والتربية، وتستحق أن يمضي الإنسان عمراً يفكّر فيها، ويتزود - بالمدد الإلهي - منها (أنواعاً من الزاد) خصوصاً آياتها الأواخر حيث يقول سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨] إلى آخر السورة.

في هذه الآية الصغيرة لفظاً، الكبيرة جداً من حيث المعنى، احتمالات بنّاءة منبّهة يُشار إلى بعضها:

١ يمكن أن تكون خطاباً للأشخاص الذين حصلوا على مرتبة الإيمان الأولى، مثل إيمان العامة.

وبناءً على هذا الاحتمال، يكون الأمر بالتقوى في أولى مراتبها التي هي التقوى العامة، وهي «الحذر من مخالفة الأحكام الإلهية الظاهرية» وهي كذلك مرتبطة بالأعمال القلبية، وبحسب هذا الاحتمال، تكون جملة ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨] تحذيراً من عواقب أعمالنا، وشاهداً على أنَّ الأعمال التي تعملها تأتي نفسها بالصورة المناسبة في النشأة الأخرى. . . وستلحق بنا. .

وقد وردت آيات وروايات كثيرة حول هذا. .

التفكير في هذا الأمر يكفي القلوب المتيقظة، بل يوقظ القلوب المؤهلة، وقد يكون مدخلاً يُسهِّل الطريق إلى المراتب الأخرى. .

والظاهر أنَّ الأمر بالتقوى مكرراً، فيه تأكيدٌ، رغم أنَّ هناك إحتمالاً آخر. .

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨] أيضاً تحذير جديد من أنَّ أعمالكم ليست مخفية عن محضر الحق فإنَّ جميع العالم محضر الحق. .

٢ - يمكن أن تكون (الآية) خطاباً للأشخاص الذين أوصولا الإيمان إلى قلوبهم، فكثيراً ما يكون الإنسان بحسب الظاهر مؤمناً معتقداً بالشهادتين لكن قلبه لا علم له بذلك، يكون عالماً معتقداً بالأصول الخمسة إلا أنَّ هذا العلم لم يصل إلى قلبه. .

ولعلَّ غير خواص المؤمنين هم جميعاً كذلك. .

المعاصي التي تصدر من بعض المؤمنين منشؤها هو هذا. . إذا كان القلب مطلعاً على يوم الجزاء والعقاب الكذائي (المرعب) وقد آمن بذلك، فإنَّ صدور المعصية والتمرد منه بعيد جداً. .

الشخص الذي آمن قلبه بعدم وجود إله إلا الله لن يميل إلى غير الحق تعالى ومدح الآخرين، ولن يخاف ويحذر غيره..

مواجهة الشائعات

بُني: أحياناً أرى أنَّك تظهر الانزعاج والقلق من التهم المؤلمة وترويج الشائعات الكاذبة..

أولاً: يجب أن أقول لك.. ما دمت حياً وتتحرك ويراك الآخرون منشأ تأثير فإنَّ الانتقاد والتهمة واختلاق الشائعات ضدك أُمور لا يمكن إجتنابها..

العُقد كثيرة.. والتوقعات المتزايدة وألوان الحسد كثيرة..

من كان له دور فاعل حتى إذا كان لله مائة بالمئة فلن يمكنه أن يكون بعيداً عن تجريح أصحاب الأهواء السيئة.

أنا شخصياً أعرف عالماً جليلاً تقياً، لم يكن يُقال عنه طيلة الفترة التي سبقت وصوله إلى رئاسة جزئية إلا الخير - نوعاً ما - وتقريباً كان مقبولاً عند أهل العلم وغيرهم.

بمجرد أن توجهت النفوس إليه وحصل على مكانة دنيوية، ولو أنَّها لا تكاد تُذكر بالنسبة إلى مقامه (المعنوي)، أصبح مورداً للتهمة والأذى وأنواع الحسد وغلت (مراجل) العُقد ضده، وظل حاله كذلك طيلة الفترة التي أمضاها على قيد الحياة..

التوحيد

وثانياً: يجب أن تعلم أنّ الإيمان بوحدة الإله ووحدة المعبود ووحدة المُؤثّر لم يصل كما ينبغي إلى قلبك..

أبذل الجهد لتصل كلمة التوحيد - التي هي أعظم كلمة وأسمى جملة - من عقلك إلى قلبك.. فإنَّ حظ العقل هو ذلك الاعتقاد بالمجاهدة والتلقين إلى القلب فإنَّ فائدته وأثره لا يكادان يذكران..

كثيراً ما يكون بعض هؤلاء، أصحاب البرهان العقلي والاستدلال الفلسفي، أكثر من غيرهم في شَرَكَ إبليس والنفس الخبيثة «أرجُل الاستدلاليين خشبية». ولا تتبدل هذه الخطوة البرهانية والعقلية بخطوة روحانية وإيمانية إلاَّ عندما تصل من أفق العقل إلى مقام القلب ويقبل القلب ما أثبته الاستدلال العقلي..

لا مؤثر في الوجود إلا الله

بُنيّ: عليك بالمجاهدة لتودع القلب عند الله، ولا ترى مؤثراً غيره.. أوليس عامة المسلمين المتعبدين يصلّون في اليوم والليلة عدة مرات - والصلاة زاخرة بالتوحيد والمعارف الإلٰهية - ويقولون عدة مرات في اليوم والليلة ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] ويتلفظون أنَّ العبادة والإعانة مختصتان بالله..

إلاَّ أنَّهم يتذللون ويتزلفون لكل عالم وقوي وثري، إلاَّ المؤمنون بحق وخواص الحق سبحانه.

وأحياناً يأتون بأكثر ممَّا يأتون به للمعبود.. ويستمدون العون من كل شخص ويتمسكون بكل قشة من أجل آمالهم الشيطانية، وهم غافلون عن قدرة الحق..

بناءً على هذا الاحتمال: أن يكون مورد الخطاب متوجهاً إلى الأشخاص الذين وصل الإيمان إلى قلوبهم، فإنّ أمر هؤلاء بالتقوى له فروق عن الاحتمال الأول..

هذه التقوى ليست التقوى عن الأعمال غير اللائقة، إنَّها التقوى عن التوجه إلى غيره.. تقوى عن الاستمداد من غير الحق والعبودية لغيره..

تقوى عن فسح المجال لغيره جلَّ وعلا إلى القلب، تقوى عن الاتكال والاعتماد على غيره..

هذا الذي ترى أنَّنا - نحن وأمثالنا - مبتلون به، ويؤدي إلى خوفي وخوفك من الشائعات ونشر الأكاذيب والخوف من الموت والتحرر من الطبيعة وإزالة الخرقة هو من هذا القبيل الذي يجب الاتقاء منه..

وفي هذه الصورة فإنَّ المراد من ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨] الأفعال القلبية التي لها في الملكوت صورة، وفوق ذلك أيضاً صورة.. والله خبير بخطرات قلوب الجميع..

وهذا لا يعني أن يترك الإنسان الفعالية ويهمل تربية نفسه، ويجتنب كل شخص وكل شيء ويختار العزلة.. على خلاف السنة الإلهية والسيرة العملية لحضرات الأنبياء العظام والأولياء الكرام..

هم عليهم صلوات الله وسلامه.. بذلوا في سبيل الأهداف الإلهية والإنسانية كل الجهود اللازمة.. ولكن لا على شاكلتنا نحن عميَ القلوب الذين ننظر إلى الأسباب على نحو الاستقلال..

بل كانوا يعتبرون كل شيء في هذا المجال - وهو من مقاماتهم العادية - منه جلَّ وعلا..

وكانوا يرون الاستعانة بكل شيء استعانة بالمبدأ.. وأحد الفوارق بينهم وبين الآخرين هو هذا.. أنا وأنت وأمثالنا ننظر إلى الخلق والاستعانة بهم غافلين عن الحق تعالى..

وهم كانوا يرون الاستعانة به في الواقع، حتى إذا كانت في صورة الاستعانة بالأدوات والأسباب وكانوا يرون الحوادث منه رغم أنَّ الأمر في الظاهر عند أمثالنا غير ذلك. .

ومن هنا فإنَّ الحوادث مهما كانت منغصة فإنَّها كانت عندهم هنيئة. .

المدح والذم

بُنيّ: هناك أمر يثلج أفئدتنا نحن المتخلفين عن «قافلة الأبرار» وهو - في ما أرى - قد يكون دخيلاً في بناء من يكون بصدد بناء نفسه. .

يجب أن ننتبه إلى أن منشأ فرحنا بالمدح والثناء واستيائنا من الانتقادات والشائعات هو حب النفس الذي هو أخطر شراك إبليس اللعين. .

نحن نميل أن يكون الآخرون مداحين لنا. . حتى ولو صوَّروا أفعالنا العادية، وحسناتنا المتخيَّلة أكبر من حجمها بمئات المرات. .

ومحب أن تكون أبواب انتقادنا - ولو بحق - موصدة أو يتحول انتقادنا إلى مديح.

ننزعج من الحديث عن معايبنا لا لأنَّها ليست حقاً، ونفرح بالمدح والثناء، لا لأنَّه حق بل لأنَّه «عيبي أنا» و«مدحي أنا».

إذا صدر منك أمر ما، وصدر عين ذلك الأمر أو أفضل منه وأسمى من شخص آخر، خصوصاً أولئك الذين هم زملاؤك، وانبرى المدَّاحون لمدحه سيكون ذلك مزعجاً لك. .

وأدهى من ذلك إذا حولوا عيوبه مدائح، في مثل هذه الصورة، تيقَّن أنَّ يد الشيطان والنفس الأسوأ منه هي السبب.

بُنيّ: ما أحسن أن تلقِّن نفسك وتقنعها حقيقة واحدة وهي أن مدح المداحين وإطراء المطرين غالباً ما يهلك الإنسان ويجعله بعيداً عن التهذيب وأشدَّ بعداً..

التأثير السيىء للثناء الجميل في نفوسنا الملوثة أساس تعاساتنا والإلقاء بنا نحن ضعفاء النُّفوس بعيداً عن المحضر المقدَّس للحق جلَّ وعلا..

ولعلَّ الباحثين عن عيوبنا والمروجين للشائعات ضدنا مفيدون لعلاج معايبنا النفسية - وهو كذلك - كالعملية الجراحية المؤلمة المفيدة للمريض..

أولئك الذين يبعدوننا بمدائحهم عن جوار الحق أصدقاء يعبّرون عن عداوتهم بصورة صداقة..

وأولئك الذين يظنون أنَّهم يعبّرون عن عداوتهم لنا بالذم والفحش واختلاق الإشاعات هم أعداء يصلحوننا - إذا كنَّا أهلاً لذلك - إنَّهم يعبّرون عن صداقتهم لنا بصورة عداوة..

أنا وأنت إذا اقتنعنا بهذه الحقيقة وتركنا الحيل الشيطانية والنفسية نرى الواقعيات كما هي.. عندها سنضطرب من مدح المداحين وثناء أهل الثناء كما نضطرب اليوم من ذم الأعداء وشائعات المغرضين.. وسنتفاعل مع الذم ونتلقاه كما نتفاعل اليوم مع المدائح والإطراءات ونتلقاها..

إذا وصل إلى قلبك ممَّا ذكر، لن تتألم من المنغِّصات واختلاق الأكاذيب وستحصل على اطمئنان القلب.. فإنَّ أكثر المنغصات من الأنانية..

رحمنا الله جميعاً بالنجاة منها..

٣ - الاحتمال الآخر أنَّ الخطاب لأصحاب الإيمان من خواص أهل المعرفة والمولعين بمقام الربوبية، عاشقي الجمال الجميل الذي يرون بعين القلب ومعرفة الباطن جميع الموجودات مظهر الحق، ويرون نور الله في جميع المرائي وأدركوا (الآية) الكريمة: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] بالمشاهدة المعنوية والسير القلبي.. رزقنا الله وإيَّاكم..

التقوى

بناءً على هذا الاحتمال، فإنَّ للأمر بالتقوى لهذه الطائفة من العُشَّاق والخواص فروقاً عن الأمر بها للآخرين..

من الممكن أن تكون التقوى عن رؤية الكثرة وشهود المرائي والرائي، تقوى عن التوجه من الخلق، تقوى عن «ما رأيت شيئاً إلاَّ رأيت الله قبله ومعه وبعده» الذي هو المقام العادي لخلص الأولياء فإنَّ له «شيء» هنا دخلاً في الحديث..

تقوى عن مشاهدة ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

تقوى عن مشاهدة ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ [الحديد: ٤] و﴿وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ٧٩].

تقوى عن مظهر جمال الحق في الشجرة.

ومن هذا القبيل ما يرتبط برؤية الحق في الخلق..

وعلى هذا المنوال يكون المراد من الأمر بالنظر في ما قدمناه لغد تلك الحالات: مشاهدة الحق في الخلق، والوحدة في الكثرة، التي لها صورها المناسبة في العوالم الأخرى..

٤ - الاحتمال أنَّ الخطاب لأولئك الخُلَّص من الأولياء الذين

تجاوزوا مرحلة رؤية الحق في الخلق، وجمال حضرة الوحدة في الكثرة الفعلية ولا أثر لغبار الخلق في مرآة مشاهداتهم، وتخلصوا من الشِّرك الخفي في هذه المرحلة، إلاَّ أنَّهم أسلموا القلب لتجليات أسماء الحق وأصبحوا العشاق المتيمين لحضرة الأسماء، وتجلياتهم الأسمائية فانية من الغير ولا يشاهدون شيئاً غير جلوات (مظاهر) الأسماء..

بناءً على هذا يكون الأمر بالتقوى تقوى عن رؤية الكثرات الأسمائية والجلوات الرحمانية والرحيمية وسائر أسماء الله..

كأن صوتاً يضج في مسامعهم، أنَّه من الأزل إلى الأبد ليس هناك إلاَّ جلوة واحدة..

وتفسّر جميع الفقرات بما يناسب هذا.. وأنَّهم إذا تجاوزوا هذا فليس بعده شاهد ومشاهدة وشهود.. وليس إلاَّ الفناء في «هو المطلق» و«لا هو إلاَّ هو».

٥ - أشمل الاحتمالات أنَّ كل لفظ مثل «آمنوا» و«اتقوا» و«انظروا» و«ما قدمت» وهكذا.. يحمل على معناه المطلق، وكل مراتبه حقائق، فإنَّ الألفاظ موضوعة للمعاني بدون قيد، ومطلقة من الحدود..

وإذا كان ثمة من احتمالات أخرى فهي تندرج في هذا الاحتمال ومن مراتبه..

بناءً على هذا تشمل (الآية) كل فئة وطائفة من المؤمنين بالمعنى الحقيقي وتكون (جميع الفئات والأقسام) مصاديق للعنوان المطلق.

وهذا المطلب يفتح طريق فهم كثير من الأخبار التي تطبق الآيات على فئة أو شخص فيُتوهَّم الاختصاص وليس كذلك، بل هو ذكر المصداق أو المصاديق..

وبهذا المنوال الذي ذُكر من الاحتمالات يفتح الطريق - أيضاً - لفهم الآية المباركة: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الحشر: ١٩] التي هي بعد الآية المتقدمة.

وحسب الاحتمالات المتقدمة، في هذه الآية الشريفة أيضاً احتمالات متناسبة مع تلك الاحتمالات مختلفة المراتب ومتحدة الحقيقة.. لا مجال لتفصيلها.. وأكتفي فقط بذكر نكتة واحدة، وهي أن نسيان الحق موجب لنسيان النفس، سواء «النسيان» بمعنى عدم التذكر أو بمعنى الترك..

وفي كل من المعنيين إنذار عاصف..

إنَّ لازم نسيان الحق تعالى أن ينسى الإنسان نفسه، أو فقل يجره الحق تعالى إلى نسيان نفسه، وهو أمر صادق في جميع المراحل السابقة.

في مرحلة العمل، فإنَّ الذي ينسى الله وحضوره جلَّ وعلا يبتلى بنسيان ذات نفسه أو يجر إلى ذلك.

ينسى عبوديته فيُجرّ من مقام العبودية، ومنْ لا يعرف ما هو ومنْ هو وما هي وظيفته والعاقبة، يحل الشيطان فيه ويجلس بدلاً من ذاته، والشيطان عامل عصيان وطغيان..

وإذا لم يثب إلى رشده ويرجع إلى ذكر الحق، وانتقل من هذا العالم على هذه الحال من الطغيان والعصيان فقد يظهر (في ذلك العالم) على شكل شيطان مطرود من الحق تعالى.

وبالمعنى الآخر الذي هو بمعنى الترك.. الأمر أشد إيلاماً لأنَّه إذا كان ترك إطاعة الحق وترك الحق موجباً أن يتركه الحق ويكله إلى نفسه ويقطع عنه عناياته فلا شك في أنَّه ينتهي إلى خذلان الدنيا والآخرة.

في الأدعية الشريفة للمعصومين نجد أنَّه تم التأكيد على الدُّعاء كي لا يكلنا الله إلى نفوسنا، لأنَّهم عليهم السلام كانوا يعلمون نتائج هذه المصيبة ونحن غافلون عنها..

الغرور واستغفار الذُّنوب

بُنيّ: الذُّنوب.. حتى إذا كانت صغيرة بنظرك، لا تستخف بها «انظر إلى من عصيت» وبهذا المنظار كل الذنوب عظيمة وكبيرة.. لا تغتر بأي شيء، ولا تغتر بالله تبارك وتعالى الذي كل شيء منه، وإذا انقطعت عنايته الرحمانية عن موجودات جميع أرجاء عالم الوجود لحظة لن يبقى أثر حتى من الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين، لأنَّ كل العالم مظهر رحمانيته جلَّ وعلا..

ورحمته الرحمانية جلَّ وعلا هي على نحو الاستمرار - مع قصور اللفظ والتعبير - مبقية لنظام الوجود و«لا تكرار في تجليه جلَّ وعلا».

وأحياناً يعبر عنها ببسط الفيض وقبضه على سبيل الاستمرار..

على أيِّ حال.. لا تنسَ حضوره ولا تغتر برحمته كما يجب أن لا تيأس ولا تغتر بشفاعة الشافعين عليهم السلام. فإنَّ لذلك كله موازين إلٰهية ونحن لا نعرفها.

اجعل التأمُّل في أدعية المعصومين عليهم السلام وتحرُّقهم وتَفَجُّعهِم خوفاً من الحق والعذاب عنوان أفكارك وسلوكك.

الأهواء النفسانية، وشيطان النفس الأمَّارة يدخلاننا في الغرور ويجراننا - من هذا الطريق - إلى الهلاك..

حب الدنيا

بُنيّ: لا تسعَ أبداً أثر تحصيل الدنيا حتى الحلال منها، فإنَّ حب الدنيا حتى حلالها رأس جميع الخطايا، لأنَّها حجاب كبير وتجرّ الإنسان مرغماً إلى الدنيا الحرام.

أنت شاب وتستطيع بقوة الشباب التي أعطاك الحق أن تبتر أول خطوة انحراف ولا تدعها تنجر إلى خطوات أخرى.. لكل خطوة خطوة تتبعها، وكل ذنب - حتى إذا كان صغيراً - يجرّ الإنسان إلى ذنوب كبيرة وأكبر، بحيث تصبح الذنوب الكبيرة في نظر الإنسان ليست شيئاً يذكر..

بل أحياناً يفتخر الأشخاص على بعضهم بارتكاب بعض الكبائر وأحياناً - بواسطة شدة الظلمات والحجب الدنيوية - يصبح المنكر معروفاً والمعروف منكراً..

أنا أسأل الله تعالى جلَّ اسمه أن ينير عين قلبك بجماله الجميل، ويرفع الحُجب من أمام عينيك وينجيك من القيود الشيطانية والإنسانية حتى لا تتأسف مثل أبيك - بعد تصرم أيام الشباب وحلول الكهولة - على ماضيك، وتربط قلبك بالحق، حتى لا تستوحش من أي حادث، وتحرر قلبك من الآخرين لتحرر نفسك من الشرك الخفي والأخفى..

بعد هذه الآيات إلى آخر السورة مسائل شيقة جداً لا حال لي ولا مجال لأتحدث حولها..

اللهم اجعل أحمد عندك محموداً، وافطم فاطمة عن الذنوب، واجعل حسن أحسن، ويسّر أمر ياسر، وربّ هذه العائلة المنتسبة إلى أهل بيت

العصمة بعناياتك الخاصة، واحفظها من شر شياطين الداخل والخارج ومُنَّ عليهم بسعادة الدارين.

وآخر وصيتي هي:

ابذل جهدك في خدمة الأرحام خصوصاً أمك التي لها علينا حقوقاً واحصل على رضاهم.

والحمد لله أولاً وآخراً والصلاة على رسول الله وآله الأطهار واللعن على أعدائهم».

بتاريخ ١٧ شوال ١٤٠٤(هـ.ق)

روح الله الموسوي الخميني

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هدية غيبية

أهدي كتاب «آداب الصلاة» - الذي لم أجنِ منه سوى الأسف على القصور والتقصير في ما خلا من الأيام التي كنت قادراً فيها على بناء النفس، وسوى الحسرة والندامة في مرحلة الشيخوخة حيث يدي خالية، وحملي ثقيل، والسفر بعيد، والبلاء شديد، ونداء الرحيل يتردد في سمعي.

إلى ولدي العزيز «أحمد» لعلَّه، إن شاء الله ينتفع - وهو يتمتع بقوة الشباب - بمحتواه.

جمعته من كتاب الله والسنَّة المطهرة، وما أُثر عن الأولياء العظام فيرقى - مستفيداً من إرشادات أهل المعرفة - المعراج الحقيقي، ويستنقذ قلبه من هذه الظلمة، ويُوفّق لبلوغ مقصد الإنسانية الأصلي الذي سلكه أنبياء الله العظام وأولياؤه الكرام صلوات الله وسلامه عليهم، وأهل الله ودعوا الآخرين إليه.

بُني: اسع للعثور على نفسك المعجونة بفطرة الله، واستقذها من مستنقع الضلالة وأمواج العجب والأنانية، واركب «سفينة نوح» التي هي «ولاية الله» «فإنَّ من ركبها نجا ومن تخلَف عنها هلك».

بُني: اجهد أن يكون سيرك في «الصراط المستقيم» - صراط الله - وإن كان ذلك بخطىً وئيدة بطيئة.

واسعَ أن تكون حركات قلبك وسكناته وسائر جوارحك في إطار التسامي والارتباط بالله.

واحرص على السعي في خدمة الخلق لأنَّهم خلق الله، فرغم أنَّ أنبياء الله العظام والخواص من أوليائه تعالى كانوا يمارسون الأعمال كالآخرين، فإنَّهم لم يتعلقوا بالدنيا قط، وذلك لأنَّ شغلهم كان بالحق وللحق، إلاَّ أنَّه رُوي عن خاتم النبيين ﷺ قوله: «إنَّه ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في كلِّ يوم سبعين مرة». ولعلَّه كان يرى أنَّ رؤية الحق في الكثرة كدورة.

بُني: تهيأ بعدي لمواجهة مختلف مشاعر الجفاء والضغائن التي أكنَّتها الصدور مني، فسوف تنعكس عليك، وإذا كان حسابك مع ربك سليماً، وتحصنّت بذكر الله؛ فإنَّك لن تخشى الخلق، فأمر الخلق وحسابهم هينٌ سريع الانقضاء، والأزلي هو الحساب أمام الحقِّ تعالى.

بُني: قد تُعرضُ عليك بعدي المناصب، فإن كانت نيتك خدمة الجمهورية الإسلامية والإسلام العزيز فلا ترفض، ولكن إذا كانت نيتك لا قدَّر الله - إطاعة هوى النفس وإرضاء الشهوات، فاجتنب القبول إذ لا قيمة للمقامات والمناصب الدنيوية كي تضيّع نفسك من أجلها.

اللّهم مُنّ على (أحمد) وذريته وأهل بيته وهم عبادك ومن نسل رسولك الأكرم صلواتك عليه وعلى آله بالسعادة في الدنيا والآخرة، واحفظهم من شر الشيطان الرجيم.

اللَّهم خُذ بأيدينا نحن الضعفاء العاجزين المتخلّفين عن قافلة السالكين. اللَّهم عاملنا بفضلك، ولا تعاملنا بعدلك».

والسلام على عباد الله الصالحين

٢٢ ربيع الأول ١٤٠٥هـ

روح الله الموسوي الخميني

محضر الحق

وصية إلى السيد أحمد الخميني رحمه الله

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وصيَّة من أبٍ هَرِمٍ قضى عمراً بالبطالة والجهالة، وهو الآن سائرٌ إلى العالم السرمديّ بكفٍّ خالية من الحسنات، وصحيفة سوَّدتها السيِّئات، يحدوه الأملُ بمغفرة الله والرجاءُ بعفوه. . .

إلى ابنِ شابٍّ تَتَجاذبهُ مشاكلُ الزَّمان، وهو مُخيّر بين انتخاب الصراط الإلٰهي المستقيم (هداه الله إليه بلُطفه المُطلَق) وبين اختيارِ الطريق الآخرَ - لا سمح الله - حفظه الله من مزالقه برحمته.

أي بُنّيَ، الكتابُ الذي أهديه إليك هو نفحةٌ من صلاة العارفين، والسلُّوك المعنوي لأهل السلُّوك، رغم أنَّ قلم منْ هو مثلي عاجزٌ عن تبيان مسيرة هذا السفر؛ وأعترف بأن ما كتبته لا يخرج عن حدٍّ بعض الألفاظ والعبارات، فأنا لم أحصل إلى الآن على بارقة من هذه النفحة.

ولدي، إنَّ ما في هذا «المعراج» هو الغايةُ القُصوى لآمال أهل المعرفة؛ وقد قصرت أيدينا عنها:

«اسحب الشباك فالعنقاء لا تكون صيداً لأحَد».

ولكن!! لا ينبغي لنا اليأس من ألطاف الله الرحمن؛ فهو - جلَّ وعلا - الآخذ بأيدي الضعفاء، ومُعينُ الفقراء.

السفر إلى الله

عزيزي... الكلام هو في السفر من الخلق إلى الحقِّ تعالى، ومن الكثرة إلى الوحدة، ومن الناسوت إلى ما فوق الجبرُوت، إلى حدِّ الفناء المُطلقَ الذي يَحصُلُ في السجدة الأولى، والفناء عن الفناء - هو الذي يقع في السجدة الثانية - بعد الصحو. وهذا هو تمامُ قوس الوجود (من الله وإلى الله) وفي تلك الحال ليس من ساجدٌ ومسجودٌ له، ولا عباد ومعبود، فـ ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ﴾ [الحديد: ٣].

إنكار مقامات العرفاء

ولدي، ما أوصيك به - بالدرجة الأولى - هو أن لا تُنكر مقامات أهل المعرفة، فالإنكار سُنَّةُ الجُهال؛ واتَّقِ مُعاشرة مُنكري مقامات الأولياء، فهم قُطَّاعُ طريقِ الله تعالى.

جهاد النفس

بُني: تحرَّر من حب النفس والعجب، فهما إرثُ الشيطان، فبالعُجبِ وحُبِّ النفس تَمرَّدَ على أمر الله بالخُضُوعِ لوليّ الله وصفيِّه (جَلَّ وعلا).

واعلم!! أنَّ جميع ما يحلّ ببني آدم من مصائب ناشيءٌ من هذا الإرث الشيطاني، فهو أصلُ الفتنة، وربَّما تُشير الآية الكريمةُ: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٣] في بعض مَراحلها (مستوياتها) إلى الجهاد الأكبر، وقتال أساس الفتنة وهو الشيطانُ وجنودُهُ، ولهؤلاء فروعٌ وجُذورٌ في أعماق قلوب بني الإنسان كافَّة، وعلى كل إنسان أن يجاهد «حتى لا تكون فتنة، داخلَ نفسِه وخارجَها، فإذا حقّق هذا الجهاد النَّصر؛ صَلُحت الأُمورُ كافَّة، وصَلُح الجميع.

الصلاة طريق الوصول إلى الله

بني: اسعَ لتحقيق هذا النَّصر أو بعض درجاته، اجتهد واعمل للحد من الأهواء النفسانية التي لا حد لها ولا حصر، واستعن بالله - جلَّ وعلا - فإنَّه لا يصل أحدٌ لشيء من دون عونه؛ والصلاة - معراج العارفين وسفرُ العاشقين - سبيلُ الوُصول إلى هذا المقصد.

ولو كان لكَ ولنا توفيقُ تحقُّق ركعة واحدة منها، ومُشاهدة الأنوار المكنونة فيها، ومعرفة أسرارها الخفيَّة - ولو على قَدرِ ما نُطيقُهُ نحنُ - لحصلنا على نفحة من مقصد أولياء الله، ومقصودهم، ولَشاهدنا صورةً مصَّغرة لصلاة معرج سيِّد الأنبياء والعرفاء - عليه وعليهم وعلى آله الصلاةُ والسَّلام - نسأل الله أن يمن علينا وعليكم بهذه النعمة العظمى.

الطريق إذاً طويلٌ وخطيرٌ جداً، ويستلزم الراحلة، والكثير من الزاد، وزادُ أمثالي إمَّا معدومٌ أو قليلٌ جداً، فما من أملٍ إلاَّ أن يشملَنا لُطفُ الحبيب - جلَّ وعلا - فيأخذ بأيدينا.

الشباب والشيخوخة

عزيزي، استثمر ما بقي من الشباب، ففي الشيخوخة يضيعُ كلُّ شيء، حتى الالتفات إلى الآخرة والتوجُّه إلى الله تعالى.

إنَّ من كبريات مكايد الشيطان والنفس الأمَّارة بالسُّوء؛ أن تُمَنِّي الشبابَ بُوعود الصَلح والإصلاح عند حُلول الشيخوخة، فتُخسرهُم شبابهم الذي يضيع بالغفلة.

وأما الشيبة، فتُمنيهم بطُول العُمر حتَّى اللحظات الأخيرة، وتَصُدُّ الإنسان بوعودها الكاذبة - عن ذكر الله والإخلاص له، إلى أن يأتي

الموتُ، وعندها تأخذُ منه الإيمان، إن لم تكُن قد أخذته منه كاملاً قبلَ ذلك الحين.

الارتباط بالله

إذن؛ فانهض للمُجاهدة وأنت شابٌّ تمتلك قُوَّةً كُبرى، واهرب من كلِّ شيء ما عدا الحبيب - جلَّ وعلا - وعزِّز بما استطعت ارتباطك به تعالى إن كان لديك ارتباط.

أمَّا إذا لم يكن لديك ذلك - والعياذُ بالله - فاسعَ للحصُول عليه، واجتَهد في تقويته، فليس هناك ما يستحقُّ الارتباط به سواه تعالى، وإذا لم يكن التعلُّقُ بأوليائِهِ تعلُّقاً به تعالى فَفيه مكيدةٌ من حبائل الشيطان الذي يصدُّ عن السبل إلى الحقِّ تعالى بكلِّ وسيلة.

لا تنظر أبداً إلى نفسك وعملك بعين الرضا؛ فقد كان أولياء الله الخُلّص يرون أنفسهم لا شيء، وأحياناً كانُوا يرون حسناتهم من السيئات.

الشعور بعظمة الله تعالى

بني، كلَّما ارتفع مقام المعرفة، تعاظَمَ الإحساسُ بحقارةِ ما سواه - جلَّ وعلا - .

في الصلاة - مرقاةُ الوصول إلى الله - هناك تكبيرٌ واردٌ بعدَ كلِّ ثناء، كما أنَّ دخولها بالتكبير، وتلك إشارةٌ إلى أنَّه تعالى أكبر من كلِّ ثناء حتى من أعظم ثناء وهو الصلاة. وبعد الخروج هناك «تكبيراتٌ» تُشيرُ إلى أنَّه أكبرُ من توصيف الذات والصفات والأفعال.

ماذا أقول؟!

من الذي يصف وبأيّ وصف؟!

ومَن هو الموصوف؟! وبأيَّة لغة وأيَّ بيان يَصف.

وكلُّ العالم من أعلى مراتب الوجود إلى أسفل سافلين هو لا شيء إذ إنَّ كُلَّ ما هو موجودٌ هو تعالى لا غير؟!

فما يُمكن أن يُقال عن الوجود المطلق؟!

ولولا أمرُ الله وإذنه - جلَّ وعلا - فربَّما لم يَتحدَّث عنه بشيء أيٌّ من الأولياء، وإن كان كلُّ ما هو موجودُ حديثاً عنه لا عن سواه!! والكلُّ عاجزٌ عن التمرد عن ذكره، فكلُّ ذكر ذكرهُ:

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣].

و﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] لعلَّها خطابٌ بلسان الحقَّ تعالى إلى جميع الموجودات:

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٤]. وهذه أيضاً بلسان الكثرة، وإلاَّ فإنَّه هو الحمدُ والحامدُ والمحمودُ «إنَّ ربَّك يُصلِّي» و﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥].

خدمة الناس

ولدي... ما دُمنا عاجزين عن شكره وشُكر نعمائه التي لا نهاية لها، فما أفضل لنا من أن لا نغفل عن خدمة عباده، فخدمتهم خدمة للحق تعالى، فالجميع منه!

علينا أن لا نرى أنفُسنا - أبداً - دائنين لخلق الله عندما نَخدِمُهُم، بل هُمُ الذي يُمنُّون علينا حقاً، لكونهم وسيلةً لخدمة الله جلَّ وعلا.

ولا تسعى لكسب السمعة والمحبوبيَّة من خلال هذه الخدمة، فهذه بحدِّ ذاتها من حبائل الشيطان التي يُوقعنا بها.

واختر في خدمة عباد الله ما هو الأكثر نفعاً لهم، وليس ما هو الأنفع لك ولأصدقائك، فمثل هذا الاختبار هو علامةُ الإخلاص لله جلَّ وعلا.

ولدي العزيز؛ إنَّ الله حاضرٌ، والعَالمُ محضره، ومرآةُ نفوسنا هي إحدى صحائف أعمالنا، فاجتهد لاختيار كلِّ عمل يُقرّبك إليه، ففي ذلك رضاه جلَّ وعلا.

ولا تعترض عليَّ - في قلبك - بأن لو كُنت صادقاً، فلماذا أنت نفسُك على غير هذه الحال؟! فأنا نفسي على علم بأني لا اتَّصف بأيّ من صفات أهل القلوب، ولدي خوفٌ من أن يكون هذا القلم في خدمة إبليس والنفس الخبيثة، فأُحاسبُ على ذلك غداً، ولكن أصل هذه المطالب حقٌّ، وإن كانت مكتوبةً بقلم من هو مثلي ممَّن لم يبعد عن الخصال الشيطانية.

وألجأ إلى الله تعالى في أنفاسي الأخيرة آملاً من أوليائه النجاة والشفاعة.

اللهم... خُذ أنت بيد هذا العجوز العاجز، وأحمد الشاب، واجعل عواقب أُمورنا خيراً...

واجعل لنا سبيلاً إلى جلالك وجمالك، برحمتك الواسعة.

والسلام على من اتبع الهدى

ليلة ١٥ ربيع المولود ١٤٠٧هـ.ق

روح الله الموسوي الخميني

نار الشوق

وصية إلى السيد أحمد الخميني رحمه الله

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، الذي لا رحمن ولا رحيم غيره، ولا يُعبد ولا يُستعان إلاَّ به، ولا يُحمد سواه، ولا ربَّ ولا مُربِّي إلاَّ إيَّاه، وهو الهادي إلى الصراط المستقيم، ولا هادي ولا مرشد إلاَّ هو، ولا يُعرف إلاَّ به، هو الأول والآخر والظاهر والباطن. والصلاة والسلام على سيِّد الرُّسل ومرشد الكلّ الذي ظهر من غيب الوجود إلى عالم الشهود، وأتمّ الدائرة وارجعها إلى أولها، وعلى آل بيته الطاهرين الذين هم مخازن سّر الله، ومعادن حكمة الله، وهداة ما سوى الله.

وبعد...

هذه وصية من عجوزٍ عاجزٍ، أمضى زهاء التسعين عاماً من عمره غارقاً في مستنقع الضلالة وسكر الطبيعة، يطوي الآن أيام أرذل عمره منحدراً نحو قعر جهنم، غير آمل بالنجاة، وغير آيسٍ من روح الله ورحمته، فلا أمل سواه تعالى، يرى نفسه عالقاً في متاهات العلوم المتعارفة والقيل والقال وأضحت معاصيه ممَّا يعجز سوى الله تبارك وتعالى عن إحصائها.

إلى شابٍ يُؤمَّل له أن يشقّ طريقه نحو الحق وينجو - بتوفيق الله وهداية الهداة من المستنقع الذي سقط فيه أبوه.

ولدي العزيز أحمد، انظر - سلَّمك الله - في هذه الأوراق نظر ناظرٍ إلى ما يُقال، لا إلى منْ يقول «وانظر إلى ما قال، ولا تنظر إلى من قال»، فإني أهدف ممَّا أقول تنبيهك رغم أنني خالٍ ممَّا أقول، بعيد عنه.

الأمل بالله تعالى

اعلم أنَّ ليس لأيّ موجودٍ من الموجودات - بدءاً من غيب عوالم الجبروت وإلى ما فوقها أو تحتها - شيءٌ من القدرة أو العلم أو الفضيلة، وكل ما فيها من ذلك إنَّما هو منه جلَّ وعلا، فهو الممسك بزمام الأُمور من الأزل إلى الأبد، وهو الأحد الصمد، فلا تخش من هذه المخلوقات الجوفاء الخاوية الخالية، ولا تُلق آمالك عليها أبداً، لأنَّ التعويل على غيره تعالى شركٌ، والخوف من غيره جلَّت عظمته كفرٌ.

إصلاح النفس فترة الشباب

بني: اسع في إصلاح نفسك ما دمت تحظى بنعمة الشباب، فإنَّك ستخسر كل شيءٍ في الشيخوخة، فمن مكائد الشيطان (ولعلَّها أخطر مكائده - التي سقط فيه أبوك وما زال - إلاَّ إذا أدّاركته رحمة الحق تعالى) الاستدراج، ففي أوائل الشباب يسعى شيطان الباطن - أشدُّ أعداء الشباب - في ثنيه عن إصلاح نفسه ويمنّيه بسعة الوقت، وأن الآن هو آن التمتع بالشباب، ويستمر في خداعه بالوعود الفارغة ليصدّه عن فكرة الإصلاح تماماً، وساعة بعد ساعة، ويوماً بعد يوم يتصرّم الشباب، ويرى الإنسان نفسه فجأة في مواجهة الهرم الذي كان يُؤمِّل فيه إصلاح نفسه، وإذا به ليس بمنأىً عن وساوس الشيطان أيضاً، إذ يمنّيه آنذاك بالتوبة في آخر العمر. لكنّه حينما يحُسُّ بالموت في آخر العمر، يصبح الله تعالى

أبغض موجود إليه، لأنَّه يريد انتزاع الدنيا التي هي محبوبه المفضّل منه، وهذه حال أولئك الذين لم ينطفىء نور الفطرة فيهم تماماً، وهناك من أبعدَهم مستنقعُ الدنيا عن فكرة الإصلاح كلياً، وسيطر عليهم غرور الدنيا بشكلٍ تام، وقد رأيت أمثال أولئك بين أهل العلوم وما زال بعضهم على قيد الحياة، وهم يرون أنَّ الأديان ليست سوى خرافة وترهات.

بني: انتبه جيداً إلى أن أيّ أحد منّا لا يمكنه أن يكون مطمئناً إلى عدم وقوعه في حبائل هذه المكيدة الشيطانية.

الدعاء

عزيزي اقرأ أدعية الأئمة المعصومين عليهم السلام وانظر كيف أنَّهم يعتبرون حسناتهم سيئات، وكيف يرون أنَّهم يستحقّون العذاب الإلٰهي، ولا يفكّرون سوى برحمة الحق تعالى، وأهل الدنيا، وتلك الفئة من المعمّمين اللاهثين وراء بطونهم، إنَّما يُؤولّون هذه الأدعية، لأنَّهم لم يعرفوا الله جلَّ وعلا.

بني: والأمر في ذلك فوق ما نتصوره، فهم بين يدي عظمة الله، فانون من أنفسهم، لا يرون غيره تعالى، وفي تلك الحال ليس هناك كلامٌ أو ذكر أو فكر، وليس هناك ذات، وهذه الأدعية الكريمة والمناجات إنَّما صدرت منهم في حال الصحو قبل المحو أو بعد المحو، حيث انهم حينها كانوا يرون أنفسهم في محضر الحاضر - ونحن والجميع - عدا أولياء الله الخُلّص - قاصرون عن ذلك..

فطرة التوحيد

إذن فسأبدأ الحديث عن تلك الأُمور التي لا تليق بأمثالي وإنَّما الأمل بفضل الله وإمداد أوليائه عليهم السلام أن يعينك أنت يا ولدي، لعلّك تصل

إلى تلك الحال. وهي «فطرة التوحيد» الأمر الموجود في ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] فهو أمرٌ فُطر عليه جميع الناس، بل جميع الموجودات، فما يُبحث عنه ويجري وراءه الجميع سواء في العلوم والفضائل والفواضل، أو في المعارف وأمثالها، أو في الشهوات والأهواء النفسانية، أو في التوجّه إلى كل شيء وأي شخص من قبيل أصنام المعابد والمحبوبات الدنيوية الأخروية الظاهرية والخالية والمعنوية والشكلية، كحب النساء والبنين والقبيلة والقادة الدنيويين كالسلاطين والأمراء وقادة الجيوش، أو القادة الأخرويين كالعلماء المفكّرين والعرفاء والأنبياء عليهم السلام كل ذلك هو ذات التوجّه إلى الواحد الكامل المطلق، فليس من حركةٍ تقع إلاَّ له تعالى، وفي سبيل الوصول إليه جلَّ وعلا، وليس من قدمٍ تخطو إلاَّ نحو ذلك الكمال المطلق، ونحن وأمثالنا - ممَّن حجبتنا الحجب الظلمانية المتراكمة بعضها فوق بعض - إنَّما نعاني ونتعذَّب نتيجة هذا الاحتجاب

اليقظة

وأول خطوةٍ تكون مُقدِّمة لرفع الحُجب هي أن نعتقد أنَّنا محجوبون، وأنَّ علينا أن نصحو تدريجياً من خَدرَ الطبيعة الذي شمل كامل وجودنا من السرّ والعلن والباطن والظاهر، وهي اليقظة التي عدّها بعض أهل السلوك، «المنزل الأول» من منازل السالكين، إلاَّ أنَّها ليست كذلك، فهي حالة عودة الوعي والاستيقاظ، وهي مقدمة للبدء في السير ورفع جميع الحجب الظلمانية، ثم الحجب النورانية والوصول إلى أول منزل التوحيد.

والأمر سيّان إذا التزمنا إطار العقل، أو الأطر الأخرى بأسرها، فجميعها تُفصح عن أنّ الكمال المطلق هو جميع الكمالات، وإلاّ فهو ليس

بمطلقٍ، ولا إمكان لظهور أيّ كمالٍ أو جمالٍ في غير الله، لأنَّ الغيرية هي عين الشرك إن لم نقل إنَّها إلحادٌ.

حجاب العلم

عزيزي: ينبغي - أولاً - أن نخطو بقدم العلم رويداً رويداً، فإنَّ أيّ علمٍ هو الحجاب الأكبر، وبالدخول بهذا الحجاب سنتعلم رفع الحُجب، تعالَ إذن ننطلق معاً نحو الوجدان، لعلَّ ذلك يفتح الطريق أمامنا.

حب الكمال

إنَّ أيّ إنسان، بل أيّ موجود عاشقٌ للكمال بالفطرة ومستنفرٌ من النقص، فأنت إنَّما تطلب العلم لأنَّك تطلب الكمال، وبذا فأنت ترى أنَّ فطرتك لا تقنع أبداً بأي علم تناله، وهي بمجرد أن تدرك وجود مراتب أرقى وأعلى في هذا العلم، فإنَّها ستبحث عنها وتطالب بها، وسوف تتنفّر ممَّا لديها من العلم الذي نالته لما سترى من محدودية ونقص، فما تعشقه الفطرة هو كمال العلم لا نقصه، ولو أنَّ مقتدراً اهتم بقدرته فهو إنَّما يسعى إلى كمال القدرة لا إلى نقصها، لذا نرى المقتدرين يسعون دوماً لقدرة أعظم وأعلى، غافلين عن انَّ القدرة المطلقة إنَّما هي الموجود المطلق، وانَّ جميع «دار التحقق» إنَّما هي مظهرٌ من ذلك الموجود المطلق، وأينما تولِّ وجهك إنَّما تولِّ وجهك إليه، إلاَّ أنَّك محجوبٌ ولا تعلم، وإذا أدركت هذا المقدار وفهمته بالوجدان فلا يمكن أن تتوجّه إلى غير الموجود المطلق، وذلك هو الكنز الذي يُغني الإنسان عن الحاجة إلى غيره تعالى، ويصبحُ كلُّ ما يصل إليه من المحبوب المطلق، وكل ما سُلِبَهُ إنَّما سَلَبَه إيّاه المحبوب المطلق، حينها ستستشعر اللذة حينما ترى من يبحثون عن

سقطاتك وعيوبك، لأنَّ ذلك كله من المحبوب وليس منهم، وحينها أيضاً لن تعلق القلب بأيٍّ مقامٍ غير مقام الكمال المطلق.

الجمهورية الإسلامية الإيرانية

ولدي العزيز: دعني أتحدَّث إليك الآن بقلمي ولساني العاجزَين:

أنت والجميع تعلمون بأنَّكم تحت ظلٍّ نظام وقف بوجه القوى الشيطانية بيُمن القدرة والتوفيق الإلٰهيين، وبدعاءِ وتأييد بقية الله - أرواحنا لتراب مقدمه الفداء - وبتضحيات الشعب الإيراني الثوري - روحي فداهم واحداً واحداً - نظامٌ مرغَ بالتراب أنف نظام الفوضى الملكية الذي لم يُحسن - خلال آلاف السنين - غير الظلم وإلحاق الأذى بأبناء الشعب والقتل والنهب، وفي هذا الخضمّ تعرض أولئك الطفيليون - اتباع النظام الفاسد الذين مارسوا أنواع الظلم والتعدي والسلب - إلى السقوط من أوج قدرتهم إلى أسفل السافلين - كما حصل لتلك القوى الشيطانية وشبكات إعلامها المضلل - وتفرق الكثير منهم الآن في مختلف البلدان الأجنبية، عدا منْ بقي منهم في داخل البلاد وقلبه متعلّق بالأجانب، وقد عقدوا مع الغرب عقد الوئام، فهم جميعاً قد تعرضوا إلى فقدان مصالحهم على المستوى الدولي، وأصبحوا حديث الناس بما أصابهم من الخزي والعار، واليوم فإنَّ لهؤلاء - خصوصاً أمريكا الناهبة - مؤيدين في العالم، وبين الشعوب المستضعفة والغافلة عن حقيقة القدرة التي يمتلكها الإسلام، وفي مجتمعنا نحن أيضاً، العديد من المأسورين بأمريكا يعيشون بيننا وقد امتشقوا سيوفهم بوجه هذه الجمهورية المباركة والمسؤولين فيها، ينتظرون زوالها لما يرون من خطر يُهدّد منافع الغرب، بسبب الإسلام العظيم - القدرة الوحيدة التي تسبب في تعرضهم لهذا الخطر - .

كذلك فإنَّ الشرق المُلحد - الذي يقف بوجه أيَّة محاولة تمسّ قدرته، وبعد أن سيطر هو الآخر على نصف العالم - يحسّ أنَّه وأصدقاءه في معرض الخطر أيضاً من هذا الإسلام المتنامي القدرة، هذا الشرق الملحد له في داخل البلاد وخارجها مؤيدون أيضاً يقفون تبعاً لمعبودهم الكبير بوجه الإسلام العظيم والجمهورية الإسلامية ومسؤولي النظام، ويسعون جاهدين للقضاء عليها وعلى أيّ أثر لها.

في مثل هذا المحيط، وفي مثل هذه الأوضاع، هل تتوقّع أن يُشَدّ على يد الجمهورية الإسلامية وينبري المادحون لمدحها، والترحيب بها وبالمسؤولين فيها؟

إنَّ طبيعة التفكير البشري الفاسد تقتضي إزالة ما يُعتبر عوائق من الطريق، واستخدام أيَّة وسيلة لتحقيق ذلك، وأحد أساليبهم التي يلجأون إليها - علاوة على الأسلوب العسكري والاقتصادي والقضائي - «الأسلوب الثقافي» فالثقافة المنحطة للغرب والشرق تقتضي استخدام كل الإمكانات الإعلامية المُتاحة لهم لنشر الأكاذيب على مدار الساعة، وإلصاق الاتهامات والافتراء على الثقافة الإسلامية الإلٰهية، واستغلال كل فرصة للقضاء على القوانين الإلٰهية للجمهورية الإسلامية وعلى أصل الإسلام، واعتبار المرتبطين بالإسلام رجعيين وفاقدين للحسّ السياسي. إلى غير ذلك، من القول بعدم مناسبة القوانين الإسلامية لعصرنا الحاضر، على أساس انها قوانين مضى عليها «ألف وأربعمائة» عام، فلا تنفع في إدارة الأُمور في وقتنا الحاضر الذي يمتلىء بالمستجدات التي لم تكن موجودة في تلك العصور، وقد كرر بعض مدّعي الإسلام هذه الأُمور أيضاً، وما زالوا.

في مثل هذا المحيط ينبغي الوقوف بوجه هذه المؤامرات الواسعة - استناداً إلى الثقافة الإلٰهية الإسلامية - والثبات بوجهها، فينبري لذلك الكتَّاب الملتزمون والخطباء والفنانون للاستفادة من هذه الفرصة العظيمة، وباستمداد من الروحانيين العارفين بالفقه الإسلامي والقرآن الكريم، ممَّن يستنبطون الأحكام الإلٰهية المناسبة لكل عصر بالاجتهاد الصحيح من القرآن الكريم، والسنَّة النبوية المطهرة والأخبار الفياضة بالمعارف الإلٰهية والفقه الأصيل وعرضها للعالم أجمع، ولا تخشوا أولئك الذين لا همَّ لهم سوى البحث عن عيوب الآخرين، والمنحرفين، ووعاظ السلاطين، والمعمّمين المرتبطين ببلاط الملوك، وفهِّموا أولئك القشريين من الروحانيين أو غيرهم ممَّن يقفون بوجه الحكومة الإسلامية جهلاً أو عمداً، أو بباعث الحسد أو عدم الفهم - بما اتبعه النبي الأكرم ﷺ وأمير المؤمنين ؑ وسائر الأئمة من أساليب، وبالموعظة الحسنة - بأنَّ هذه الانحرافات إذا أدَّت إلى ألحاق ضررٍ ما - لا سمح الله - بالجمهورية الإسلامية التي تهدف إلى إحياء الإسلام الذي تعرض للظلم على مدى التاريخ، فإنَّ الإسلام سيتعرض إلى ضربة من الغرب والشرق، ومن المرتبطين بهما ممَّا يؤدي إلى أن نواجه قروناً من الفساد تفوق عصر الملكية المقبور الظالم ظلمةً وفساداً.

والآن جاء دور تقديم النصيحة الأبوية إلى ولدي أحمد:

مواجهة الابتلاء

بنيّ: رغم انك لم تتصدَّ لأية مسؤولية ممَّا تصدى له القادة الإسلاميون المسؤولون - أيّدهم الله تعالى - إلاَّ أنَّك تتعرض للكثير من الصدمات،

وما ذلك إلاَّ لأنَّك ابني، فبناءاً على فهم الغرب والشرق، ينبغي أن أصبح أنا وكل من هو قريبٌ مني - خصوصاً أنت لما تمثله من القرب الشديد مني - موضعاً للتهمة والأذى والافتراء، فجريرتك الحقيقية هي أنَّك ابني، وهذا ليس بالجرم القليل في نظرهم، ولا شك أنَّهم سيعرضونك إلى أشدّ من هذا، وعليك أن تستعدّ لتحمّل المزيد، ولكنَّك إذا تمسكت بالإيمان وبالاعتقاد بالله تعالى، واطمأننت إلى حكمة الباري ورحمته الواسعة، فإنَّك سترى هذه التهم والافتراءات والمتاعب المتزايدة هدايا من محب يريد إعانتك على ترويض نفسك، وابتلاءً وامتحاناً إلٰهياً لتنقية نفوس عبيده.

تحمّل الصدمات إذن، واشكر الله تعالى على رعايته لك واسأله المزيد.

مكانة السيد أحمد الخميني رحمه الله

ابني العزيز: رجوتني مراتٍ عديدة أن لا أتحدث عنك بما يدلُّ على تبرئتك من التهم المنسوبة إليك، وقلت إنَّ ذلك لأجل الإسلام ومصلحة الجمهورية الإسلامية، ولكن إذا رأيت في هذه الوريقات أني خالفت قولك هذا وقلت عنك شيئاً غير ما طلبت مني، فاعلم أنَّ ذلك عمل بالتكليف الإلٰهي، والتصدي للدفاع عن شخص مسلم، أو عن أحد عباد الله ممَّن تحمّلوا في سبيلي كل هذه التهم والأذى، دون أن أقول أنا كل ما أعرف عنه.

أُشهد الله القاهر الحاضر المنتقم بأنَّ (أحمد) ومنذ اليوم الذي تصدى فيه لمساعدتي، وأصبح مسؤولاً عن علاقاتي الخارجية وإلى الآن - حيث

أكتب هذه الكلمات - لم يخطُ خطوةً، أو يكتبْ حرفاً واحداً خلافاً لقولي، أو لما أكتبه، وقد سعى بحرصٍ شديد على عدم تغيير كلمة واحدة، بل حتى حرفٍ واحد أحياناً ممَّا قلته أو كتبته ممَّا يرى هو حاجة إلى إصلاحه دون إذنٍ مني، رغم إني أجزته هو وبعض أعضاء مكتبي الخاص ممَّن تكفّلوا مسؤولية العلاقات الخارجية - حفظهم الله - أن يلفتوا نظري إلى أي شيءٍ يرون فيه خلاف الصلاح، وقد كان ابني (أحمد) دوماً في مجريات هذه الأُمور وما زال، إلاَّ أنَّه إلى الآن لم يعمل على إضافة أو إنقاص كلمةٍ دون الرجوع إليَّ، والله على كل ذلك شهيد.

إلٰهي! رغم عدم رغبتي في كتابة أو قول أي شيءٍ حول أقربائي ممَّا يُشمّ منه رائحة المديح، إلاَّ أنَّك تعلم يا إلٰهي بأنَّ السكوت إزاء التهم الباطلة جرمٌ وذنب، وإنِّي لم ألمس من إخواني ممَّن يعملون في مكتبي أيَّة مخالفةٍ تستوجب عدم رضاي، هؤلاء كان لهم ماضٍ طويل معي، وقد تعرض من بينهم الشيخ الصانعي إلى مختلف الصدمات - على مدى حياتي - بسبب ارتباطه بي، وإني أدعو لهم جميعاً بالأجر الجزيل والصبر الجميل.

لا يفوتني أن أقول في الختام بأن (أحمد) لم يستلم إلى الآن ديناراً واحداً من بيت المال، وإني أنفق من أموالي الخاصة لأُمور معاشه.

دعاء

اللهم اغفر لنا - نحن عبيدك الغارقون في الذُّنوب - ولا تحجب عنَّا رحمتك الواسعة، وإن كنَّا لسنا أهلاً لذلك، ولكنَّا مخلوقاتك.

اللهم! احفظ هذه الجمهورية الإسلامية والمسؤولين فيها، ومقاتلينا

الأعزاء، وارعهم بعين رعايتك، وارحم الشهداء والمفقودين الأعزاء وعوائهم برحمتك. ورُدَّ الأسرى والمفقودين إلى أوطانهم بحق محمد وآله الأطهار عليهم السلام.

بتاريخ ٢٧ ربيع الثاني ١٤٠٨هـ

١٩/ ١٢/ ١٩٨٧م

روح الله الموسوي الخميني

وقود الحب

وصية إلى السيدة فاطمة الطباطبائي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

«فاطمة التي طلبت مني رسالةً عرفانيةً، طلبت من نملةٍ عرش سليمان كأنَّها لم تسمع «ما عرفناك» ممَّن طلب منه جبريل نفحةً رحمانيةً.

أخيراً بعد الإصرار، حملتني على أن أكتب وبشكلٍ ببغاويٍ، عدة أسطر عمَّا قلبي غير مطلعٍ عليه، وأنا أجنبي عنه. وهذا في الوقت الذي رمى ضعف الشيخوخة ما كان في كنانتي - رغم أنَّه لم يكن شيئاً يُذكر - في دائرة النسيان.. وأضيفت إلى ذلك الابتلاءات التي لا تُحكى ولا تُكتب.. ويكفي أن أذكر تاريخ هذا الكتاب ليُعلم في أي زمان بدأت (الكتابة) حتى لا أرد طلبك السبت ٢٤ شعبان المعظم ١٤٠٤/ ٥ خرداد ١٢٦٢، وليلاحظ القراء أوضاع العالم وإيران في هذا التاريخ.

الفطرة والكمال

من أين أبدأ، الأفضل أن يكون ذلك من الفطرة ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم: ٣٠].

هنا أكتفي بالفطرة الإنسانية رغم أنَّ هذه خاصية الخلقة ﴿وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ﴾ [الإسراء: ٤٤].

«الكل يقولون: «نحن سميعون وبصيرون ومدركون إلاَّ أنَّنا معكم أيُّها

الأجانب ساكتون»، نحن أيضاً نلقي نظرةً على العرفان الفطري للناس ونقول: بمقتضى الفطرة والخلقة لا يمكن أن يتوجه الإنسان إلى غير الكمال المطلق أو يتعلق قلبه به.

كل الأرواح والقلوب متوجهةٌ إليه، ولا ولن تبحث عن غيره، وتمدحه هو ولا تستطيع أن تمدح غيره.. مدح كل شيء مدح له رغم أنَّ المادح ما دام في الحجاب يظن أنَّه يمدح غيره.. وفي التحليل العقلي الذي هو أيضاً حجاب، الأمر كذلك أيضاً.

ذلك الذي يطلب الكمال كيفما كان عشق الكمال المطلق لا الكمال الناقص.. كل كمال ناقص محدود بالعدم، والفطرة تنفر من العدم.

طالب العلم يطلب العلم المطلق ويعشق العلم المطلق وكذلك طالب القدرة وطالب كل كمال.

الإنسان - بالفطرة - عاشق الكمال المطلق، وما يريده في الكمال الناقص هو كماله لا نقصه، لأنَّ الفطرة منزجرةٌ منه. والحجب الظلمانية والنورانية هي التي تُوقع الإنسان في الخطأ.

الشعراء والمداحون يظنون أنَّهم يمدحون الأمير الفلاني أو المقتدر الفلاني أو الفقيه الفلاني..

إنَّهم يمدحون القدرة والعلم لا بشكلهما المحدود وان ظنوا انها محدودة. وهذه الفطرة لا يمكن تبديلها وتغييرها ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [الروم: ٣٠].

وما دام الإنسان في حجاب نفسه ومشغولاً بنفسه ولم يخرق الحجب حتى الحجب النورانية ففطرته محجوبة والخروج من هذا المنزل يحتاج - بالإضافة إلى المجاهدات إلى هداية الحق تعالى.

الانقطاع إلى الله

تقرأين في المناجاة الشعبانية المباركة: «إلٰهي هب لي كمال الانقطاع إليك، وانر أبصار قلوبنا بضياء نظرها إليك حتى تخرق أبصار القلوب حجب النُّور، فتصل إلى معدن العظمة، وتصير أرواحنا معلقةً بعز قدسك، إلٰهي واجعلني ممَّن ناديته فأجابك ولاحظته فصعق لجلالك فناجيته سراً...»، كمال الانقطاع هذا هو الخروج من منزل الأنا والإنية ومن كل شيء وكل شخص، والالتحاق به والانقطاع عن الغير، وهو هبةٌ إلٰهية إلى الأولياء الخُلّص بعد الصعق الحاصل من الجلال الذي يقع إثر اللحظ (ولاحظته) الخ...

وما لم تنوّر أبصار القلوب بضياء نظرته لا تُخرق حجب النُّور وما دامت هذه الحجب باقية فلا سبيل إلى معدن العظمة، ولا تحصل الأرواح على التعلّق بعزّ القدس ولا تحصل مرتبة التدلي «ثم دنا فتدلى» وأدنى من ذلك الفناء المطلق والوصول المطلق.

«أيُّها الصوفي يجب الحصول على الصفاء من طريق العشق».

«العهد الذي عاهدته يجب الوفاء به».

«ما لم يتحقق لك وصال المحبوب فيجب أن تفني نفسك في الطريق إليه».

ولا تتحقق النجوى السرية للحق مع عبده الخاص إلاَّ بعد الصعق واندكاك جبل الوجود رزقنا الله وإيَّاك.

العلم وسيلة لا هدف

ابنتي: الانشغال بالعلوم حتى العرفان والتوحيد إذا كان لاكتناز

الاصطلاحات - وهو حاصل - أو لأجل نفس تلك العلوم، فإنَّه لا يقرب السالك من الهدف بل يبعده عنه (العلم هو الحجاب الأكبر).

وإذا كان البحث عن الحق وعشقه هو الهدف - وهو نادرٌ جداً - فذلك مصباح الطريق ونور الهداية، «العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده».

تهذيب النفس

وللوصول إلى يسير منه يلزم التهذيب والتطهير والتزكية؛ تهذيب النفس وتطهير القلب من غيره، فضلاً عن التهذيب من الأخلاق الذميمة التي يحتاج الخلاص منها إلى كثيرٍ من المجاهدة وفضلاً عن تهذيب العمل ممَّا هو خلاف رضاه جلَّ وعلا، والمواظبة على الأعمال الصالحة، من قبيل الواجبات التي هي في الطليعة، والمستحبات بقدر الميسور، وبالقدر الذي لا يوقع الإنسان في العُجب والأنانية.

عظمة الخالق وحقارة النفس

ابنتي: العُجب والغرُور نتيجتان لغاية الجهل بحقارة النفس وعظمة الخالق، إذا فكر (الإنسان) قليلاً في عظمة الخلقة بالمقدار الذي وصل البشر - رغم كل هذا التقدم العلمي - إلى شيءٍ يسير منه، يدرك حقارة وضآلة نفسه وكلِّ المنظومات الشمسية والمجرات، ويفهم قليلاً من عظمة خالقها ويخجل من عُجبه وأنانيته وغروره ويشعر بالجهل.

في قصة حضرة سليمان نبي الله عليه السلام نقرأ عندما يمر بوادي النمل: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].

النملة تصف سليمان النبي مع مرافقيه بعنوان ﴿لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨] والهدهد يقول له: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ [النمل: ٢٢] وعميُ القلوب لا يستطيعون تحمل نطق النملة والطير فضلاً عن نطق ذرات الوجود وما في السموات والأرض التي، يقول خالقها: ﴿إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

الإنسان الذي يرى نفسه محور الوجود - رغم أن الإنسان الكامل كذلكِ - غير معلوم أنه كذلك في نظر سائر الموجودات، والبشر الذين لم يبلغوا الرشد ليسوا كذلك ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ﴾ [الجمعة: ٥] هذا مرتبط بالرشد العلمي بدون التهذيب وقد جاء في وصفه ﴿كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

الحجب النفسية

ابنتي: بُعِثَ الأنبياء ليعطوا البشر الرشد المعنوي ويخلصوهم من الحجب... وللأسف أقسم الشيطان وبواسطة أذنابه أن لا يدع أهدافهم تتحقق ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢].

نحن جميعاً نيام ومبتلون بالحجب (الناس نيام وإذا ماتوا انتبهوا) كأنَّ جهنم محيطةٌ بنا، وخدر الطبيعة مانعٌ من الشهود والإحساس ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩]، وللكفر مراتب كثيرة رؤية النفس، ورؤية العالم، والنظر إلى غير الله من مراتب ذلك.

أول سورة من القرآن... إذا تدبرناها ونظرنا إليها بعينٍ غير هذه العين الحيوانية، ووصلنا إليها بعيداً عن الحجب الظلمانية والنورانية، فإنَّ ينابيع

المعارف تتدفق إلى القلب، ولكن للأسف إنَّنا غافلون حتى عن افتتاحها (ومن اطلع وخرج من الغفلة لم يصلنا خبره).

تدبُّر القرآن

أنا القائل الغافل وغير العامل، أقول لابنتي تدبري القرآن الكريم هذا المنبع للفيض الإلٰهي، ورغم أن صرف قراءته باعتباره رسالة المحبوب إلى السامع المحجوب له أثار محببة، لكنَّ التدبُّر فيه يهدي الإنسان إلى المقامات الأعلى والأسمى - ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤] -.

وما لم تُفتح هذه الأقفال والأغلال وتتحطم لا يحصل من التدبُّر ما هو نتيجة.. يقول الله المتعال بعد قسم عظيم: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩] وطليعة أولئك هم الذين نزلت فيهم آية التطهير، أنتِ أيضاً لا تيأسي لأنَّ اليأس من الأقفال الكبرى، اسعي قدر الميسور في رفع الحجب وكسر الأقفال للوصول إلى الماء الزلال ومنبع النُّور.

الإصلاح فترة الشباب

ما دام الشباب في يدكِ فجدي في العمل وفي تهذيب القلب وكسر الأقفال ورفع الحجب، فإنَّ آلاف الشباب الذين هم أقرب إلى أفق الملكوت يوفقون لذلك ولا يوفق هَرِم واحد.

القيود والأغلال والأقفال الشيطانية إذا غُفل عنها في (مرحلة) الشباب تضرب جذورها في كل يوم يمضي من العمر وتصبح أقوى «الشجرة التي تُقتلع لان من جذورها بقوة شخص تصبح بمرور الزمان عصيةً لا يمكن اقتلاعها».

من مكائد الشيطان الكبرى والنفس الأخطر منه، أنَّهما يعدان الإنسان بالإصلاح في آخر العمر وزمان الشيخوخة، ويؤخران التهذيب والتوبة إلى الله إلى الزمان الذي تصبح فيه شجرة الفساد وشجرة الزقّوم قويةً والإرادة والقدرة على التهذيب ضعيفتين بل ميتتين..

القرآن الكريم

لا نبتعد عن القرآن! في هذه المخاطبة بين الحبيب والمحبوب والمناجاة بين العاشق والمعشوق أسرار لا سبيل لأحدٍ إليها غيره هو وحبيبه ولا إمكان أيضاً للحصول على هذا السبيل..

لعلَّ الحروف المقطعة في بعض السور مثل «ألم» «ص» «يٰس» من هذا القبيل.. وكثيرٌ من الآيات الكريمة التي لكلٍ من أهل الظاهر والفلسفة والعرفان والتصوف تفسيره أو تأويله الخاص لها، أيضاً من هذا القبيل.. رغم أن لكل طائفةٍ بمقدار قابليتها حظاً أو خيالاً.. وتصل إلى الآخرين نفحةٌ من هذه الأسرار بواسطة أهل بيت الوحي الذين جرت عليهم الأسرار من منبع الوحي الفوار وتصل منهم إلى الآخرين كلٍ بمقدار قابليته.. وكأنَّ أكثر المناجاة والأدعية خصَّصت لهذا الأمر..

ما نجده في أدعية المعصومين (صلوات الله وسلامه عليهم) ومناجاتهم، قليلاً ما نجده في الأخبار التي هي في الأكثر بلسان العرف والعموم. ولكنَّ لسان القرآن لسانٌ آخر، لسان يرى كل عالمٍ ومفسرٍ أنَّه يعرفه.. ولكنَّه لا يعرفه.

القرآن الكريم من الكتب التي لم يسبقه إلى معارفه سابق.

وتصوّر كثير من معارفه أصعب من تصديقها..

كثيراً ما يمكن إثبات مطلب فلسفي بالبرهان الفلسفي والرؤية العرفانية ولكن مع العجز عن تصوّره.

تصوّر ربط الحادث بالقديم الذي عبَّر تعالى عنه في القرآن الكريم بتعبيرات مختلفة، وكيفية معية الحق مع الخلق التي يقول البعض: إنَّها المعيَّة القيومية التي (يعتبر) تصوّرها حتى لأولئك القائلين بها من المعضلات.. وظهور الحق في الخلق، وحضور الخلقة (الخليقة) لدى الحق، وأقربيته جلَّ وعلا إلى المخلوق من حبل الوريد ومفاد ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [النور: ٣٥]، و﴿هُوَ ٱلۡأَوَّلُ وَٱلۡأٓخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلۡبَاطِنُۖ﴾ [الحديد: ٣]، و﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ﴾ [المجادلة: ٧] الخ، و﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وأمثال هذه ممَّا أظنّ انه لم يتحقق تصوره لغير المخاطب به ولأقربائه بتعليمه، الذين كانوا أهلاً لمثل هذه المسائل، والوصولُ إلى كوّة منه يستلزم المجاهدة المشفوعة بالتهذيب.

«المؤسف أنَّ عمر هذا المكسور القلم مضى وليس من نتيجةٍ لقيل المدرسة وقالها إلاَّ الكلام المحزن بعد كل ذلك التوثب» واليوم لا أثر للشباب الذي هو ربيع الحصول (العثور)، ولا أرى إلاَّ منسوجات السابق وهي حفنةٌ من الألفاظ.

وأوصيك أنت وجميع الشباب الطالبين للمعرفة أنكم وجميع الموجودات جلوته هو وظهوره هو.. اسعوا وجاهدوا لتعثروا على بارقةٍ من ذلك وتذوبوا فيه فتصلوا من العدم إلى الوجود المطلق.

«عندما أُصبح عدماً كالنّاي يردد لحن ﴿وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ١٥٦]».

السير الإنساني نحو الآخرة

ابنتي: الدنيا وكل ما فيها «جهنم» ويظهر باطنها في آخر السير، وما وراء الدنيا إلى آخر المراتب، «الجنة» ويظهر باطنه في آخر السير عند الخروج من خدر الطبيعة..

ونحن وأنتم والجميع نسير إمَّا نحو مقر جهنم أو نحو الجنَّة والملأ الأعلى.

في الحديث أنَّ النبي الأعظم ﷺ كان جالساً يوماً في جمعٍ من الصحابة فسمعوا فجأةً صوتاً مهيباً.. سألوه.. ما هذا الصوت؟ فقال: «حجرٌ أُلقي من أعلى جهنم منذ سبعين سنة، والآن وصل إلى قعرها».

فقال أولو الألباب: في ذلك الوقت سمعنا أنَّ رجلاً كافراً عمَّر سبعين سنةً، مات الآن ووصل إلى جهنَّم..

الصراط المستقيم

نحن جميعاً في الصراط، والصراط يمرّ من متن جهنَّم.. ويظهر باطنه في ذلك العالم، وهنا (في الدنيا) لكلّ إنسان صراطه الخاص به، وهو يسير (في حال السير) أمَّا في الصراط المستقيم الذي ينتهي إلى الجنَّة وأعلى، أو الصراط المنحرف شمالاً أو المنحرف يميناً، وكلاهما ينتهيان إلى جهنَّم، ونحن نسأل الله المنَّان الصراط المستقيم ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾ [الفاتحة: ٦-٧] (الذي هو انحرافٌ من جهة) ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] (الذي هو انحراف من الجهة الأخرى) ونشاهد هذه الحقائق في الحشر عياناً..

صراط جهنَّم الذي وردت الروايات في وصفه من حيث الدقة والحدة

والظلمة، هو باطن الصراط المستقيم في هذا العالم، كم هو طريق دقيق ومظلم.. وكم هو صعب العبور منه.. لأمثالنا نحن العاجزين..

أولئك الذين اجتازوه دون أي انحراف يقولون «جزنا وهي خامدة» وكل شخص هناك ينعكس سيره في هذا الصراط بمقدار ما سار فيه.

ضعي الغرور والآمال الشيطانية الكاذبة جانباً.. وجدِّي في العمل وتهذيب نفسك وتربيتها فإنَّ الرحيل قريب جداً.. وكل يوم يمر وأنتِ غافلة، يجعلك متأخرة..

لا تقولي أيضاً: ولماذا أنتَ لست مستعداً.. (انظر إلى ما قال لا إلى من قال).

نتائج الأعمال

مهما كنتَ أنا، فأنا لنفسي، والجميع أيضاً كذلك. جهنَّم كل شخصٌ وجنَّته نتيجة أعماله.. نحصد الشيء الذي زرعناه.. فطرة الإنسان وخلقته (مبنيتان) على الاستقامة والحسن.. حب الخير وفطرة الإنسان.. نحن أنفسنا نحرف هذه الفطرة ونحن أنفسنا ننشر الحجب ونَلبس أنفسنا هذه الشِباك.

«هؤلاء العاشقون الذين هم في الصراط كلهم يبحثون عن معين الحياة».

«يطلبون الحق ولا يعرفونه.. يطلبون الماء جميعاً وهم جميعاً في الفرات».

حجاب العلم

الليلة الماضية سألتِ عن أسماء الكتب العرفانية.. ابنتي اهتمي برفع

الحُجب لا جمع الكُتب.. (قولي لي) إذا نقلتِ الكتب العرفانية والفلسفية من السوق إلى المنزل، من مكان إلى مكان أو جعلتِ نفسك مخزناً للألفاظ والاصطلاحات.. وعرضت في المجالس والمحافل ما في جرابك وخدعت الحضّار بمعلوماتك وزدتِ ثقل حملك بخداع الشيطان والنفس الأمّارة الأخبث من الشيطان، وأصبحت بلعبة إبليس زينة المجالس وتبعكِ - لا سمح الله - غرور العلم والعرفان وسيفعل، فهل بهذه المحمولات الكثيرة زدت الحجب أم خففتها؟

أورد الله عزّ وجلّ لإيقاظ العلماء الآية الشريفة: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ﴾ [الجمعة: ٥] ليعلموا أنَّ اختزان العلوم - حتى إذا كان علم الشرائع والتوحيد - لا يخفف الحجب بل يزيدها وينقل (صاحبه) من الحُجب الصغار إلى الحُجب الكبار.

لا أقول اهربي من العلم والعرفان والفلسفة واقضي عمركِ بالجهل، فإنَّ هذا انحراف..

نية الأعمال

أقول: اسعي وجاهدي كي يكون الدافع إلٰهياً ومن أجل المحبوب.. وإذا عرضتِ (شيئاً من العلم) فليكن لله ولتربية عباده لا للرياء والتظاهر فتصبحي - لا سمح الله - من علماء السوء الذين يتأذى أهل النار برائحتهم.

أولئك الذين وجدوه وعشقوه ليس لهم دافعٌ سواه.. وبهذا الدافع أصبحت كل أعمالهم إلٰهيةً الحرب، والصلح، والضرب بالسيف، والكرّ،.. وكل ما تتصورين.. (ضربة علي يوم الخندق أفضل من عبادة

الثقلين). لولا الدافع الإلٰهي لما كانت تعادل فلساً حتى إذا كانت سبباً لفتح كبير.. لا يُظن أنَّ مقام الأولياء خصوصاً ولي الله الأعظم عليه وعلى أولاده الصلوات والسلام ينتهي هنا..

القلم لا جرأة له على المضي والبيان ولا طاقة له ليشرح.. وماذا نقول للمحجوبين نحن المحجوبون.. وماذا نعلم نحن لنقول... ما هو موجود ليس ممَّا يُحكى وهو أعلى من أفق وجودنا.

أثر الذكر

ولكن لا بأس، فإنَّ ذكر الحبيب يؤثر في القلب والروح حتى إذا لم يُفهم من ذكره شيء، كالعاشق الأمي الذي ينظر إلى كتابة رسالة المحبوب فيأنس لأنَّ هذه رسالة المحبوب، وكالفارسي المضطرب لعدم معرفته العربية ليقرأ القرآن الكريم، ويأنس به لأنَّه منه (تعالى) وتعتريه حالةٌ هي أفضل آلاف المرات من (حالة) الأديب العالم الذي شغل نفسه باعراب القرآن، ومزاياه الأدبية وبلاغته وفصاحته أو الفيلسوف العارف الذي يفكر بمسائله العقلية والذوقية ويغفل عن المحبوب، وكمطالعة الكتب الفلسفية والعرفانية التي تهتم بمستوى الكتاب ولا اهتمام لها بالكاتب.

الفلسفة والعرفان

ابنتي: موضوع الفلسفة مطلق الوجود، من الحق تعالى إلى آخر مراتب الوجود. وموضوع علم العرفان والعرفان العلمي الوجود المطلق، أو فقولي الحق تعالى، ولا بحث له في غير الحق ومظهره ولا سواه..

إذا بحث كتابٌ أو عارفٌ عن شيء غير الحق فلا الكتاب عرفان ولا القائل عارف..

وإذا نظر فيلسوفٌ إلى الوجود كما هو، وبحث، فنظره إلٰهي وبحثه عرفاني، وكل هذه هي غير الذوق العرفاني الذي هو بعيد عن البحث وغير ذلك المهجور، فضلاً عن الشهود الوجداني وبعده العدم في عين الغرق في الوجود، اطفىء السراج فقد طلعت الشمس.

الحسرة

ابنتي: سمعت انك كنت تقولين: أخشى أن أتأسف أيام الامتحان لأني لم أعمل في أيام التعطيل، هذا التأسف وأمثاله - مهما كان - فهو سهل وسريع الزوال..

ذلك التأسف الدائم والأبدي، هو عندما تعودين إلى رشدك وتدركين أن كل شيء ترينه ليس هو، وأنَّ تلك الأستار لا يمكن أن تزول، وتلك الحجب لا يمكن أن ترفع.

العذاب الروحي

يقول أمير المؤمنين في دعاء كميل: «فهبني يا إلٰهي وسيدي ومولاي وربي صبرت على عذابك فكيف أصبر على فراقك..».

أنا الأعمى القلب لم أستطع حتى الآن أن أقرأ بجدٍ هذه الفقرة وبعض الفقرات الأخرى في هذا الدُّعاء الشريف، بل أقرأها بلسانِ علي عليه السلام ولا أعرف ما هو هذا الشيء الذي يعدّ الصبرُ عليه أشد من الصبر على عذاب الله في جهنَّم، ذلك العذاب الذي (ناره) «تطلع على الأفئدة».

كأنَّ «عذابك» هو «نار الله» التي تحرق الفؤاد.. لعلَّ هذا العذاب فوق عذاب جهنم..

نحن عمي القلوب لا نستطيع إدراك وتصديق هذه المعاني التي هي فوق الفهم البشري.

فلندعْ هذا لأهله الذين هم قليلون جداً.

كتب الفلسفة والعرفان

على كلِّ حال إنَّ لكلٍ من الكتب الفلسفية خصوصاً كتب فلاسفة الإسلام وكتب أهل الحال والعرفان أثراً..

الأول: إنَّها تعرّف الإنسان بما وراء الطبيعة ولو من بعيد.

الثاني: إنَّ بعضها خصوصاً - مثل «منازل السائرين» و«مصباح الشريعة» - الذي يبدو أنَّ عارفاً كتبه باسم الإمام الصادق عليه السلام بطريقة الرواية - تهيىء القلوب للوصول إلى المحبوب.. وأكثر شيء إثارةً للقلوب مناجاة أئمة المسلمين وأدعيتهم الذين هم قادة إلى المقصود - يرشدون ويأخذون بيد طالب الحق ويأخذونه إليهم. للأسف، ومائة أسف أنَّنا هجرناهم وابتعدنا عنهم فراسخ.

مقامات أهل العرفان

ابنتي: اسعي - إذا لم تكوني من أهله ولم تصبحي - أن لا تنكري مقامات العارفين والصالحين ولا تعتبري أن معاندتهم من الواجبات الدينية.

الكثير ممَّا قالوه موجود في القرآن الكريم بشكل سري ومغلق، وقد ورد في أدعية أهل العصمة ومناجاتهم أكثر وضوحاً.. ولأنَّنا نحن الجاهلين محرومون منها (المقامات) فإنَّنا نبادر إلى معارضتها...

يقولون: إنَّ صدر المتألهين رأى بجوار المعصومة (سلام الله عليها) شخصاً يلعنه.. سأله؛ لماذا تلعن صدرا..

قال: لأنَّه يقول بوحدة واجب الوجود.

قال: إذن. . العنه.

هذا الأمر، حتى إن كان قصةً فهو يدلُّ على واقعٍ معيَّن. . وقد رأيت أنا وسمعت قصصاً كانت في زماننا. أنا لا أريد أن أطهر (أبِّرىء) المدعين.

«فكثيراً ما تكون الخرقة مستوجبة النار».

أريد أن لا تنكري أصل المعنى والمعنوية. . تلك المعنوية التي ورد ذكرها في الكتاب والسنة، والمخالفون تجاهلوها أو أوَّلوها بطريقة شعبية.

وأنا أوصيك أنَّ الخطوة الأولى هي الخروج من حجاب الإنكار السميك الذي يمنع من أي تقدم وأية خطوة إيجابية. . وهذه الخطوة - الخروج من حجاب الإنكار - ليست كمالاً، إلاَّ أنَّها تفتح الطريق نحو الكمال، كما أنَّ اليقظة التي تعتبر في منازل السالكين المنزل الأول لا يمكن حسابها من المنازل، بل هي مقدمة وفتح للطريق إلى سائر المنازل. .

على كلِّ حال لا يمكن من روح الإنكار الاهتداء إلى طريق المعرفة، أولئك الذين ينكرون مقامات العارفين ومنازل السالكين - لأنَّهم أنانيون مغرورون - فكل ما لا يعرفونه لا يحملونه على جهلهم (لا يقولون قد يكون صحيحاً ولكنَّا نجهله) فينكرونه حتى لا تخدش أنانيتهم، ويخدش عُجبهم (بأنفسهم) «أمّ الأصنام، صنم نفسك» وما لم تتم إزالة هذا الصنم والشيطان القوي من الطريق فلا سبيل إليه جلَّ وعلا. . وهيهات أن يُكسر هذا الصنم، ويروض هذا الشيطان. . .

الشيطان

نقل عن المعصوم «شيطاني آمن بيدي».. ويُعلم من هذا النقل أنَّ لكل شخص مهما كان عظيم الرتبة شيطاناً.. وأولياء الله وُفّقوا للسيطرة عليه بل لحمله على الإيمان..

تعلمين ماذا فعل الشيطان بأبينا العظيم آدم صفي الله؟ - لقد أخرجه من جوار الحق.. وبعد وسوسة الشيطان والاقتراب من الشجرة - التي قد تكون النفس أو بعض مظاهرها - جاء أمر ﴿ٱهۡبِطُواْ﴾ [البقرة: ٣٦] وكان ذلك منشأ جميع أنواع الفساد وجميع العداوات، وقد تاب آدم عليه السلام إذ أخذ الله تعالى بيده واصطفاه..

أنا وأنت المبتليان بالشجرة الإبليسية، يجب أن نتوب ونطلب من الله تعالى في السر والعلن، مستغيثين أن يأخذ بأيدينا بأية وسيلةً يريد، ويوصلنا أيضاً إلى التوبة، لعلَّه يكون لنا حظّ من الاصطفاء الآدمي..

وهذا لا يمكن أن يكون إلاَّ بالمجاهدة وترك شجرة إبليس بكل غصونها وأوراقها وجذورها المنتشرة في وجودنا، وهي كل يوم تزداد قوةً واتساعاً.

بالتعلق بالشجرة الخبيثة وأغصانها وجذورها لا يمكن - بدون شك - الاهتداء إلى طريق المقصد.. وإبليس هدَّد بهذا ونجح نجاحاً كبيراً..

ولا يستطيع أحدٌ أن يهرب من حيل الشيطان والنفس الخبيثة مظهر إبليس إلاَّ عدد محدود من عباد الله الصالحين، وأيضاً الأولياء المقربون عليهم السلام.. وإذا استطاع فإنَّه لا يستطيع أن يهرب من كل غصونها وجذورها الدقيقة والمُعقّدة جداً، إلاَّ أن يأخذ الله المتعال بيده كما حرَّر صفي الله.. ولكن أين نحن من ذلك الاستعداد لقبول الكلمات..

التفكر في قصة آدم عليه السلام

الآية الكريمة في هذا الباب ينبغي التفكير فيها طويلاً حيث يقول سبحانه: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة: ٣٧] لم يقل سبحانه «وألقى إليه كلمات» كأن المراد إنَّه بالسير إليه تلقَّى.. رغم أنَّ في التلقي إلقاء أيضاً، ولكن بدون السير الكمالي لم يكن القبول ممكناً..

ويجب التفكير أيضاً في الآية الأخرى المرتبطة بهذه القضية، يقول سبحانه: ﴿فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ﴾ [الأعراف: ٢٢] وكأنَّ كل ما كان منهما هو مجرَّد تذوق ليس إلاَّ.. ومع ذلك فحيث ان ذلك حصل من مثل أبي البشر كانت له تلك النتائج..

في ضوء هذا يجب أن ننظر في ما نحن عليه حيث أنَّا حتماً مشدودون إلى جميع غصون وأوراق وجذور هذه الشجرة.

من آفات السلوك اللسان والغيبة

ابنتي: في الطريق آفات كثيرة.. لكل عضو ظاهرٍ وباطنٍ منَّا آفات، وكل واحدة حجاب.. إذا لم نتخطَّه ونتجاوزه فلن نصل إلى أول خطوةٍ من السلوك إلى الله.

إني أنا المبتلى، وجسمي وروحي ألعوبة الشيطان - أشير إلى بعض آفات هذا العضو الصغير، هذا اللِّسان الأحمر الذي يطيح بالرأس النضر، ويجعله ألعوبةً للشيطان وأداةً، فيفسد الروح والفؤاد..

لا تغفلي عن العدو الكبير للإنسانية والمعنوية هذا.. أحياناً عندما تكونين في جلسات أُنس مع صديقاتك، احسبي مهما استطعت الأخطاء الكبيرة لهذا العضو الصغير، وانظري ماذا يفعل في ساعةٍ من عمرك كان

ينبغي أن تنفقيها للحصول على رضاً الحبيب! وأية مصائب يسبب، إحدى هذه المصائب «غيبة» الأخوة والأخوات.. انظري بماء وجه أي أشخاصٍ تلعبين، وأية أسرار للمسلمين تفرغينها في هذا المجلس، وأية حيثيات تخدشين، وأية شخصيات تحطمين.. عندها خذي هذه الجلسة مقياساً ولاحظي ماذا فعلت خلال سنة سرتها على هذا المنوال.. وفي الخمسين أو الستين سنة القادمة ماذا ستفعلين.. وأية مصائب ستتسببين بها لنفسك، ومع هذا تعتبرين ذلك صغيراً، وهذا الاستصغار نفسه من حيل إبليس.. حفظنا الله جميعاً منه بلطفه..

الغيبة

ابنتي: نظرةً قصيرةً إلى ما ورد في غيبة المؤمنين وأذاهم، والبحث عن عيوبهم وكشف سرهم واتهامهم، تجعل القلوب التي لم تُختم بختم الشيطان ترتجف وتجعل الحياة للإنسان علقماً.. وها أنذا ولعلاقتي بك وبأحمد أوصيك باجتناب الآفات الشيطانية خصوصاً الآفات الكثيرة للِّسان، واهتمي بحفظه..

طبعاً في البداية سيكون ذلك صعباً نوعاً ما لكنَّه بالعزم والإرادة والتفكير في عواقبه يصبح سهلاً.. اعتبري من العبارة المعبّرة جداً للقرآن الكريم حيث يقول: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُۚ﴾ [الحجرات: ١٢] لعلّها إخبار عن صورة العمل البرزخية، ولعلَّ الحديث المنقول عن حضرة سيِّد الموحدين في مواعظه الكثيرة التي وعظ بها نوف البكالي إشارةٌ إلى هذا الأمر بحسب أحد الاحتمالات.. وفي ذلك الحديث طلب من المولى موعظة فقال له: «اجتنب الغيبة فإنّها

أدام كلاب النار» ثم قال: «يا نوف كذب من زعم أنَّه وُلِد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة».

ونقل عن رسول الله ﷺ: «وهل يُكبُّ الناس في النار يوم القيامة إلاَّ حصائد ألسنتهم».

من هذا الحديث ومن الأحاديث التي ليست قليلةً يُستفاد أنَّ جهنَّم هي الصورة الباطنية لأعمالنا.

اللَّهم ارحمنا بنجاتنا وهذه النسوة والعوائل المرتبطة بنا من الآفات الشيطانية، ولا تجعلنا ممَّنْ يؤذون المسلمين بلسانهم وعملهم.

هذه الصفحات كتبتها بناءً لطلب «فاطمة» وأنا أعترف أني لم أستطع الهرب من مكايد الشيطان.. الأمل أن تُوفَّق فاطمة لذلك وهي تنعم بالشباب.

والسلام على عباد الله الصالحين

١٢ شهر رمضان المبارك ١٤٠٤هـ

روح الله الموسوي الخميني

سبيل المحبة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الشباب والشيخوخة

أخيراً فرضتِ عليَّ كتابة عدَّة أسطر، ولم تقبلي عُذر الشيخوخة والتألم والابتلاءات.. الآن أبدأ الحديث من آفات الشيخوخة والشباب، حيث أني أدركت المرحلتين، أو فقولي طويتهما، وأنا الآن في منحدر البرزخ أو النار وجهاً لوجه مع أعوان حضرة ملك الموت، وغداً تُعرض عليَّ صحيفة أعمالي السوداء، ويطلبون مني حساب عمري الضائع، ولا جواب لديَّ سوى الأمل برحمة منْ وسعت رحمته كل شيء، الذي أُنزل على منْ هو رحمةٌ للعالمين ﴿لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٥٣]، عسى أن أصبح مشمولاً لهذا النحو من الآيات الكريمة.

لكن ما العمل بالنسبة للعروج إلى حريم الكبرياء، والصعود إلى جوار المحبوب، والورود إلى ضيافة الله التي يجب الوصول إليها بسعينا..

في (مرحلة) الشباب، حيث كان النشاط والاستطاعة، وبمكائد الشيطان انشغلت بالمفاهيم والاصطلاحات المنمَّقة والمبهرجة.. ولم يحصل لي منها جمعية ولا حال، ولم أحاول أبداً الحصول على روحها ولا إرجاع ظاهرها إلى باطنها ومُلكها إلى ملكوتها وقلنا:

«لم يتحصل من قيل المدرسة وقالها، إلاّ الكلام المُحزن بعد كل ذلك الجهد والتوثب».

وقد غصتُ في عمق الاصطلاحات والاعتبارات، وانشغلتُ بدلاً من رفع الحُجب بجمع الكُتب وكأنَّه ليس في الكون والمكان وجود لغير حفنةٍ من ورق ممزق سُميّت باسم العلوم الإنسانية والمعارف الإلٰهية، والحقائق الفلسفية.. مع أنَّها تحول بين الطالب المفطور بفطرة الله وبين الوصول إلى المقصد وتغرقه في الحجاب الأكبر.

الأسفار الأربعة بطولها وعرضها منعتني من السفر إلى المحبوب، لا من «الفتوحات» حصل لي فتح.. ولا من «فصوص الحكم» حصلتُ على حكمة.. فضلاً عن غيرهما الذي له قصةٌ محزنة..

وأصبحت في كل خطوة مني مبتلىً بالاستدراج إلى أن بلغت الكهولة وما فوقها التي أكابدها الآن ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗا﴾ [الحج: ٥].

ولأنَّكِ يا ابنتي بعيدة عن هذه المرحلة عدة فراسخ ولم تتذوقي طعمها أوصلك الله إليها، فإنَّك - ودون الوقوع في آفاتها - تتوقعين مني الكتابة والحديث، وتمزجين أيضاً بين النظم والنثر.. ولا تعلمين أنني لستُ كاتباً ولا شاعراً ولا خطيباً.

وأنتِ يا ابنتي العزيزة التي (لم تخبري الحياة بعد)، (أصبحت حلوى قبل أن تصبح حصرماً) اعلمي أنَّكِ سوف تحملين على ظهركِ يوماً حمل التأسف الثقيل على الشباب الذي تضيعينه بهذه المشاغل، أو بما هو أفضل منها، كما أحمله أنا.

(وسوف ترين) أنَّ قافلة العشاق المحبين لله فاتتكِ لا سمح الله.. إذن اسمعي من هذا الهرم البائس الذي يحمل هذا الحمل وقد انحنى تحته.. لا تكتفي بهذه الاصطلاحات التي هي الفخ الكبير لإبليس وكوني بصدد البحث عنه جلَّ وعلا..

أيام الشباب وأنسها وملذاتها سريعة الزوال.. وأنا قد طويت جميع مراحلها وأصارع الآن عذابها الجهنمي. والشيطان الداخلي مصرٌّ على إبقاء روحي في قبضته كي - والعياذ بالله تعالى - يُسدِّد الضربة الأخيرة، ولكنَّ اليأس من رحمة الله الواسعة هو في حدِّ ذاته من الكبائر العظيمة، ولا قدَّر الله أن يبتلى العاصي به.

يقال أنَّ الحجاج بن يوسف مجرم التاريخ قال في آخر عمره: «اللهم اغفر لي رغم أني أعلم أنَّ الجميع يقولون إنَّك لا تغفر لي» وعندما سمع الشافعي ذلك قال: إذا كان قال ذلك فلعلَّ.. وأنا لا أعلم هل وُفّق ذلك الشقي لهذا الأمر أم لا، ولكنني أعلم أنَّ الأسوأ من كل شيء هو اليأس..

وأنتِ يا بنيتي لا تغتّري بالرحمة فتغفلي عن المحبوب ولا تيأسي فتخسري الدنيا والآخرة..

حفظ الله بحق أصحاب الكساء الخمسة، «أحمد وفاطمة وحسن ورضا وعلي» - الذين هم من سلالة الرسول العزيز ووصيَّه، وبهذا افتخر ويفتخرون - من الشرور الشيطانية والأهواء النفسانية..

انتهى هنا كلامي وحجَّة الله تامةٌ عليّ والسلام...

ربيع الثاني ١٤٠٧

وصايا سلوكية متفرقة
من السيد الخميني رحمه الله

قال رحمه الله: «... بعد أن يهيّىء الإنسان قلبه لذكر الله وتلاوة كتابه، عليه أن يتلو على قلبه آيات وأذكار التوحيد والتنزيه بتوجه وهو على طهارة، ويكررها عليه حتى ينفتح لسان القلب بها، ومن الأفضل للغاية أن يختار لهذا العمل وقتاً مثل أواخر الليل أو ما بين الطلوعين أو بعد صلاة الفجر...

ويُرجى - إن شاء الله - أن يحصل على نتائج حسنة من تلاوة الآيات الأواخر من سورة الحشر (الآية ١٨ وما بعدها) فهي تشتمل على التذكّر ومحاسبة النفس وعلى بيان مراتب التوحيد والأسماء والصفات، فيتلوها بحضور قلب وتفكّر في وقت فراغ النفس من المشاغل الدنيوية.

وهكذا الحال مع الذكر الشريف «لا إلٰه إلاَّ الله» وهو أفضل وأجمع الأذكار.

فالأمل أن يعينه الله لبلوغ مقصوده، ولكن ينبغي له أن لا يغفل في جميع الأحوال عن الالتفات إلى نقصه وعجزه وإلى رحمة ربه وقدرته فيستعين به، ويُرجى له أن تأنس نفسه بالتوحيد بعد مدة من ممارسة هذا العمل ويتجلى في قلبه نور التوحيد.

ووصوله إلى ذلك يكون أسرع - إن شاء الله - إذا خصص دقائق كل يوم وليلة لمحاسبة النفس ومطالبتها بالجد لاكتساب نور الإيمان، وقد يكون من الصعب على النفس أن تأنس بذلك في البداية، وتصور

الوساوس الشيطانية والنفسانية أنه محال تحققه له وأنه من أعمال العظماء، ولكن على طالب الحق أن يستعيذ بصورة حقيقية من مكائد هذا الخبيث، فهذا الطريق - السلوك - وإن كان يبدو صعباً في البداية لكنه يتيسر عندما يدخله الإنسان ويسهل له الله تعالى سلوك طريق السعادة»(١).

ويقول رحمه الله: «... أجل، بالذكر الحقيقي تُخرَق الحُجب بين العبد والحق تعالى، وتُزال موانع الحضور وقسوة القلب وغفلته، وتفتح بوجه السالك أبواب الملكوت الأعلى وأبواب رحمة الله ولطفه ولكن المهم هو أن يكون القلب حيّاً أثناء الذكر، ومن المناسب - على ما قيل - لإحياء القلب المواظبة بتوجه على ذكر الله وخاصة الاسم المبارك «يا حي يا قيوم».

ونُقل عن بعض أهل الذكر والمعرفة، أن من المفيد للحصول على الرقي الروحي، أداء سجدة طويلة - كل يوم - والإكثار من قول ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ونُقل عن أحد سالكي طريق الآخرة أنه عندما سمع من أُستاذه فائدة هذا العمل واظب عليه فكان يسجد كل يوم هذه السجدة الطويلة ويكرر هذا الذكر فيها ألف مرة، ونُقل عن غيره أنه كان يكرره ثلاثة آلاف مرة، وقد رُوي أن الإمام زين العابدين وسيّد الساجدين علي بن الحسين - سلام الله عليهما - أنه سجد على حجارة خشنة وقال في سجوده ألف مرة: «لا إله إلاّ الله حقاً حقاً، لا إله إلاّ الله تعبّداً ورقاً، لا إله إلاّ الله إيماناً وتصديقاً»، والسجدات الطويلة

---

(١) شرح جنود العقل والجهل ص ١٠٦.

لمولانا موسى بن جعفر معروفة، وكان الثقة الجليل ابن أبي عمير يقتدي به عليه السلام في طول السجود»...[1].

ويقول رحمه الله: «... على الإنسان في بدايات السير والسلوك وأواسطه وأوائل نهاياته أيضاً أن يستفيد من المشايخ وعظماء أهل القلوب الحية، فإذا بلغ نهايات السير والسلوك فعليه أن يتفرّغ لنفسه مدة ويشتغل بالحق تعالى وذكره، وإذا لم يكن ممكناً له في تلك الأوقات الجمع بين الخلوة بالحق تعالى وبين معاشرة الخلق فليعتزل حتى يُفاض عليه الكمال اللائق به من الملكوت الأعلى، فإذا وجد في نفسه حال الطمأنينة والاستقرار والاستقامة وأمن من الحالات النفسانية والوساوس الإبليسية، فعليه بمعاشرة الخلق بهدف إرشاد عباد الله وتعليمهم وتربيتهم، ويهيّىء نفسه لخدمة عباد الله بكل ما استطاع..»[2].

---

(١) شرح جنود العقل والجهل ص ١٠٦.

(٢) المصدر السابق.

وصية السيد المرعشي النجفي رحمه الله

نبذة عن حياة المُوصي:

وُلد السيِّد «شهاب الدين» المرعشي النجفي في النجف الأشرف سنة ١٣١٥هـ - وتُوفي سنة ١٤١١هـ - عن عمر ناهز ٩٦ سنة ودُفن في «قُمّ» المقدَّسة في مكتبته العامة.

عُرف بالورع، والزهد، والتقوى، وحسن الخُلق، والعمل المتواصل لخدمة الأمة، وله مصنفات كثيرة في مختلف العلوم والفنون منها:

١ - إحقاق الحق. ، - مشجرات آل الرسول صلى الله عليه وآله. ٣ - منهاج المؤمنين. ٤ - سلوة الحزين.

الوصية الأولى

نبذة من رسالة (الطريق والمحجة لثمرة المهجة).

١ جاء في وصيته لولده: «أُوصيه بتشمير الذيل على ترويج الدِّين الحنيف، والذبّ عن المذهب الحق، وقد أصبح غريباً يُنادي بأعلى صوته: هل من ناصر ينصرني؟ هل من ذابٌ يذبّ عَنّي؟ ولا أرى من يُلبّي دعوته ويجيب صرخته إلاّ القليل شكر الله مساعيهم وجزاهم خير الجزاء.

٢ - وأوصيه بالتدبُّر في كتاب الله والاتعاظ به، وبزيارة أهل القبور، والتفكير في أنَّهم مَنْ كانوا بالأمس، فما صاروا اليوم، وكيف كانوا؟ فكيف صاروا؟ وأين كانوا، فأين هم اليوم؟.

٣ - وبتقليل المعاشرة، فإنَّ المعاشرة والدخول في نوادي النَّاس في هذه الأعصار مخطور محظور، قلمَّا يُرى نادٍ يخلو عن البهت والغيبة في حقِّ المؤمنين والازراء بهم، وتضييع اخوّتهم.

٤ - وأوصيه بصلة الرحم فإنَّهُ من أقوى أسباب التوفيق والبركة في العمر والرزق.

٥ - وأوصيه بالتصنيف والتأليف ونشر كتب أصحابنا الإمامية سيَّما كتب السلف، فإنَّهُ من أقوى ترويج المذهب في هذا العصر المتعوس والدَّهر المنكوس.

٦ - وأوصيه بالزهد وسلوك مسلك الورع والحزم والاحتياط.

٧ - وأوصيه بمداومة قراءة زيارة «الجامعة الكبيرة» ولو في الأسبوع مرَّة.

٨ - وأوصيه بالاشتغال والجِّد في العلوم الشرعية.

٩ - وأوصيه بالتجنب عن اغتياب عباد الله سيَّما أهل العلم فإنَّ غيبتهم أكل ميتة مسمومة.

١٠ - وأوصيه بقراءة سورة «يٰس» بعد فريضة الفجر كل يوم مرة وبقراءة سورة «النبأ» بعد فريضة الظهر، كذلك وبقراءة سورة «العصر» بعد فريضة العصر، كذلك وبقراءة سورة «الواقعة» بعد فريضة المغرب كذلك، وبقراءة سورة «الملك» بعد فريضة العشاء كذلك، وأؤكد عليه بالمداومة

على ما ذكرت، فإنِّي أروي هذه الطريقة عن مشايخي الكرام وجربتها مراراً.

١١ - وأوصيه بمداومة قراءة هذا الدُّعاء الشريف في قنوتات فرائضه... «اللَّهمَّ إنِّي أسألك بحق فاطمة وأبيها وبعلها وبنيها والسِّر المستودع فيها أن تصلِّي على محمَّدٍ وآلِ محمَّدٍ وأن تفعل بي ما أنت أهله ولا تفعل بي ما أنا أهله».

١٢ - وأوصيه بمداومة هذا الدُّعاء بعد ذكر الركوع سيَّما الركعة الأخيرة «اللَّهمَّ صلِّ على محمَّدٍ وآلِ محمَّدٍ وترحَّم على عجزنا واغثنا بحقِّهم».

١٣ - وأوصيه بمداومة تسبيحات جدّتنا الزَّهراء البتول روحي لها الفداء.

١٤ - وأوصيه بمداومة التدبُّر في خطبة تلك السيِّدة الطاهرة الزكيَّة الَّتي خطبت بها في مسجد النبي ﷺ، الخطبة الشهيرة التي أعيت الفصحاء والبلغاء والعلماء، وقد رواها عدَّة من أعلام السلف كابن طيفور البغدادي في كتابه «بلاغات النِّساء» وغيره في غيره.

١٥ - وكذا أُوصيه بالتدبُّر في الخطبة «الشقشقية» التي خطب بها مولانا أمير المؤمنين وسيِّد المظلومين في المسجد، وقد رواها جمٌّ من النقلة الإثبات الشتات من الفريقين.

١٦ وأوصيه مؤكداً بصلاة اللَّيل، والاستغفار بالأسحار.

١٧ وأوصيه بصلة الرحم سيَّما إخوته وإخواته، وبالبر في حقِّهم فإنِّي لم أترك لهم بعدي شيئاً من زخارف الدُّنيا، وكُلَّما وصل إلى يدي

صرفتها في المحاويج سيَّما أهل العلم حتَّى النذورات الخاصة، وسأخرج من الدُّنيا ولم ادع من حطام الدُّنيا للورثة قطميراً، ووكلت أمرهم إلى ربِّي الكريم، وأبقيت لهم الذكر الجميل والثناء العاطر مع أنِّي لو كنت بصدد إيراث المال لهم لبقيت الإكرار والملايين لمكاني بين النَّاس وشدة وثوقهم بي، فاعتبروا يا أُولي الأبصار.

١٨ - وأوصيه بمدارسة القرآن الكريم الشريف والأحاديث المنيفة فإنَّها شفاءٌ لأمراض القلب ومنير الباطن.

١٩ - وأوصيه بالتوسل ومداومة الأدعية والأذكار.

٢٠ - وأوصيه بالتجنب عن البطالة وصرف العمر العزيز فيما لا يعني، فقد روي إنَّ الله تعالى شأنه يبغض الشاب الفارغ.

٢١ - وأوصيه بالاستغفار في أناء اللَّيل وأطراف النَّهار.

٢٢ - وأوصيه بالبر في حقّ من ربيّته من تلاميذي الأتقياء ومنْ أحسن إليَّ فأعانني.

٢٣ - وأوصيه بأن لا ينساني من الدُّعاء في مشاهد موالينا الأئمَّة الكرام ومشاهد أولادهم وفي الحجّ والعمرة.

٢٤ - وأوصيه بالجدّ والاجتهاد في إقامة الشعائر في الحسينية الَّتي أسستها في «قمّ» المقدَّسة.

٢٥ - وأوصيه بأن يدفن معي كيساً جمعت فيه تراب من مراقد الأئمَّة وأولادهم وقبور أصحابهم وأكابر علمائنا للتيمن والتبرك.

وأوصيه بأن يدفن معي ثوبي الأسود الَّذي كنت ألبسه في شهري «الحرام وصفر» حزناً على مصائب آل النَّبيّ الأكرم عليهم السلام.

٢٦ - وأوصيه أن يدفن معي الخمرة «السجادة» الَّتي صلَّيت عليها «سبعين سنة» صلاة اللَّيل.

٢٧ - وأوصيه أن يدفن معي السبحة التربتية الَّتي استغفرت بعددها في الأسحار.

٢٨ - وأوصيه أن يجعل على صدري في كفني المنديل الَّذي نشفت دمعاتي في رثاء جدّي الحسين المظلوم وأهل بيته المكرمين سلام الله عليهم أجمعين.

٢٩ - وأوصيه أن يستنيب لي رجلاً صالحاً للحجّ وزيارة قبر رسول الله فإنِّي كثير الولع بهما ولم استطع مالاً، وكذا أرجو منه أن يستنيب لي عبداً صالحاً لزيارة مشاهد العراق ولا مال لي حتَّى يبذل في هاتين الاستنابتين سِوَى عدَّة مجلدات من كتب الفقه وأصوله والحديث، وأرجو من أولادي أن يسامحوا في بذلها في هذا الشأن، وربِّي يعلم إنِّي لا أملك شبراً من الأرض ولا نقداً ولا العروض.

٣٠ - وأوصيه بدوام الطهارة فإنَّه منير للباطن ومزيل للهموم والأحزان.

٣١ - وأوصيه بأن يعيّن شخصاً في تشيع جنازتي ينادي بأعلى صوته ويستحلّ لي من كل مَنْ له حقٌّ عليَّ وقد فاتني أداء حقّه.

٣٢ - وأوصيه بحسن الخلق والتواضع، وترك النخوة والتجبر والتكبُّر مع المؤمنين.

٣٣ وأوصيه بمحاسبة نفسه في كل أسبوع حسبة الشريك شريكه بالمداقة، فإنّه إن وجد زلّة صدرت منه تداركها بالتوبة، وإنْ وجد حسنة في

أعماله شكر المولى سبحانه على النعمة، والتمس منه تعالى مزيد التوفيق.

٣٤ - وأوصيه بالمداومة على السنن والمستحبات، وترك المرجوحات والمكروهات مهما أمكن.

٣٥ - وأوصيه بتلاوة القرآن الشريف، وإهداء ثوابه إلى أرواح شيعة آل الرَّسول الَّذين لا وارث لهم، أو لا متذكر في حقِّهم، فإنِّي قد جربت هذه الحسنة مراراً، ووفّقني ربِّي الكريم بما وفّقني بسببها.

٣٦ - وأوصيه أن يجعل ثلث أعماله المستحبة لوالده، وثلثها لوالدته، وثلثها الثالث لذوي حقوقه، وأرواح هؤلاء تفرح بهذه وتدعو له بأن يرزقه باريه خير الدَّارين.

٣٧ - وأوصيه بتهذيب النفس، والمجاهدات الشرعية، فإنِّي نلت به ما نلت، ورزقني ربِّي الكريم، ما لم تره أعين أبناء العصر، ولا طرقت أسماعهم، ولا سمعت آذانهم، فالحمد له تعالى على هذه الموهبة العظيمة والفضل الجسيم، وقد أودعت بعض هذه الأسرار في كتاب مخصوص سميته «بسلوة الحزين» تارة «ومؤنس الكئيب المضطهد» أخرى و«روض الرَّياحِين» ثالثة، و«نسمات الصبا» رابعة أيّاً ما شئت فسمّه يا ولدي...

٣٨ - وأوصيه بالورع عن المحارم، والتجنب عن الشُّبهات، والأخذ بالحزم والاحتياط.

وفي الختام، أجزت لإخوتك الكرام، وبني أعمامك وتلاميذي الموفقين، وسائر الأفاضل الراشدين من موالي الأئمَّة الطاهرين، أن يرووا عَنِّي ما رويت عنهم عليهم السلام بهذه الطرق والأسانيد الَّتي أودعتها في هذه الرِّسالة الكريمة، الَّتي سمَّيتها بـ«الطريق والمحجة لثمرة المهجة» وقد آن بنا أن نكفَّ بعنان اليراع، ونطوي ما رمناه كشحاً...

حرَّره العبد الحقير خادم علوم أهل البيت عليهم السلام أبو المعالي «شهاب الدين الحسيني المرعشي» النجفي عفى الله عنه، وكان له في كلِّ حال، في سحر ليلة الخميس لعشر بقين من ثاني الربيعين من شهور سنة ١٣٩٨ من هجرة سيِّد المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم في مشهد الست الجليلة كريمة آل الرَّسول صلى الله عليه وآله وسلم «فاطمة المعصومة» ببلدة «قمّ» المشرفة حرم الأئمَّة الأطهار، وعشّ آل محمَّد صلى الله عليه وآله وسلم حامداً مصلِّياً مستغفراً.

الوصية الثانية

من رسالة «الطرق والأسانيد إلى مرويات أهل البيت عليهم السلام» الأولى:

٣٩ - وفي الختام أوصيه ونفسي الخاطئة بتقوى الله في السِّر والعلن، والاهتمام في الورع والزهد في زخارف هذه الدُّنيا الدنية.

٤٠ - وأن لا يترك زيارة أهل القبور والاعتبار بهم، بأنَّهم مَنْ كانوا بالأمس فما صاروا اليوم؟ وأين كانوا فإلى أين صاروا؟ وكيف كانوا فكيف صاروا؟ الأموال قد قُسّمت، والأكفاء قد زُوِّجت، الدور قد سُكنت، وما بقي لهم إلاَّ ما كانوا يفعلون ويعملون.

٤١ - وأن لا يترك تلاوة القرآن ومطالعة الأحاديث والتدبُّر فيهما والاستنارة من أنوارهما.

٤٢ - وأن يقلّل من المعاشرة مع النَّاس، فإنَّكَ قلمَّا ترى مجلساً غير مشتمل على المناهي من اغتياب عباد الله، والتفكّه بأعراضهم، والبهت في حقِّهم، وأكل لحومهم ميتة، سيَّما لو كان المُغتَاب «بالفتح» من أهل العلم، فإنَّ اغتياب العلماء بمنزلة أكل الميتة المسمومة.

٤٣ وأن لا ينسى ذوي حقوقه علماً وأدباً ومالاً وتوليداً من مصالح الدُّعاء.

٤٤ - وأن لا يألو جهده في ترويج الدِّين، وإحياء المذهب، فإنَّ الشرع قد أصبح غريباً يُنادي بأعلى صوته: هل من ناصر ينصرني؟ هل من ذاب يذبُّ عنِّي؟

٤٥ - وأن لا يترك صلاة اللَّيل والتهجد في أنائه، والاستغفار في أسحاره، فقد قال مولانا سيِّد المظلومين أمير المؤمنين روحي له الفداء في وصاياه: «عليك بصلاة اللَّيل».

٤٦ - وأن يتورع من أكل الشُّبهات، ألا وإنَّه لأمرٍ عظيم.

٤٧ - وأوصيه بالبرّ في حق اخوانه واخواته وأرحامه، وطلبة العلوم الدينية، وفقراء المؤمنين، عصمنا الله وإياه من الزلل والخطل في النية والقول والعمل، إنَّه القدير على ذلك والقادر بما هنالك.

اللَّهمَّ أحينا حياة آلِ محمَّدٍ عليهم السلام وأمتنا مماتهم، وارزقنا في الدُّنيا زيارتهم، وفي الآخرة شفاعتهم، آمين آمين لا أرضى بواحدة حتَّى يُضاف إليه ألف آميناً.

حرَّره بقلمه وبنانه وفاه بفيه ولسانه، العبد الكئيب مقصوص الجناح بأيدي الحساد أعداء ذرية الرَّسول، أبو المعالي «شهاب الدين الحسيني المرعشي النجفي» أحيىٰ الله قلبه بذكره وأذاقه حلاوة مناجاته.

في صبيحة يوم الاثنين خمس بقين من شهر «صفر الخير» من سنة ١٣٨٩ الهجرة القمرية ببلدة «قمّ» المشرفة حرم الأئمَّة الأطهار وعش آلِ محمَّدٍ عليهم السلام، حامداً مصلِّياً مسلِّماً مستغفراً.

الوصية الثالثة

من رسالة «الطرق والأسانيد إلى مرويات أهل البيت عليهم السلام» الثاني:

٤٨ - وختاماً أوصيك يا أخي، أولاً: بتقوى الله تعالى في السّر

والعلن، والوثوق به في كلِّ حال، ففي بعض كتب الحديث أنَّ مولانا الحسين السبط الشهيد عليه السلام كان نقش خاتمه الشريف هكذا «ثق بمن لا ينساك وأستحي ممَّنْ يراك».

٤٩ - وإن تخلص في أعمالك له سبحانه وجلَّ شأنه، فإنَّه نعم الدواء الجالى لكدر القلب.

٥٠ - وعليك بتلاوة الكتاب الكريم والتدبُّر في آياته العزيزة والاستنارة من أنواره المقدَّسة.

٥١ - وعليك بمطالعة الأحاديث المأثورة عن النبي وآله البررة والكرام فإنَّها ممَّا ينوِّر الفؤاد ويذهب عنه الرذائل.

٥٢ - وعليك بصلة الذرية النبوية، والبر في حقهم، والدفاع عنهم، ونصرتهم باليد واللِّسان فإنَّهم ودائع النُبوَّة بين الأنام، وإيَّاك ثمَّ إيَّاك الظلم بالنسبة إليهم وبغضهم، وسوء العشرة معهم، والوقيعة في شأنهم وعدم المبالاة بهم وتحقيرهم وعدم أداء حقهم، ممَّا يورث سلب التوفيق.

وإن كنت العياذ بالله ممَّن لا يحبهم قلباً فأنت مريض وعليك بالمعالجة عند أطباء النُّفوس، أفهل يُشكّ في فضلهم وجلالتهم وسمو قدرهم وعلوِّ مرتبتهم، هيهات هيهات حاشا وكلاّ، لا يشكُّ فيه إلاَّ من عمي بصره وقسي قلبه...

٥٣ وعليك بالمداراة والمجاملة وحسن السلوك مع المؤمنين فإنَّهم أيتام آل محمّد صلى الله عليه وآله كما في الخبر، فإنَّهم عليهم السلام قد فوضوا عليهم السلام أُمورهم في زمن الغيبة إلى أهل العلم.

٥٤ وعليك بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إن استطعت

بلسانك وبيانك وحالك وقلبك، وأن لا تنسَ الإسلام من الدُّعاء لرفع ما حلَّ به، فإنَّه صار غريباً، كما بدء غريباً، ولو تأمَّلتَ بعين البصيرة لرأيت القرآن الشريف يحارب اللادينية من ناحية، وعبَّاد الصليب من الأخرى، وينادي بصوتٍ يشجيِّ القلوب ويهيج الأحزان والكروب «هل من مغيث يغيثني؟ هل من ذاب يذبُّ عنِّي؟» ولا أدري هل أجيب ندائه، ولبيت دعوته في هذا العصر المتعوس والدَّهر المنكوس أم لا؟ بل اشتُغل بدلاً عنه بهتك أعراض عباد الله والوقيعة في حق العترة قرناء الكتاب وزملاء التنزيل، خسرت صفقة عبدٍ كان شفعاؤه خصماؤه.

٥٥ - وعليك بزيارة قبور المؤمنين والاعتبار بهم، بأنَّهم مَنْ كانوا بالأمس، وما صاروا اليوم، وأين كانوا وإلى أين ارتحلوا؟ كيف كانوا وإلى أين ارتحلوا؟ كيف كانوا فكيف صاروا؟ فإنَّ في زيارة القبور السلو عن الشهوات وحب الدُّنيا وانجلاء الأحزان والكروب.

٥٦ - وعليك بتشمير الذيل في بثّ آثار المعصومين عليهم السلام، ونقل كلماتهم في النوادي والمحافل، وإشاعة ذكرهم، وإحياء مآثرهم، فإنَّهم أصبحوا مظلومين مقهورين مضطهدين سيَّما في العصر، فإنَّ النَّاس اشتغلوا بأُمور ونبذوا تلك الذراري وراء الأظهر، واستأنسوا بما تشتهيه أنفسهم، أيقظهم الله تعالى شأنه من تلك النومة.

٥٧ - وعليك بالجد والاجتهاد في التصنيف والتأليف والإفادة والاستفادة وعدم تضييع العمر بما لا يعني، كما عليه أكثر أبناء العصر.

وفّقك الله وإيَّانا وجميع المؤمنين العمل بهذه الوصايا النفيسة والتخلق بالصفات الفاضلة، ومكارم الأخلاق، واتباع آثار أئمَّتنا وسادتنا وشفعائنا في يوم الجزاء، وأرجو من كرمه وفضله تعالى أن يحفظ ديننا ويقوِّي إيماننا

ويزيد في يقيننا، ويجعل خاتمة أمرنا خيراً بمحمَّدٍ وآله الطَّاهرِين.

تمت ببلدة «قمّ» المشرّفة، حرم الأئمَّة، وعش آل محمَّد، حامداً ومصلِّياً مسلماً مستغفراً»[١].

ومن وصيته للشيخ الحكيمي

وفي الختام: أوصيه ونفسي الخاطئة بتقوى الله في السِّرّ والعلن والاهتمام في الورع والزّهد في زخارف هذه الدُّنيا الدنيَّة.

وأن لا يترك زيارة أهل القبور والاعتبار بهم بأنَّهم مَنْ كانوا بالأمس فما صاروا اليوم، وأين كانوا إلى أين صاروا؟ وكيف كانوا فكيف صاروا؟ الأموال قد قُسّمت، والأكفاء قد زوّجت. والدّور قد سُكنت، وما بقي لهم إلاَّ ما كانوا يفعلون ويعملون.

وأن لا يترك تلاوة القرآن ومطالعة الأحاديث والتدبُّر فيهما والاستنارة من أنوارهما.

وأن يقلِّل من المعاشرة مع النَّاس، فإنَّك قلَّما ترى مجلساً غير مشتمل على المناهي من اغتياب عباد الله، والتفكّه بأعراضهم، والبهت في حقِّهم، وأكل لحومهم ميتة، سيَّما لو كان المُغتَاب - بالفتح - من أهل العلم، فإنَّ اغتياب العلماء بمنزلة أكل الميتة المسمومة.

وأن لا ينسى ذوي حقوقه علماً وأدباً ومالاً وتوليداً من صالح الدُّعاء.

وأن لا يألو جهده في ترويج الدِّين وإحياء المذهب، فإنَّ الشرع قد أصبح غريباً يُنادي بأعلى صوته: هل من ناصر ينصرني؟ هل من ذابّ يذبُّ عنِّي؟

---

(١) لاحظ «قبسات من حياة المرعشي النجفي» للسيد عادل العلوي.

وأن لا يترك صلاة اللَّيل والتهجّد في أنائه والاستغفار في أسحاره، فقد قال مولانا سيِّد المظلومين أمير المؤمنين روحي له الفداء في وصاياه: «عليك بصلاة الليل» وأن يتورع من أكل الشُّبهات ألا وأنَّه لأمرٍ عظيم.

وأوصيه بالبرّ في حق إخوانه وأخواته وأرحامه وطلَبة العلوم الدِّينية وفقراء المؤمنين، عصمنا الله وإيَّاه من الزلل والخطل في النيَّة والقول والعمل إنَّه القدير على ذلك والقادر بما هنالك.

اللَّهمَّ أحينا حياة آل محمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم وأمتنا مماتهم، وارزقنا في الدُّنيا زيارتهم، وفي الآخرة شفاعتهم، آمين آمين»[١].

(١) لاحظ «القرآن خواصه وآثاره» للحكيمي.

وصية السيد علي القاضي رحمه الله

نبذة عن حياة المُوصي

هو السيد علي بن السيد حسين القاضي الطباطبائي، وُلد في ١٣ ذي الحجة سنة ١٢٨٢هـ في مدينة تبريز، وتُوفي في ٦ ربيع الأول سنة ١٣٦٦هـ ودُفن في مقبرة «وادي السلام» قرب مقام الإمام المهدي عليه السلام.

قال عنه السيد محمد حسين الطباطبائي: «والسيد الأجلّ آية الحق، ونادرة الدهر، العالم، العابد، الفقيه المُحدِّث، الشاعر المفلق، سيد العلماء الربانيين المرحوم الحاج الميرزا علي القاضي الطباطبائي التبريزي».

وقال السيد محمد حسين الطهراني فيه: «كان المرحوم القاضي فريد عصره وحسنة دهره في تهذيب النفس والأخلاق والسير والسلوك في المعارف الإلهية والواردات القلبية، والمكاشفات الغيبية السبحانية، والمشاهدات العينية، وكان سلمان الزمان وترجمان القرآن».

الوصية الأولى

هي رسالة إلى أحد طلابه المبتدئين في السلوك وهي:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بعد حمد لله جلَّ شأنه، والصلاة والسلام على رسوله وآله.

حضرة السيِّد، الغفلة هي منشأ جميع هذا الفساد النفسي والَّذي من جملته الوسواس وعدم الطمأنينة، وانَّ أقل مراتب الغفلة هو الغفلة عن الأوامر الإلٰهِيَّة، وهناك مراتب أخرى لا تصلون إليها إن شاء الله تعالى، وسبب جميع الغفلات هو الغفلة عن الموت وتخيّل البقاء في الدُّنيا.

فإذن إذا أردت الأمان من كل خوف ووساوس ففكّر دائماً في الموت والاستعداد للقاء الله تعالى، وهذا معدن نفيس ومفتاح سعادة الدُّنيا والآخرة، فإذن عليك بالتفكير بالأُمور الَّتي تمنعك وتشغلك عن ذلك إنْ كُنْتَ عاقلاً.

ومن أجل تيسير هذا المعنى أكتب لك عدَّة أشياء أُخرى لعَلَّكَ تستعين بها.

أولاً: بعد تصحيح التقليد أو الاجتهاد، عليك بالرعاية الكاملة للفرائض الخمسة وسائر الفرائض في أحسن أوقاتها.

واسعى ليزداد خضوعك وخشوعك يوماً بعد يوم.

وواظب على الإتيان بتسبيحة الصدِّيقة الطَّاهِرة صَلوٰات الله عليها بعد كل صلاة، وعليك بالمواظبة على قراءة آية الكرسي بعد كل صلاة أيضاً.

وعليك بالإتيان بسجدة الشكر وقراءة سورة (يٰس) بعد صلاة الصبح، وقراءة سورة «الواقعة» في اللَّيل.

وعليك بالمواظبة على إتيان النوافل اللَّيلية.

وعليك بقراءة (المُسبّحات)[١] في كل ليلة قبل النوم.

وعليك بقراءة المعوذات في الشفع والوتر، والاستغفار سبعين مرَّة فيها، وكذلك الاستغفار سبعين مرَّة بعد صلاة العصر.

وعليك بقراءة هذا الذكر بعد صلاتيّ الصبح والمغرب أو في الصباح والعشاء عشر مرَّات:

«لاَ إِلٰهَ إلاَّ الله وحدهُ لاَ شَرِيك لَهُ، لَهُ الحَمْد ولَهُ المُلك وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِير، أَعَوذُ بالله مِنْ هَمَزاتِ الشَيَاطِين وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّي أَنْ يَحْضرُون، إِنَّ الله هُوَ السَمِيعِ العَلِيم».

«وعليك بالاستمرار على هذه الأعمال لعَلَّكَ تجد حالة روحية فتكون طالباً للاستقامة إنْ شَاء الله تعالى».

الوصية الثانية

وهي مقطع من إحدى رسائله:

«وكلمة أخرى كنتم قد طلبتم في وقت حركتكم وفي رسالتكم الشريفة برنامجاً للعمل، وليس لديَّ لأمثالكم برامج عمل، وإذا وجد لكم برنامج عمل فأنا لا أعلم. ومرادي مِمَّا كنت قد عرضته لكم سابقاً هو تحصيل العلم واليقين إجمالاً، وقد أثمر والحمد لله تعالى.

والآن برنامج العمل هو القرآن الكريم، فيه دواء كل داء، وشفاء كل علَّة، ورواء كل غلَّة علماً وعملاً، والآن فاجعل قرَّة عيون المخلصين أمام

---

(١) وهي السور التي تبدأ بـ «يُسبّح» أو «سبّح» وهي خمس «الحديد، والحشر، والصّف، والجمعة، والتغابن» وقد ورد في الرواية أن النبي ﷺ كان يقرأها كل ليلة قبل النوم، لاحظ «الشمس الساطعة» ص١٤٧.

عينيك دائماً، واجعل سيرك مع هذا الهادي للطريق المقيم والصراط المستقيم، ومن السنن الشريفة لذلك هو قراءته بصوتٍ حسن، وآداب أخرى، وخصوصاً في بطون اللَّيالي».

الوصية الثالثة

رسالة موجهة إلى طلاَّبه في استقبال الأشهر الحرم وقد كتبها باللغة العربية:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على الرَّسول المبين، ووزيره الوصيّ الأمين وأبنائهما الخلفاء الراشدين، والذريَّة الطَّاهِرين والخلف الصَّالح والماء المعين، صَلَّى الله وسَلَّم عليهم أجمعين.

تنبّه فقد وافتكم الأشهر الحرم
تيقَّظ لكي تزداد في الزاد واغتنم

فقم من لياليها وصمْ من نهارها
لشكر إلٰه تمَّ في لطفه وعمّ

ولا تهجعنَّ في اللَّيل إلاَّ أقلَّهُ
تهجَّد وكم صب من اللَّيل لم ينم

ورتّل كتاب الحقّ واقرأه ماكثاً
بأحسن صوت نوره يشق الظلم

فلم تحظ بل لم يحظ قط بمثله
وأخطأ من غير الَّذي قلته زعم

وسلَّم على أصل القرآن وفصله
بقية آل الله كُنْ عبده السلم

فمن دان للرَّحْمٰن في غير حبّهم
فقد ضلَّ في إنكاره أعظم النعم

فحبّهم حبّ الإلٰه استعذ به
هم العروة الوثقى فبالعروة اعتصم

ولا تك بالّلاهي عن القول واعتبر
معانيه كي ترقى إلى أرفع القمم

عليك بذكر الله في كلّ حالة
ولا تن فيه لا تقل كيف ذا وكم

فهذا حمى الرَّحْمٰن فادخل مراعياً
لحرماته فيها وعظّمه والتزم

فيمن يعتصم بالله يهدِ صراطه
فإن قلت ربّي الله يا صاح فاستقم

قال عزَّ من قائل: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [آل

عمران: ١٠١]. وقال: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾ [هود: ١١٢]، وقال جلَّ جلاله العظيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت: ٣٠].

إخواني الأعزَّاء: لقد وفَّقكم الله لطاعته، واحذروا فإنَّكُم على وشك الدخول في الأشهر الحرم، فما أعظم وأتمَّ نعم الباري عزوجل علينا، فإذن وقبل كلّ شيء يجب علينا التوبة بشروطها اللازمة وصلواتها الخاصَّة. ثمَّ يجب علينا الابتعاد - مهما استطعنا - عن الذُّنُوب الكبيرة والصغيرة.

فإذن صلُّوا في ليلة الجمعة - أو يوم السبت - صلاة التوبة ليلة الجمعة أو نهارها، ثمَّ أعيدها في يوم الأحد اليوم الثاني من الشهر.

ثمَّ واظبوا على مراقبة أنفسكم مراقبة صغرى وكبرى، وحاسبوها وعاقبوها بما يلزم ويلائم [المقصود من المراقبة الصغرى: محاسبة النفس من جهة صدور الذنب والخطأ حَتَّى في حال ترك المستحبات وارتكاب المكروهات، وأمَّا المقصود من المراقبة الكبرى فهو دوام الذكر والتوجّه وعدم الغفلة مهما أمكن]. وفي هذا ذكرى لمن كانت له إرادة أو خاف الله، ثمَّ توجّهوا إلى قلوبكم، وداووا أمراضه الناشئة من الذُّنُوب، وقلِّلُوا ذنوبكم وصغِّروها بالاستغفار.

ابتعدوا عن هتك حُرمة الآخرين، ومن هتك حُرمة فإنَّ الله سيهتك حرمته، إنْ لم يكن قد هتك حرمته لحدِّ الآن، فمن أين يأتي النجاة لقلب دخلته الشكوك والشُّبهات فهو مأسور، فضلاً عَمَّنْ عزم على المسير في درب العارفين والشرب مع المحسنين من الماء الجاري السائغ، والله هو المستعان على نفسي وأنفسكم وهو خير معين.

١ - أوصيكم بأداء صلواتكم في أفضل أوقاتها، وهي مع نوافلها

(٥١) ركعة، فإنْ لم تستطيعوا فصلُّوا (٤٤) ركعة، وإنْ لم تدعكم المشاغل الدنيوية عن إتيان ذلك فأتوا - على الأقل - بصلاة الأوَّابين [صلاة أهل الإنابة والتوبة ثمان ركعات أثناء الزوال].

٢ - وأمَّا صلاة اللَّيل فلا مهرب منها للمؤمنين أبداً، والعجب من يريد الوصول إلى الكمال ولا يقوم لصلاة اللَّيل، ولم نسمع بأنَّ أحداً استطاع أن يصل إلى تلك الدرجات بغير صلاة اللَّيل.

٣ - عليكم بقراءة القرآن الكريم في اللَّيل بصوتٍ جميل وحزين، فإنَّ ذلك شراب المؤمنين.

٤ - عليكم بالالتزام بالأوراد المتعارفة والَّتي هي في متناول يد أي واحد منكم، وعليكم بإتيان الذكر في سجدة الشكر (٥٠٠) مرَّة إلى (١٠٠٠) مرَّة.

٥ - زيارة المشاهد المقدَّسة لمن كان مجاوراً لها في اليوم مرَّة، والذهاب إلى المساجد المعظَّمة مهما أمكن، وكذا سائر المساجد الأخرى، فإنَّ المؤمن في المسجد كالسمكة في الماء.

٦ - لا تتركوا تسبيح فاطمة الزَّهراء سلام الله عليها بعد الصلوات الواجبة، وهو يُعتبر من الذكر الكثير، ويجب الإتيان به في كل مجلس مرَّة على الأقل.

٧ - ومن الأُمور الأخرى اللازمة جداً والمهمة هو الدُّعاء لفرج صاحب الزَّمان صلوات الله عليه في قنوت صلاة الوتر، بل في كل يوم وفي جميع الأدعية.

٨ - قراءة الزيارة الجامعة في كل يوم جمعة، ومقصودي هو الزيارة الجامعة المعروفة.

٩ - أن لا يُتلى القرآن أقلَّ من جزءٍ كامل.

١٠ - الإكثار من زيارة ولقاء الأخوان من ذوي السيرة الصَّالحة، فإنَّهُم إخوانكم في طيّ الطريق، ورفقائكم في حلّ المشكلات.

١١ - زيارة القبور بين يوم ويوم ونهاراً، ولا تذهبوا لزيارة القبور في اللَّيل [يحتمل لو ذهبنا في كل يوم لزيارة القبور أن يتحول ذلك إلى عادة يقلُّ حينئذٍ تأثيرها].

ما لنا وللدُّنيا قد غرَّتنا وشغلتنا واستهوتنا وهي ليست لنا، فطوبى لرجالٍ أبدانهم في الناسوت، وقلوبهم في اللاهوت، أولئك الأقلَّون عدداً، والأكثرون عُدداً، أقول ما تسمعون واستغفر الله»[1].

---

(١) قدوة العارفين: ص١١٠.

وصية الميرزا جواد التبريزي رحمه الله تعالى

نبذة عن حياة المُوصي

هو العارف الزاهد الشيخ «جواد الملكي التبريزي» تُوفي سنة ١٣٤٣هـ له عدة مؤلفات في مجال السير والسلوك وهي:

١ - أسرار الصلاة. ٢ - المراقبات ٣ - السير إلى الله تعالى.

الوصية

كتب العالم الأصولي والفقيه المتبحّر آية الله الشيخ محمد حسين الغروي رحمه الله رسالة إلى آية الله الملكي التبريزي رحمه الله طلب فيها بشأن المقدمة الموصلة إلى الله تعالى فكتب له الشيخ:

«بسم الله الرحمن الرحيم، فديتك، وطلبتم من هذا المفلس معرفة المقدمة الموصلة، وتحدثتم بشأن الإعراض عن الجد والجهد في الأُمور الرسمية وعدم الوصول إلى الحقائق الواقعية، ولقد تحدثت - أنا العبد - وبلغة صريحة، بل وقد بادرت للتحدث لجنابكم في البداية وبصورة مفصلة عن حقيقة ما تعلمته مما يلزم للسير في هذه العوالم وبعض نتائجه، وقد دفعتني كثرة الشوق لأن تكون صبغتي وصبغة باقي الرفاق واحدة في جميع

العوالم، إلى أن أتحدث دون أن أبخل بشيء عن لُباب ما عرفته مما يلزم لهذا السير، وأُكرّر هنا - على نحو الإجمال - توضيح ذلك على وفق الطريقة التي تعلمتها:

لقد قالوا بأن الطريق المطلوب في هذا السير هو معرفة النفس، لأن الإنسان إذا لم يعبر بنفسه عالم المثال فلن يصل إلى العالم العقلي، وما لم يصل إلى العالم العقلي فلن يحصل له حقيقة المعرفة ولن يصل إلى مطلوبه.

لذلك فمن أجل بلوغ هذا المقصود كان المرحوم المغفور[١] جزاه الله عنّا خير جزاء المعلمين يقول:

يجب على الإنسان أن يُقلّل الطعام والنوم إلى دون المقدار المتعارف بعض الشيء، لكي تضعف فيه الجنبة الحيوانية وتقوى فيه الجنبة الروحانية.

وكان يبين المعيار في ذلك بالقول: يجب أولاً أن لا يأكل في نهاره وليله أكثر من وجبتين، ويجتنب حتى تناول «التنقلات» بينهما، وثانياً أن لا يأكل إلّا بعد ساعة مثلاً من شعوره بالجوع، ويأكل بالمقدار الذي لا يشبع معه بالكامل، هذا فيما يرتبط بمقدار الطعام.

أمّا فيما يرتبط بكيفيته فيجب - إضافة إلى الآداب الشرعية المعروفة - أن لا يأكل اللحم كثيراً، بمعنى أن لا يأكل اللحم في كلا وجبتي النهار والليل، ويترك أكل اللحم في الأُسبوع يومين أو ثلاثة في كلا الوجبتين،

---

(١) يقصد أستاذه الشيخ حسين قلي الأنصاري الهمداني وعنه ينقل معظم ما ورد من مفردات المنهج السلوكي.

وأن لا يأكل لمجرّد التلذذ ولا يأكل الكرزات، وإذا اشتدّ طلب نفسه لها فليستخر الله، وأن لا يترك صوم الأيام الثلاثة من كل شهر إن استطاع.

وأمّا تقليل النوم فكان يقول: ينام في الليل والنهار ست ساعات، وأن يهتم كثيراً بحفظ اللسان واجتناب أهل الغفلة، وهذه الأُمور كافية في إضعاف الحيوانية.

وأمّا تقوية الروحانية فيلزم لها

أولاً: أن يكون فيه دائماً هماً وحزناً قلبياً لعدم الوصول للمطلوب.

وثانياً: أن لا يترك - قدر المستطاع - الذكر والتفكّر فهما جناحا التحليق في سماء المعرفة.

وعماد ما يوصي به في الذكر هي أذكار الصباح والمساء، وأهمها الواردة في الأحاديث الشريفة، وأهمها تعقيبات الصلوات، والأكثر أهمية أذكار وقت النوم المأثورة في الأخبار، مع التأكيد على أن ينام وهو على طهارة.

وكان يقول بشأن مدة التهجّد في الأسحار: ثلاث ساعات في أسحار الشتاء وساعة ونصف في أسحار الصيف، وكان يقول: لقد رأيت أنا الكثير من الآثار لذكر اليونسية - يعني المداومة عليه كل يوم - وكلما استطاع أن يكثر منه زادت آثاره، وأقل الأقل منه هو (٤٠٠) مرة، وقد جربت ذلك أنا أيضاً، وأدعي عدة أشخاص تجربته والحصول على آثاره.

والأمر الآخر هو تلاوة القرآن وبنية إهداء ثوابها إلى خاتم المراتب صلوات الله عليه وآله.

وأمّا في الفكر والتفكّر فكان يقول - بالنسبة للمبتدىء - : ليتفكّر في

الموت، إلى أن يفهم من حاله أنه أُصيب بالدهشة والذهول من التفكّر في ذلك، وعندها يوجهه - أو يتوجه هو بنفسه - إلى التفكّر في عالم خياله، فيفكّر فيه ليل نهار عدة أيام حتى يدرك أنّ كل ما يتخيله يراه بنفسه ولا يخرج عنها، فإذا جعل ذلك ملكة يرى حينها نفسه في عالم المثال أي يدرك حقيقة عالمه المثالي ثم تصبح هذه الرؤية ملكة فيه، وحينها كان الأُستاذ يقول: ينبغي تغيير مسار التفكّر ومحو جميع الصور الظواهر والموهومات، والتفكّر في العدم، فإذا صارت هذه الرؤية ملكة في الإنسان تجلّى له سلطان المعرفة حتماً، أي تتجلى حقيقة نفسه بالنورانية وبدون صورة ظاهرية وحدود، ويكون عندها الفوز بمشاهدة كمال البهاء، وإذا شاهد ذلك في حال الجذبة فهو أفضل.

وإذا وجد سبيل الرقي في معارج العوالم العالية، شاهد أثر كل مقدار يسيره فيها حاضراً عنده.

والترتيب حاكم على هذه العوالم، لذلك يجب أن يترقى الإنسان أولاً من عوالم الطبيعة إلى عالم المثال، ثم منه إلى عالم الأرواح والأنوار الحقيقية، وأنتم أعرف بالطبع بالبراهين العلمية على ذلك. والعجب أن التصريح بهذه المراتب ورد في سجدة دعاء ليلة النصف من شعبان - وهو زمن وصول هذه الرسالة - حيث يقول ﷺ فيها: «سجد لك سوادي وخيالي وبياضي».

وأصل المعرفة هو في ذلك الوقت حيث يحصل فناء الثلاثة السواد والخيال والبياض لأن حقيقة السجدة عبارة عن الفناء و«عند الفناء عن النفس بمراتبها يحصل البقاء بالله». رزقنا الله تعالى ذلك وجميع إخواننا بمحمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم.

وعلى أي حال، فأنا لست محروماً - في الجملة - من عوالم دعاء الإخوان والحمد لله، وقد جعلت الدعاء لوجودكم الشريف ولجمع من الإخوان ورداً ليلياً لي.

وحدّ تكميل التفكّر في عالم المثال والذي يكون بعده محو الصورة هو أن يلتفت بنفسه إلى نفسه ويشاهد حقيقة أمرها عياناً، أو أن يستمر في التفكّر إلى أن يعبر دائرة العلمية المجردة ويحصل على المشاهدة عياناً، وحينئذٍ يمحو الموهومات ويفكّر في العدم حتى تتجلى له حقيقة نفسه من تلك الجهة»[(١)].

ويقول: «قد مضى في أخبار فضائل الشهر - شهر رمضان المبارك - ايصاء النَّبيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بطول السجود، وهو أمر مهم، وهو أقرب هيئات العبودية، ولذا جُعل في كلّ ركعة مرَّتان، وغيره مرَّة واحدة، وقد نُقل عن أئمتنا عليهم السلام، وعن خواص شيعتهم في طول السجود أمرٌ عظيم، وقد عدّ السجَّاد عليه السلام في بعض سجداته ألف مرَّة: «لا إلٰهَ إلاَّ الله حقّاً . . . إلى آخره» وأنَّ الكاظم عليه السلام يقرب طول سجوده في أوَّل اليوم إلى صلاة الظهر، ونُقل عن ابن أبي عمير، وجميل، وخربوذ ما يقرب من ذلك.

وكان لي شيخٌ جليل أيَّام تحصيلي في النجف الأشرف، وكان مرجعاً لأتقياء طلبة زمانه في التربية، وسألته عمَّا جرَّبه من الأعمال البدنية في تأثير حال السالك إلى الله، فذكر أمرين:

أحدهما: أن يسجد في كل يوم وليلة سجدة واحدة طويلة، ويقول فيها: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]

---

(١) نقلاً عن مجلة «الفكر الإسلامي» عدد ٢٨ ص ١٢٧ - ١٣٠.

يقصد بذلك: أنَّ روحي مسجونة في سجن الطبيعة، ومقيَّدة بقيود الأخلاق الرذيلة، وإنِّي بأعمالي جعلت نفسي مسجونة في هذا السجن، ومقيدة بهذه القيود، وأنزّه ربِّي من أن يكون هو الَّذي فعل بي ذلك ظلماً، وأنا الَّذي ظلمت نفسي، وأوقعتها في هذه المهالك.

وكان يوصي أصحابه بهذه السجدة وكان كل مَن يعمل بها يعرف تأثيرها في حالاته، لا سيَّما مَن كان طول سجوده أكثر، وكان بعض أصحابه يقول ذلك ألف مرَّة، وبعضهم أقل، وبعضهم أكثر، وسمعت أنَّ بعضهم يقول ثلاثة آلاف مرَّة»[1].

---

(١) المراقبات ص١٢٣.

رسالة الحكيم الجيلاني رحمه الله

نبذة من حياة المُرسل:

هو العالم الرباني الآقا محمد بن محمد رفيع الجيلاني البيدآبادي المُتوفّى سنة ١١٩٧هـ ودُفن في مقبرة تخت فولاذ.

كان رحمه الله من أعاظم الحكماء والعرفاء والزهّاد، وله مقامات وكرامات وإليه ترجع سلسلة عرفاء الإمامية في القرون الأخيرة[١].

الرسالة الأولى:

إلى العالم الفقيه أبو القاسم القمّي صاحب كتاب «القوانين».

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي خمّر بيدي جماله أربعين صباحاً طينة الإنسان وأودع فيه أسرار الأسماء كلّها وعلّمه المعاني والبيان.

ثم أكرمه باستعداد تعلّم استعمال الدليل والبرهان، وتحصيل الإيقان،

---

(١) روضات الجنات ج٧ ص١١٦.

باستفادة علم الحديث وفهم غرائب القرآن ودرك دقائق عجائب الفرقان من قلم الرحمن.

ثمَّ مَنَّ على المؤمنين إتماماً للنعمة وإكمالاً للدِّين ببعث رسول ﴿يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] ليعلم العباد منه ما لا يعلمون ولئلاً يقولوا: ﴿لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ [طه: ١٣٤] ولئلاً يكون ﴿لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥].

وجعل ظواهر أقوال رُسُله شريعةً لهداية طالبي المحسوس، ودقائق إشارات أفعالهم شفاءً لأمراض القلوب وطريقة النجاة من علل النفوس، وحقائق وجنات أحوالهم معراجاً لعروج أهل الحقيقة إلى حضرة المَلِك القدّوس.

فأضاء قلوبنا بأنوار مصابيح مشكاة جوامع كَلمه، ولُمعات أضواء إشراقات فهم مقاصد كلام نجوم هدايته، عن ظلمات شُبهات مشاغبات الكتب الكلامية ومتشابهات كلمات الحكماء المشّائية والإشراقية.

وأغنانا بالحكمة الإلهية الإيمانية القرآنية عن تصحيح العقائد بالأدلّة الطبيعية والرياضية ومخترعات أصول المعتزلة والأشعرية، ورزقنا النجاة والعافية بشفاء صحاح الأحاديث النبوية، وفتوحات درك المطالب العالية من آثار الإشارات الولويّة، عن الأمراض المزمنة الحاصلة من ملاحظة كلمات الفلسفة اليونانية، ومزاولة أعماله الطبيعة الحيوانية، وتقليد الآباء والأسلاف في الجوانية والبرّانية.

فصلّى الله عليه وآله، وجزاه عنّا أفضل ما جُزي نبيّاً عن أُمّته، حيث أوضح لنا سبيل الوصول، وقرَّر لنا درك حقيقة المأمول بإلتزام الشريعة،

وسلوك سبيل الطريقة المستقيمة، وبيَّن ﴿فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥] وفيها تذكرة للمتّقين، وإمحاض النّصح للإخوان من أعزّ أركان الدين، وإن كان القوم لا يحبُّون الناصحين. فأقول امتثالاً لأمرك يا أخي في الله:

مثلك يعلم بالضرورة أنَّ الإخلاد إلى أرض المادّة، وازدياد التثاقل بالانكباب على لوازم الطبيعة الجسمانية، والاشتغال باستيفاء اللَّذات الحسيّة والمشتهيات البهيمية والسبعية، بل صرف تمام أوقات العمر في تدريس العلوم الرسمية، وترك طريق التصفية بالرياضيات الشرعية، وتقليد الآباء والمشايخ في المسائل الأصلية والفرعية، من موانع العروج إلى سماء المعارف الحقيقة والنفس الأمرية.

فخُذْ من العلوم المتعارفة الرسمية أحسنها، بقدر الضرورة مع المجانبة عن المراء والمجادلة الممرضة.

ثمَّ اشتغل بتلطيف السرّ؛ فإنَّ العلم ليس بكثرة التعلّم، إنَّما هو نور يُقذف في القلوب المستعدّة للإفاضة، بل العلم مجبولٌ في القلوب، تأدّب بالآداب الروحانية تجده. والجوع سحابٌ يمطر الحكمة، و«مَنْ أخلص لله أربعين صباحاً جرتْ ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه».

وسيّد علوم أهل البيت عليهم السلام نكتٌ في القلوب وقرعٌ في الأسماع، والعلم ما يحدث يوماً فيوماً ولحظةً فلحظةً.

فارفض عنك رسوم العادة، ولازم طريق أهل الشهادة الطالبين للحقائق، لأنَّ لكلّ حقَّ حقيقةً، فخذ اللباب واترك القشور في كل باب.

وإيّاك والاغترار بالظاهر، لأنَّ لكلِّ آية ظهراً وحدّاً ومطلعاً.

وكن من الزاهدين في الدنيا وما فيها؛ لأنَّها دار غرور الإنس والجانّ،

وحياتها لهوٌ ولعبٌ بنصّ القرآن، فذرها للنساء والصبيان، وشمّر مثل الرجال في طلب الآخرة، وهي الحيوان عند أهل العرفان.

وما الدنيا؟ هل هي إلاَّ طعام أكلته أو ثوب لبسته أو إمرأة أصبتها، وهي عند أهل اللبّ في الظلال.

كلّ ما في الكون وهمٌ أو خيال

أو عكوسٌ في المرايا أو ظلال

واتّق الله حقّ تُقاته ما استطعت، واطلب الإعانة من الله، وجاهد أوّلاً في سبيل الله ثمَّ في الله، لأنَّ الثاني سبب الوصول كما أشار إليه قوله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ورمز إليه قول السجّاد عليه السلام: «مَنْ وفى بعهدك، وأتعب نفسه في ذلك وأجهدها في مرضاتك فأهلٌ للبشارة» إذ ليس لأهل الإخلاص في النشأة العنصرية من خلاصٍ إلاَّ بإفناء بقايا الوجود وتسليم الأمر كلّه إلى وليّ الإحسان والجود.

فتقرّب إليه بالنوافل، حتى يكون الحقّ بصرك وسمعك، فتكون من الرجال السابقين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وأدّوا الأمانات إلى أهلها، ورُدّوا إلى الله مولاهم الحقّ، فإنَّ لله أولياء تحت قبابه لا يعرفهم غيره.

وإن لم تستطع ولن تستطيع إلاَّ بمعونة توفيقٍ وتجريد واحتمال مشقّة شديدة، فلازم طريقة أصحاب اليمين، «أكثر أهل الجنّة البله» القانعون بجوار خيرات حسان وبطواف جواري وغلمان عن روضة رضوان المال وخلد مقعد صدقٍ عند مليكٍ متعالٍ.

واعلم أنَّ أكثر أهل الدنيا أهلُ غفلةٍ، لا خير فيهم ولا غنى عنهم،

وما أشبه حالهم عند أهل الانتباه بحال الأحجار التي يُزال بها العذرة عند فقد المياه، فهم من ضرورات مزبلة الدنيا وعمارة هذه الأولى، فنزّلهم منازلهم، واعرف لذوي الفضل منهم فضلهم، ودارهم ما دمت في دارهم، وأرضهم ما دمت في أرضهم بلا مداهنةٍ في الدّين، ولا ركونٍ إلى الظالمين، واحتمل منهم الضرر والأذى، فإنَّ نعيم الآخرة محفوف بالمكاره الدنيوية. واصبر نفسك مع الذين آمنوا صبراً جميلاً، وتوكَّل على الله واتّخذه وكيلاً.

ولا ترسل عنانك في مراتع الرُخص الشرعية الواردة لأهل الزمان من ضعفاء العقول والنسوان والمستضعفين من الرجال ومن الصبيان.

واذكر عيش مولى الإنس والجان؛ فإنَّه احترز عن دقيق شعير ببعض الأدهان.

ولا تقل: مَنْ حرَّم زينة الرحمن؟ فإنَّ تخيّل ذلك في هذا المقام من تسويلات الشيطان الموجبة للحرمان من درجات أهل العرفان والإيقان. وبين التحريم وحرمان النفس فرقان.

ولذا قال مرشد أهل الحقيقة وقائد سبيل الطريقة بلسان أهل الشريعة في عسل أمّ أيمن الممزوج باللبن: «يمكن الاكتفاء بأحدهما، لا أشربهما؟ ولا أحرّمهما».

وقال عند الاجتناب من أكل سخليص: «أخاف أن يقال لي يوم القيامة: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ [الأحقاف: ٢٠]».

وقال: «وإيّاكم والتنعّم والتلهّي والفاكهات».

وقال بعض في بعض الأدعية: «أعوذ بك اللّهمَّ من رفيع المأكل والمشرب».

فلا تذهب طيّباتك في حياتكم الدنيا، ولا تنس نصيبك عن الآخرة؛ فإنَّها خير وأبقى.

وإيّاك وتناول الشبهات والتوغُّل في المباحات؛ فإنَّها تورث القسوة وتفوّت لذّة المناجاة.

وإيّاك والرئاسة والتحدّث بها، لأنَّها «ملعونٌ مَن ترأس، ملعونٌ من همّ بها» لأنَّها لا تصحّ إلاَّ لأهلها، وهم الذين أماتوا نفوسهم وأحيوا قلوبهم وأخلوا دخائلهم من غير الله وجزوا أوقاتهم في طلب مرضاته حتى صارت أنفسهم مواضع لمشية الله.

وإيّاك ومجالسة المترأسين، سيّما مدّعي العلم منهم بلا برهان؛ لأنَّهم قوم نسوا الله فأنساهم أنفسهم، فيتّبعون شهوات الحيوان ويستدلّون بالمتشابهات عند مطالبة البرهان، فسوف يلقون غيّاً وسيصلون سعيرا.

فبعد تطهير قلبك استفت قلبك، فإن أفتاك فعليك بجمع الحقيقة والطريقة والشريعة، فإنَّ فاقد أحدها ليس بإنسان في الحقيقة، بل حيوان طريد أو شيطان مريد أو جبّار عنيد.

وبالجملة لا بدَّ لك من تحصيل عقائد برهانيّة، وحقائق ربّانيّة عرفانيّة، وأخلاقٍ فاضلةٍ نفسانيّة، وملكاتٍ ملكيّة، وآداب شرعيّة، وعبادات بدنية، بشرائطها المقرّرة الدينيّة، حتى تعرف صدق ذلك من قلبك.

وذلك لا يحصل بالمنى ولا ينال بالهوى، لا يدرك بالأسباب الظاهرة من العباء والرداء، والتختُّم بالعقيق وأخذ العصا والتزيّن بزيّ العلماء والعبّاد والصلحاء والانتساب بالنسب إلى سلسلة الأتقياء، بل لا بدّ فيه من الزهد في الدنيا.

فلا يجد الرجل حلاوة الإيمان حتّى لا يبالي مَن أكل الدنيا وينسى

التدريس والمدرسة والتلامذة الساكنة فيها، ثم النيّة الصادقة والإخلاص في كلّ ما تأتي وتذر.

وعند تصحيح النيّة تُسكب العبرات. ولا بدّ فيه من الرياضات المبادي، لإصلاح البضعة [القلب] التي إن صلحت بقية الجسد؛ لأن بالنيّات خُلّد هؤلاء وهؤلاء، والكلام في ذلك طويل.

فاشغل قلبك بأوامر القرآن والحديث قبل أن يشغلك من قبل نفسه بالأحاديث، فإنَّها إن لم تشغلها شغلتك. ولا تتركها وهواها، لأنَّها تسعى في رداها، وقد أفلح من زكّاها ونهاها من هواها.

ثمَّ الواجب عليك الاهتمام باستيفاء آداب الزيارة وشرائطها، من تعظيم المزور وإعانة الزوّار.

وإيّاك وأن تكون كاذباً في قولك: «وأُشهدُ أنَّك تَرى مقامي وتسمعُ كلامي». ولا تلفت إلى أحدٍ في الروضة المقدّسة، ولا تحدّث الناس فيها، ولا تتفرّج في رياض القناديل؛ فإنَّها لا تليق بعبادة المصطفين، ومتى فَتَرَ شوقُك فاخرج منها؛ فإنَّ الغفلة عن الذكر أحسن من الغفلة في الذكر، وادعُ لأبويك وأرباب الحقوق عليك.

فهذه سبيلي أدعوا إليه مَن اتّبعني وما توفيقي إلاَّ بالله، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، ومَن يضلل الله فما له من هادٍ، ومَن لم يجعل الله له من قلبه مرشداً واعظاً فلن تجد له وليّاً مرشداً؛ فإنَّ الهدى هدى الله ولا تهدي مَن أحببت فهذه تذكرة لمن شاء أن يتّخذ إلى ربّه سبيلا.

تمّت الرسالة[١].

---

(١) رائد العرفان ص١٠٧.

الرسالة الثانية:

إلى تلميذه السيد حسين القزويني رحمه الله

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بعد الحمد والصلاة على النبيّ والآل فهذه كلمات طلبها منّي بعض إخواني في الدّين خطّها بقلمه أقلّ العباد «حسين بن إبراهيم الحسيني» في خلاصة النصائح وتهذيب الأخلاق، طالباً من الحضرة الأحدية دوام التوفيق.

إعلم بأنّ دفع صفات النفاق وتحصيل الأخلاق واجبة على جميع المكلّفين بالاتّفاق، وهي من جملة الفروض العينية. وإنَّ التهاون في الرياضات والتخلّق بمكارم الصفات منشأ لتضييع القابلية وباعث للخروج من الكرامة الإنسانية، وستلحق نفسه النفيسة بالبهائم وآية ﴿إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] شاهد صدق على هذا الادّعاء.

فيلزم على طالب الحقّ - بعد تحصيل الاعتقاد بالمبدأ والمعاد وتحصيل اليقين قراءة الكتب الدرسية في أيام مهلة الحياة وفقاً للشريعة الغرّاء لسيد المرسلين النازل فيه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، وأن يتّخذ أقوال وأحوال هذا العظيم شعاراً، ويتدرّج بنفسه من حضيض النقصان إلى أوج الكمال وحدّ التمكين والوقار بحول وقوة الملك الغفّار تعالى شأنه.

ونشير هنا - على سبيل التنبيه - إلى بعض من أمهات الفضائل:

الأول: تحصيل التقوى في جميع الأفعال والتروك، بحيث يبقى في

حالة المراقبة الدائمة لحضرة القدس الإلهية تعالى شأنه بنحو يراه حاضراً وناظراً في كل حال ويكون في مقام الخوف والخشية، فيأتمر بأوامره وينتهي بنواهيه في العلن والخفاء، وأن يجعل التقوى شعاره، وأن لا يخرج قدمه من دائرة الشريعة الغرّاء، وأن يلجأ حين عروض الذنب إلى التوبة والاستغفار والندامة والإنابة، ويتدارك ما فات بسرعة.

الثاني: دوام ذكر الحق بالقلب واللسان بنحو لا يدع لحظة تمرّ وهو غافل عن ذلك، وأن يغتنم ساعته ولا يضيّع أيام المهلة سدىً، فإنَّ كلّ ساعة جوهرة ثمينة لا تساويها جميع الدنيا وما فيها.

الثالث: التوكّل وترك الأمور للولي الحقيقي، واللجوء إلى حضرة القدس الإلهية تعالى شأنه بنحو لا يعتمد في أي حال على رأيه وتدبيره ويعتمد على الذات الدائمة، وأن يرضى بما يُقدّر له المنعم الحقيقي، ويتجنّب اتّهام الله سبحانه في قضاءه، وأن يمحي من قلبه ضيق القلب والسخط على الأقدار.

الرابع: التمسّك بجميع شرائع الدين المبيّن في السنّة لسيّد المرسلين، وأخذها من علماء الدين الورعين المتقين، فإنَّ التخلّف عن ذلك منشأ للأخذ بالبدع والأهواء وباعث على الهلاك، فيجب مثلاً بذل تمام الجهد وكمال السعي للمداومة على الفرائض والواجبات، ونهي النفس عن المنهيّات على مرور الليالي والأيام. ولا تكتفي بنصيحة الشفيق بمجرّد وصف الطريق من غير عمل، وعليك السعي كثيراً بقدر السعة والطاقة ليلاً ونهاراً وحين الصحة والفراغ بالنوافل ومندوبات الفضائل، واحذر أن تندم يوم العرض الأكبر على تضييع عمرك الثمين.

واحفظ لسانك من اللغو والكلام غير النافع وخاصة الفحش والكذب

والغيبة والنميمة، واحذر من سماع واستماع المنهيّات والأمور غير المفيدة الدينية والدنيوية، واحفظ جميع أعضائك وجوارحك من كل ما لا يرضي المالك الحقيقي.

الخامس: الزهد وعدم الرغبة في الدنيا وما فيها، والاقتصاد في المعيشة بقدر البلغة من الحلال، وضبط النفس عن الاشتغال بفضول العيش، والاستغناء عن جميع الناس في القليل والكثير، فإنَّ الحاجة إلى الناس مذلّة حاضرة ونسيان الآخرة ويورث اليأس ويوجب الإفلاس.

السادس: المداومة على ذكر الموت والاستعداد لنزوله فيجعله نصب عينيه، وأن لا يغفل عن ذلك لحظة فإنَّ الغفلة وبال الدنيا والآخرة، وتهيئة أسباب السفر للآخرة كالوصية والكفن وغير ذلك من الضروريات التي يراها لازمة، فإنَّ مَن ترك الاستعداد فاجئه الموت مهما كان عمره.

السابع: المداومة على محاسبة النفس في كل صباح ومساء فإن رأى من نفسه خيراً حمد الله تعالى على ذلك وشكره، وأن يعتقد أن هذا الخير هو نعمة عظمى منه سبحانه وتعالى ويطلب توفيق الازدياد فيها، وإن رأى شرّاً في أعماله سارع إلى التوبة والإنابة وطهّر صفحة قلبه بماء الحسرة والندامة، وأن يتدارك ذلك بالأعمال الحسنة فيطلق نفسه النفيسة من تلك السيئة.

الثامن: المداومة على الاستغفار وطلب المغفرة في ساعات الليل والنهار خصوصاً في الأعصار والأسحار - فقد جاء في وصية لقمان لابنه: «وقل كثيراً: اللَّهمَّ اغفر لي».

وهناك على وجه التحقيق أوقات لجناب الحضرة الأحدية لا يردّ فيها سائلاً من حضرة عزّته وجلاله، فعليك إذن المداومة على الدعاء في جميع

الأوقات فلعلَّ دعاءك يقع في ساعة من ساعات إجابته سبحانه وتعالى.

التاسع: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالقدر المقدور مع تحقق آدابه وشرائطه كما هو في كتب الأسلاف مسطور، فإن كان إظهار الحقّ غير ممكن فلا تختار على الأقل مجالسة الأشرار، ويجب عليك أن تنكر أعمالهم وأحوالهم من صميم قلبك، وإيَّاك ومداهنتهم.

العاشر: مساعدة إخوانك في الدين في الأمور الخيرية والسعي في قضاء حوائجهم، وخاصّة الذريّة الطيبة لحضرة خير البرية والسلالة العلوية الفاطمية.

الحادي عشر: الاعتقاد بعظمة الأوامر الإلهية، وتعظيم وتكريم علماء الدين وأهل التقوى وأصحاب الورع من المؤمنين فإنَّه موجب للخلاص في الدنيا والنجاة في العقبى.

الثاني عشر: الصبر في جميع المواطن، فإنَّ الصبر بمنزلة رأس الإيمان، والرضا بالأقدار موجب للراحة في الدارين، وينبغي ترك التمنّي أبداً وأن لا نأمل شيئاً لا نعرف عقباه، والدوام على حالة الشكر يوجب زيادة النِعم، وعليك بتكرار الدعاء بفرج آل محمد ﷺ.

الثالث عشر: الاشتغال بالعلوم الدينية النافعة في سلوك طريق الآخرة، وطلب ذلك من أهله. ولا تخشى - لومة لائم، ولا تبقى في الجهالة.

الرابع عشر: الإخلاص وعدم النظر إلى غير الحق في جميع الأعمال، فإنّ الرياء - نعوذ بالله شرك، واجتنابه واجب.

الخامس عشر: السعي في صلة الرحم والإحسان إليهم، فهو منشأ

لعلوّ الدرجات والبركة في الأموال وطول الأعمار ورضا الرحمن، ولو بالسلام إن كان غيره محال، وصلة رحم الوالدين خاصة فإنَّ حقوقهما لا حصر لها وعقوقهما موجب للخسران سواء في الحياة أو الممات.

السادس عشر: زيارة الإخوان ومذاكرتهم في أمور الدين والآخرة، فإنَّ في مذاكرتهم يحصل الاستعداد التام وتوفّر الزاد لسفر الآخرة البالغ الخطورة.

السابع عشر: ترك التوسّع في المباحات وترك التضييق على النفس، بل يجب الاقتصاد وسلوك طريق الاعتدال.

الثامن عشر: معاشرة أهل الدنيا بعنوان المداراة ومعاملتهم على قدر عقولهم، وتجنّب عرض ما أنكروه من المعارف وما لا يدركوه بنواقص عقولهم، وحُسن الخُلق معهم وكظم الغيظ والتواضع وترك التكبّر والعُجب والأنانية والخيلاء والنخوة، والطلب من الحضرة الأحدية إصلاح أعماله وأعمالهم. واجعل التقوى رأس مالك في جميع الأمور وعليك بمداومة مراقبة جناب حضرة القدس الإلهي تعالى شأنه، والتوسّل بأهل البيت الأطهار صلّى الله عليهم في الليل والنهار.

التاسع عشر: تحصيل الخوف والرجاء وهو الخوف من سخط الجبار والكون في مهد الأمن والأمان للرحمة اللانهائية للرحمن. وينبغي الاحتفاظ بهاتين الحالين بدرجة واحدة. فإنَّ اليأس من رحمة الله والأمن من سخطه منشأ لمآثم لا تحصى، اللّهمَّ إلاّ في حال الاحتضار فينبغي غلبة رجاء الرحمة.

العشرون: تحصيل عفاف النفس مع الجود والسخاوة والثبات

والاطمئنان ومواساة الإخوان ومسامحتهم، والتأمّل في دقائق المسطور والمداومة على رياضة النفس يثمر السعادة وارتفاع الشقاء.

عصمنا الله وإخواننا المؤمنين عن هواجس الشيطان اللعين وجعلنا في يوم الدين في مقام الآمنين آمين ربّ العالمين»[١].

---

(١) رائد العرفان ص١٢٣.

رسائل السيد
محمد حسين الطباطبائي رَحِمَهُ اللهُ

نبذة عن حياة المُرسل:

هو المُفسّر المعروف السيد محمد حسين الطباطبائي رَحِمَهُ اللهُ وُلد سنة ١٣٢١هـ وتُوفّي في ١٤٠٢هـ ودُفن في جوار السيدة فاطمة المعصومة بقم المقدسة كان رَحِمَهُ اللهُ آية في الفقه، والأصول، والفلسفة، والتفسير، والأخلاق، له مؤلفات كثيرة أهمها:

١ - تفسير الميزان ٢ - الإنسان ٣ - رسالة في الولاية ٤ - علي والفلسفة الإلهية ٥ - الشيعة في الإسلام.

الرسائل:

ثلاث رسائل سلوكية من العلامة الطباطبائي.

كتب آية الله العلاَّمة الطباطبائي - رضوان الله عليه - رسالة سلوكية إجابة لشاب طلب منه منهجاً عملياً للسيطرة على النفس والسلوك إلى الله تعالى، قال فيها:

«... يلزم لتحقق ما تريدون أن تبعثوا الهمة لبلوغه وأن تعمدوا إلى التوبة والمراقبة والمحاسبة على النحو التالي:

أن تعزموا عند الاستيقاظ صباحاً وتقول بجدية: سأسعى للحصول على رضا الله - عزَّ اسمه - في كل أعمالي، ثم تلاحظون في كل عمل تريدون القيام به الفائدة الأُخروية، فإذا لم تجدوا فيه نفعاً أُخروياً أعرضتم عنه، وتستمرون على هذا الحال إلى موعد النوم، فتتفكروا - أربع أو خمس دقائق قبل النوم - في كل عمل قمتم به، فتشكروا الله على الأعمال المرضية لله وتستغفروه على كل عمل قمتم به خلافاً لذلك، واستمرّوا على هذا الحال كل يوم، وهذا المنهج يكون صعباً في البداية ويشق على النفس ولكنه مفتاح النجاة والفلاح.

إذا استطعتم، فاتلوا كل ليلة قبل النوم سور «المسبحات» وهي: «الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن»، وإن لم تستطيعوا فاقرؤوا سورة الحشر وحدها. وبعد العمل بذلك عشرين يوماً اكتبوا لي عن حالاتكم، سيحالفكم التوفيق إن شاء الله».

وكتب - رضوان الله عليه - في جواب الرسالة الثانية لهذا المؤمن:

«... إنَّ المنهجَ الضروري لنا في جميع الأحوال وفي ظل أي وضع، هو منهج «العبودية» ي منهج معرفة الله بعبارة أُخرى، وطريقه - طبق المستنبط من الكتاب والسنّة - هو ذكر الله وامتثال التكاليف العملية، أي منهج المراقبة والمحاسبة الذي تقدم توضيحه لكم في الرسالة الأولى، وعليكم العمل بهذا الترتيب، أي أن تقرروا عند الاستيقاظ صباحاً أن لا تنسوا الله، ثم تتصوروا دائماً أنكم في محضره، ثم تأخذوا بملاحظة أعمالكم - أثناء اليوم قبل النوم، فإذا وجدتم فيها غفلة عن الله فعليكم

بالاستغفار وتوبيخ النفس، وإذا لم تصدر منكم غفلة حمدتم الله. وضمناً وبهدف تقوية حالة الذكر [المراقبة لله] عليكم بالالتزام وعلى مدى أربعين يوماً عند الصباح بتلاوة الكلمة الطيبة «لا إله إلاَّ الله» ألف مرة كل يوم وبتوجّه قلبي كامل، وإن حال العبودية الحاصل من هذا المنهج هو نموذج ومعيار لجميع شؤون الحياة».

وكتب - رضوان الله عليه - في جواب الرسالة الثالثة لهذا المؤمن:

«أخي العزيز، الحالة التي حصلت لكم هي حالة «الجذبة»، يلزمكم أن تواظبوا على المراقبة والتوجّه بكل قواكم إلى الله تعالى، وأن تتصوروا أنَّكم في حضرته. وضمناً اختلوا ساعة على الأقل في اليوم مع ربكم - عزّ اسمه - تنشغلون فيها بذكره. واختاروا - بوسيلة الاستخارة - أحد هذين الذكرين الشريفين: لا إله إلاَّ الله، ألف مرة أو (١٧٥٠) مرة كل يوم، لفظ الجلالة «الله» بدون حرف النداء (١٥٠٠) مرة وإذا استطعتم (٣٠٠٠) مرة كل يوم والتزموا بالعمل به.

اجتنبوا الإفراط والتفريط في الأكل والشرب والكلام والمعاشرة والنوم، واغتنموا الفرصة عملاً بقولهم عليهم السلام: «إنَّ لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها ولا تعرضوا عنها»[1].

---

(١) نقلاً عن مجلة «الفكر الإسلامي» عدد ٢٨ ص١٤١.

وصية السيد
محمد حسيني بهشتي (قُدّس سرّه)

نبذة عن حياة الموصي:

هو السيد محمد حسيني بهشتي، وُلد في مدينة أصفهان عام ١٣٤٩هـ، وتُوفي في حادث انفجار مبنى الحزب الجمهوري الإسلامي عام ١٩٨١م.

له مؤلفات عديدة في كافة المجالات، منها:

١ - الحكومة في الإسلام. ٢ - صوت الإسلام في أوروبا. ٣ - الاقتصاد الإسلامي. ٤ - النظام المصرفي وقوانين الإسلام المصرفية. ٥ - المعرفة في الإسلام.

قال عنه السيد الخميني وهو يتحدث عن شهداء مبنى الحزب الجمهوري: «هؤلاء كانوا خدمة الشعب وكانوا كما أعرفهم من الأبرار الأخيار والملتزمين وعلى رأسهم المرحوم الشهيد بهشتي الذي أعرفه منذ عشرين عاماً، أعرف منزلته وأفكاره وتعبّده... فهو رجل مجتهد، متدين، محب للشعب، محب للإسلام، وكان وجوده نافعاً لمجتمعنا».

الوصية:

«إني محمد حسيني بهشتي، أحملُ الجنسية رقم ١٣٧٠٧ الصادرة من أصفهان، أوصي زوجتي وأبنائي وسائر أقاربي، أن يولوا في الحياة الأهمية وقبل كل شيء، للنور الإلٰهي الذي يتوهج في قلوب الناس، وأن يفتحوا لأنفسهم طريق السعادة من خلال الإيمان بالله الواحد العليم، السميع البصير، الرحمن الرحيم، ورسله الكرام، والاقتداء بخاتم الأنبياء وكتابه القرآن، والأئمة المعصومين، سلام الله عليهم أجمعين، والاهتمام بذكر الله، والصلاة بقلب خاشع، وبالصيام والعبادات الأخرى، والإنفاق، والإيثار، والصدق والأمانة، وعمل الخير لجميع الخلق، ومحاربة الباطل في سبيل نصرة الحق، والجهاد بلا هوادة في هذا الطرق، والحضور الدائم في الجماعة والألفة مع الناس».

٢٧ رجب ١٤٠٠هـ .ق

محمد حسيني بهشتي

وصية الشيخ نجم الدين

كتب الشيخ نجم الدين: «إعلم أنَّهُ لا فائدة من الذكر دون مراعاة آدابه وشرائطه. في البداية يجب القيام بآدابه وشرائطه؛ ودليل المريد الصادق الذي يتلوع في طلب السلوك أن يأنس بالذكر ويستوحش من الخلق، حتى يبتعد عن الجميع ويأوي إلى ملجأ الذكر: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام: ٣١].

وإذا أراد المواظبة على الذكر، عليه أن يبنيه على أساس التوبة النصوح من كل المعاصي. وإذا استطاع فليغتسل عند الذكر، وإلا فليتوضأ، لأنَّ ذكر الحبيب قتالٌ للعدوِّ، ولا يمكن ذلك دون سلاح فـ «الوضوء سلاح المؤمن» وأن يلبس ثوباً أبيض بحسب السُنَّة. ولطهارة الثوب أربعة شروط:

الأول: الطهارة من النجاسة.

الثاني: الطهارة من المظلمة.

الثالث: الطهارة من الحرمة يعني أن لا تكون حريراً.

الرابع: الطهارة من الرعونة، يعني أن يكون قصيراً بحسب السُنّة.

﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدَّثِّر: ٤] أي قصر وأن يتخذ منزلاً خالياً مظلماً ونظيفاً، والأولى له أن يتعطّر، ويجلس باتجاه القبلة، والتربع في الجلوس منهيٌّ عنه في جميع الأوقات إلا وقت الذكر، حيث كان الخواجه يجلس إذا ما أتمَّ صلاة الصبح في مكانه ويتربع للذكر حتى طلوع الشمس، كان يضع يديه على فخذيه عند الذكر، ويحضر قلبه ويجهز عينيه ويبدأ قول «لا إله إلا الله» بتعظيم شديد وقوَّة. أشد ذكراً كان يخرج «لا إله» من الصميم ويدخل «إلا الله» إلى قلبه بطريقة يصل معها أثر الذكر وقوَّته إلى كل الأعضاء دون أن يكون ذلك بصوت عالٍ، بل كان يسعى لإخفائه وخفضه ما أمكنه، كما في قوله: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْأَصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ٢٠٥].

يُسمى هذا الوجه من الذكر «دمدمة» ويستذكر معنى الذكر في قلبه وينفي الخواطر. حيث ينفي أي خاطر يطرأ على القلب في معنى «لا إله» بمعنى أنه: لا أريد شيئاً ولا مقصوداً ولا محبوب لدي «إلا الله».

ويجب أن يكون القلب حاضراً في كل ذكر من بدايته إلى نهايته بالنفي والإثبات. كلما نظر في داخل قلبه، لم يحضر ما يتعلق به القلب، بل أعطاه لحضرة العزة. . . ففي «لا إله» يبطل ذاك التعلق ويرفع مسمار محبة ذلك الشيء، ويتصرف «إلا الله» يجعل محبة الحق قائماً مقام محبة ذلك الشيء.

يداوم على هذا الأمر حتى يخلي القلب من جملة المحبوبات والمألوفات، حتى يقوم من الرجفة لاستمراره في الذكر. ويكون اهتزازه بغلبات ذكر الوجود فيضمحل في نور الذكر، ويجعل الذاكر الذكر مفرداً ويخرج العلائق والعوائق من وجوده، ويخففه من دنيا الجسمانية وآخر الروحانيات. كما في قوله: «سيروا فقد سبق المفردون».

إعلم أن القلب خلوة الحق الخاصة، حيث «لا يسعني أرضي ولا سمائي وإنَّما يسعني قلب عبدي المؤمن» طالما وجدت زحمة الأغيار في محل القلب فغيرة الحق تقتضي التعزُّز من الغير. ولكن إذا أخلت كلمة «لا إله» محل القلب من زحمة الأغيار، عليه أن ينتظر قدوم تجلي سلطان «إلا الله» ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب ۝٨﴾ [الشرح: ٧-٨].

رسالة المرحوم الأصفهاني

كتب آية الله التبريزي رسالة إلى الفيلسوف والأصولي المشهور الشيخ محمد حسين الأصفهاني نقل فيها تعليمات عن أستاذه المرحوم الهمداني نذكر هنا مقتطفات منها:

كان المرحوم المغفور له يقول: يجب أن يقلل الإنسان الطعام والنوم أكثر من المتعارف قليلاً ليضعف البعد الحيواني فيه ويقوى البعد الروحي وميزان ذلك كما بينه سماحته هو:

أولاً: أن لا يتناول الإنسان الطعام في اليوم والليلة إلا مرتين ويترك حتى المتفرقات التي يتناولها بين الطعامين.

ثانياً: عندما يأكل يجب أن يكون ذلك بعد الجوع بساعة مثلاً ثم يأكل بحيث لا يشبع تمام الشبع... هذا في كّم الطعام. وأما كيفيته، فبالإضافة إلى الآداب المعروفة، أن لا يأكل اللحم كثيراً، بمعنى أن لا يأكله في وجبتي اليوم والليلة معاً، (بل يأكل اللحم في إحداهما) ويتركه في كل اسبوع مرتين أو ثلاثاً في الليل، وفي النهار، (أي أن لا يكون اللحم طعامه في أي من الوجبتين بل يأكل فيها شيئاً آخر).

ويتركه مرة إذا استطاع للتكيف، ويجب أن لا يكون ممن اعتاد على

تناول البزورات (المخلوطة) ولا يترك صيام ثلاثة أيام من كل شهر إذا استطاع.

وأما تقليل النوم فكان يقول: أن ينام في اليوم والليلة ست ساعات ويهتم طبعاً بحفظ اللسان واجتناب أهل الغفلة كثيراً...

هذه (الأمور) تكفي في إضعاف البعد الحيواني.

وأمَّا في تقوية البعد الروحاني:

أولاً: يجب أن يكون دائماً متصفاً بالهمِّ والحزن القلبي لعدم وصوله إلى المطلوب.

ثانياً: أن لا يترك الذكر والفكر ما استطاع لأن هذين هما جناح سير سماء المعرفة.

في الذكر كان عمدة ما يوصي به، أذكار الصبح، والعشاء، أهمها ما ورد في الأخبار وأهم (ذلك) تعقيبات الصلوات والأكثر أهمية (من هذه العمدة) ذكر وقت النوم المأثور في الأخبار لا سيما أن يغلب عليه النوم حال الذكر متطهراً.

وحول قيام الليل كان يقول:

في الشتاء ثلاث ساعات وفي الصيف ساعة ونصف.

وكان يقول: «لقد لمست آثاراً كثيرة في سجدة الذكر اليونسي (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) أي في المداومة على ذلك بحيث لا تترك في اليوم والليلة وكلما كانت أكثر كلما ازداد تأثيرها وأقل ذلك أربعمائة مرة» وأنا (العبد) جربت ذلك كما ادعى تجربتها عدة أشخاص.

وواحدة أيضاً: قراءة القرآن بقصد هديته إلى خاتم النبوة صلوات الله عليه وآله.

إرشادات العلامة القزويني

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بعد الحمد والصلاة على النبيِّ والآل...

هذه كلمات عدة مسطرة بقلم أقل العباد حسين بن محمد إبراهيم الحسيني، في خلاصة النصائح، والتهذيب الأخلاقي، بناءً على التماس الأخوة في الدين، جعل جناب الأحدية التوفيق رفيق الجميع!.

إعلم أنَّ دفع صفات النفاق، وتحصيل فضائل الأخلاق، هو بالاتفاق من جملة الفروض العينية على جميع المكلفين، والتغافل، والتهاون في الرياضة، والتخلق بمكارم الصفات، وفضائل النعوت، منشأ لتضييع القابلية، وباعث للخروج من الكرامة الإنسانية، ويلحقُ النفس بالبهائم، فإنَّ قوله تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٤] شاهد صدق على هذا المدعى.

فعلى طالب الحق بعد تحصيل الاعتقاد بالمبدأ، وتحصيل اليقين، أن يتمتع في أيام مهلة الحياة بالكتب الدراسية الموافقة للشريعة الغراء لسيِّد المرسلين، وصفوة العالمين، الذي ورد في شأنه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ

عَظِيمٍ﴾ [القَلَم: ٤] (اتباعاً لرؤوفٍ رحيم)، وأن يجعل أحوال ذلك النبيِّ العظيم شعاره، وأن يوصل نفسه تدريجياً من حضيض النقصان إلى أوج الكمال، وحد التمكين، والوقار، بحولٍ وقوة الملك الغفَّار - تعالى شأنه - . فعلى سبيل التنبيه نشير إلى عددٍ من رؤوس الفضائل:

الأول: تحصيل التقوى، والتورع في جميع أنواع الفعل، والترك، بأن يكون دائماً في حال المراقبة، وأن يعلم أن الذات الإلهيَّة المقدسة - تعالى شأنه - حاضرة، وناظرة عليه في كل حال. وأن يأتمر بأوامره، وينتهي عن نواهيه، وأن يجعل فضيلة التقوى شعاره في السر والعلن، ولا يضع قدمه خارج حدود الشريعة الغرّاء. ومع عروض الإثم والمعصية يتدارك ذلك سريعاً بالاستغفار، والتوبة، والإنابة، والندامة.

الثاني: دوام ذكر الحق بالقلب، واللِّسان، بحيث لا يغفل عنه لحظة، وأن يعتبر الوقت غنيمة، ولا يخسر أيام المهلة بدون فائدة، فكل ساعة جوهرة ثمينة لا توازيها الدُّنيا، وما فيها.

الثالث: التوكل، وتسليم الأمور للوليِّ الحقيقي، واللجوء إلى جنابه المقدّس - تعالى شأنه -؛ ولا يعتمد بأيِّ حال على رأيه وتدبيره، وأن يتوكل على الذات التي لا تزول، وأن يرضى بما قدّرهُ له المنعم الحقيقي، وأن لا يتهم الله المتعال في القضاء، وأن يزيل الضيق، والسخط من الأقدار عن صفحة القلب.

الرابع: التمسك بجميع شرائع الدِّين المبين، وسنَّة سيِّد المرسلين السنيَّة والأخذ به من علماء الدِّين الورعين المتقين، بالمداومة على الفرائض، والواجبات، ومنع النفس عن المنهيَّات، فإنَّ التخلف عنه منشأ للضلالة، والأخذ بالبدع، والأهواء، وسببٌ للهلاك، فيجب الاهتمام،

والسعي التام، على مر الليالي، والأيام، وعدم الاكتفاء بمجرد وصف الطريق بدون عمل النفس بنصيحة الرفيق، الشفيق. وأن يبذل السعي الكبير بقدر الجهد، والطاقة، والفراغ، والصحة في الليل والنَّهار في مرغوبات النوافل، ومندوبات الفضائل. وأن يحذر من ندامة تضييع العمر الثمين في يوم العرض الأكبر. وأن يحفظ لسانه من اللغو، والكلام غير المفيد، خصوصاً الفحش، والكذب، والغيبة، والنميمة. وأن يحذر من استماع، وسماع المنهيات، والأمور غير المفيدة الدينيَّة، والدنيوية. وأن يضبط ويحفظ جميع أعضائه، وجوارحه من مخالفة رضى المالك الحقيقي.

الخامس: ممارسة الزهد، وعدم الرغبة في الدُّنيا، وما فيها. والاقتصاد في المعيشة بقدر البلغة من الحلال، وضبط النفس عن الاشتغال بفضول العيش. والاستغناء عن جميع النّاس في القليل، والكثير؛ فالاحتياج إلى النّاس مذلَّة حاضرة، ونسيان الآخرة مورثٌ لليأس، وموجبٌ للخسران.

السادس: إنَّ دوام ذكر الموت، والإستعداد للنزول إلى القبر فرضٌ، يجب أن يبقى نصب العين، ولا يُغفل عنه لحظة؛ فالغفلة سببُ وبال الدُّنيا والآخرة. يجب تهيئة لوازم سفر الآخرة، من الوصية، وتجهيز الكفن، وغيره من الضروريات اللازمة. فمع ترك الإستعداد، يكون الموت فجأة، مهما طال العمر.

السابع: دوام محاسبة النفس كل صباح،ومساء؛ فإذا وجد في أعماله خيراً، حمد الله وشكره، وعلم أنَّ تلك النعمة العظمى من جنابه المقدّس،ويطلب توفيق الزِّيادة. وإذا رأى في أعماله شراً، وسوءً، استعجل في التوبة، والإنابة، وطهَّر صفحة القلب بماء الحسرة والندامة، وحرَّر نفسه النفيسة من تلك الدنيَّة بالأعمال الحسنة.

الثامن: مداومة الاستغفار، وطلب العفو في ساعات الليل والنَّهار، خصوصاً في الأعصار، والأسحار، ففي وصية لقمان لابنه أن: أكثِرْ من قَوْلِ: «اللَّهُمَّ اغفِرْ لي»، فإنَّ لجناب الأحدية أوقات عديدة، لا يردّ فيها سائلٌ من مقام العزّة، والجلال. فيجب أن نكون في جميع الأوقات في حال الدُّعاء؛ عسى أن تصل في ساعة من الساعات إلى هدف الإجابة.

التاسع: الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، بحسب المقدور، ومع آدابه، وشرائطه، وإذا لم يكن إظهار الحق ممكناً، فعلى الأقل أن يترك المرء مجالسة الأشرار. ويجب أن يستقبح في قلبه أحوالهم، وأعمالهم، ولا يداهنهم أبداً.

العاشر: مساعدة ومعونة الأخوة في الدِّين في الأمور الخيرية، والاهتمام بقضاء حوائجهم، خصوصاً الذرية الطيِّبة لصاحب الرفعة، وخير البرية، والسلالة العلوية الفاطمية.

الحادي عشر: تعظيم الأوامر الإلهيَّة، وتعظيم، وتكريم علماء الدين، وأهل التقوى، وأصحاب الورع، من المؤمنين، فهو منشأ لصلاح الدُّنيا، ونجاة العقبى.

الثاني عشر: الصبر في جميع المواطن؛ فالصبر بمنزلة الرأس للإيمان، والرِّضى بالأقدار موجبٌ لراحة الدارين، ويجب عدم تمنّي، ورجاء ما لا يعرف عاقبته أبداً، والبقاء دائماً في حال الشكر، فهو سبب زيادة النعمة. والدُّعاء دائماً لتعجيل فرج آل محمد ﷺ.

الثالث عشر: الاشتغال بممارسة العلوم الدينية النافعة في سلوك سبيل الآخرة. وطلبه من أهله، وأن لا يخاف من ملامة أحد، ولا يبقى في الجهالة.

الرابع عشر: الإخلاص في جميع الأعمال، وعدم النظر إلى أي معيار غير الحق؛ فالرياء - نعوذُ بالله - شرك، واجتنابه واجب.

الخامس عشر: السعي في صلة الأرحام، والإحسان إليهم ولو كان بالسلام عند عدم إمكان غيره، فهو منشأ لرفع الدرجات، وبركة المال، وطول الأعمار، ورضى الخالق؛ وخصوصاً الوالدين، الذين لا تحصى حقوقهما، وعقوقهما موجب للخسران. والوبال، سواءً في الحياة، أو الممات.

السادس عشر: زيارة الأخوة في الدين، والمذاكرة معهم في أمور الدين، والآخرة، فمن المذاكرة معهم يحصل الاستعداد التام، وزاد سفر العقبى المليء بالخطر.

السابع عشر: عدم التوسع في المباحات، وعدم إجبار النفس، بل يجب الاقتصاد، والوسط في السلوك.

الثامن عشر: المعاشرة مع أهل الدُّنيا بالمداراة، وبمستوى فهمهم، وطاقة عقلهم، والإعراض عن ما ينكرونه من المعارف، ولا يدركونه بشكلٍ صحيح بعقلهم الناقص. ومزاولة حسن الخلق، وكظم الغيظ، والتواضع، ورفع الكبر، والعجب، وحب النفس، والخيلاء، والعصبية، وليطلب إصلاح أعماله، وأعمالهم من مقام الأحدية، إنَّ أساس جميع الأمور الأخذ بالتقوى، ودوام مراقبة المقام الأقدس الإلهي - تعالى شأنه -، والتوسل بأهل البيت الأطهار عليهم السلام في الليل والنهار.

التاسع عشر: تحصيل الخوف، والرجاء، بأن يكون خائفاً من سخط الجبّار، وفي مهد الأمن والأمان من الرحمة اللانهائية، وأن يحافظ على هاتين الحالتين معاً في نفس الوقت؛ فاليأس، والأمن كلاهما منشأ لمآثم

لا تُعدَّ. إلا عند وقت الاحتضار، الذي تخرج فيه نفس المرء من يده، فيجب أن يكون رجاء الرحمة غالباً عليه.

العشرون: تحصيل عفة النفس، بالجود، والسخاء، والثبات، والطمأنينة، ومواساة الأخوان، ومسامحتهم.

إنَّ التأمل في دقائق هذا المسطور، ورياضة النفس مع المداومة، يثمر السعادة، وارتفاع الشقاوة.

عصمنا الله وإخواننا المؤمنين عن هواجس الشيطان اللعين، وجعلنا في يوم الدِّين في مقام الآمنين، آمين رب العالمين.

التسوّل:

كتب أحد أساتذة الأخلاق في الوقوف بين يدي الباري موقف المتسوّل:

إذا كنت في مقام العمل مع مجاهدة النفس، فهنيئاً لك! وإذا - نعوذ بالله - أصابتك نكبة، وتكاسلت في العمل، ولم تستطع أن تتقدم به، فعلى الأقل لا تفقد التسوّل بالتضرع، والتأوه في الخلوات، واكذب حتى يصدق حالك؛ فالمتسوِّل يطلب مجاناً، فإذا كان جاداً حصل على مقصوده. إذا أُجبت: لا نحتاج إلى عبدٍ مفلسٍ مثلك، فقل بتذلل: المتسوِّل في طريق السلطان لن يكون في عداد عبيده، وإذا قيل: أنت غير مطيع، فقل بلطافة: لكل امرءٍ شأن. وإذا قال: أين تظهر جبروتي إذن، فقل بأدب: عندما يُعارضُ سلطان جنابكم الأقدس، فإذا قال: أخرجوه، فقل بالتماس:

- لا أذهب من دياركم إلى بلدٍ آخر.

- أخرجوني من هذا الباب، آتي من بابٍ آخر.

فإذا قال: ليس لديك قابلية الاستفاضة منِّي، فأجب: تكرَّم بشفاعة أوليائك... فإذا قيل: أنت متسوِّل! فلا تتراجع حتى لا تبقى محتاجاً أبداً.

وصية الشيخ مرتضى المطهري (قدس سره)

نبذة عن حياة الموصي

هو «الشهيد الجليل والمفكر والفيلسوف والفقيه ذي المقام السامي، الذي قلّ نظيره في طهارة الروح وصلابة الإيمان وقوة البيان» هكذا عرّف عنه أستاذه آية الله السيد الخميني - قدس سره - وكفى بذلك تعريفاً.

وعندما استشهد الشيخ رضوان الله عليه، سألوا أستاذه المفسر الكبير السيد محمد حسين الطباطبائي قدس سره: ماذا كان شعورك عندما علمت باستشهاد الشيخ؟ فقال السيد: اتركوا هذا لقلبي، وقد كان الشيخ على درجة عالية من العرفان والسير والسلوك،

قال فيه الشيخ جوادي آملي: «وكان التلميذ هو الشهيد المطهري صاحب القلب المتعلق الوله بالقرآن، والعقل المودع عند العرفان، والروح المرتبطة بالبرهان، كان مفكراً ومن أهل القلوب والمعنويات».

وقد استقى عرفانه من أساتذته العظام، ولنقرأ ما قاله رحمه الله عن أساتذته:

يقول الأستاذ المطهري في دفتر ملاحظاته رقم ٨٩:

«إن أحد أسرار عدم النجاح في تزكية النفس هو أن التعليم الأخلاقي السائد بيننا هو بصورة تدريس وليس بصورة تربية وعلاج...».

وحسب ما يقوله مشايخنا فإن الاحتياج إلى معلمٍ ومرشد أمرٌ واضح في حياة نبي الله موسى عليه السلام، ففي البداية جاء الأمر إليه عليه السلام ليذهب إلى خدمة شعيب النبي ويقضي في محضره عدة سنين، ليتأهّل للدخول إلى الوادي المقدّس والإستماع لنداء «إني أنا الله».

(شعر مترجم):

قد يصل راعي الوادي المقدس إلى مقصوده

ولكن شريطة أن يذهب ليضع روحه أعواماً في خدمة شعيب

وفي آخر المطاف وعندما يتحول إلى قدوة وصاحب التوراة يُكلّف بتعلم العلم اللدني من الخضر عليه السلام.

لا تقطع هذه المرحلة من الطريق دون رفقة (الخضر) عليه السلام

فهناك ظلمات وأخطار الضلال تكمن لك في الطريق

لقد حَظِيَ أمر الاحتياج إلى المربي والمرشد لعلاج الأمراض الروحية والفكرية وبناء شخصية الإنسان - بالصبغة الرسمية بين الصوفية فقط - ويمكن في هذا المجال مراجعة رسالة «الولاية» للملا سلطان علي و«بستان السياحة» للملا زين العابدين الشيرواني وهو من مشايخ الملا سلطان - عبر واسطة -.

ويقول الإمام السجاد عليه السلام في دعاء مكارم الأخلاق:

«.... ووفقني لطاعة مَنْ سددني ومتابعة مَنْ أرشدني».

والأستاذ المطهري هو من الشخصيات التي حظيت بهداية العلماء الربانيين والمربين الإلهيين: ولقد سعى بكامل الإخلاص في تهذيب النفس وتزكيتها وأعانه الله تعالى على ذلك بإيصاله إلى الأساتذة الربانيين الذين استطاع من خلال صحبتهم طيَّ مراحل السير والسلوك ووصل بإرشادهم إلى وادي عشق الأرواح: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩]».

وهنا يكمن سر ما نراه في حياة الشهيد المطهري المباركة من دوام ذكره تعالى وفوزه في ختامها بالشهادة ولقيا عشقه الحق تبارك وتعالى.

ويُفهم من كتابات الأستاذ الشهيد أن والده التقي الجليل الذي كان من أولي القلوب الحية ومن المجتهدين المواظبين على التهجد في الأسحار، هو الذي وضع الأساس الأول لشخصية ولده الربانية، وبعده إنتفع المطهري من فيوضات أحد عشر عالماً من الربانيين هم آيات الله العظام:

١ - محمد تقي الخوانساري.

٢ - حجة الكوه كمري.

٣ - السيد صدر الدين الصدر.

٤ - السيد محمد الداماد.

٥ - الميرزا مهدي الآشتياني.

٦ - السيد حسين البروجردي.

٧ - الميرزا علي الشيرازي.

٨ - العلامة الطباطبائي.

٩ - السيد أحمد الخوانساري.

١٠ - السيد محمد رضا الكلبايكاني.

١١ - السيد الخميني.

وحسب ما يصرّح به الأستاذ المطهري مراراً فإن أربعة من هؤلاء العظماء قد ساهموا بدور مؤثر في بناء شخصيته، ولنقرأ ما يتحدث عنه بنفسه عن هؤلاء الأربعة إضافة إلى والده.

الشيخ محمد حسين المطهري:

قال رحمه الله: «هناك لذائذ معنوية ترفع الجانب المعنوي فينا، فلصلاة الليل لذة خاصة بالنسبة لمن كان من أهل التهجد وصلاة الليل من الصادقين والصابرين والمستغفرين بالأسحار.

والذين لهم مثل هذا التوفيق - وقد رأينا هكذا أشخاص - لا يولون أهمية للذائذ المادية التي تعلقت بها قلوبنا، ولا ضير هنا أن أذكر شيئاً من نفحات والدي العظيم:

فإلى المدى الذي أستطيع أن أتذكره «ما لا يقل عن أربعين سنة تصرمت» لم أكن أرى هذا الرجل العظيم النبيل يؤخر ساعة نومه عن وقتها المحدد الثابت بعد ثلاث ساعات من صلاة المغرب -، يتناول طعام العشاء في أول الليل وينام بعد ثلاث ساعات منه، ثم يستيقظ قبل الفجر بساعتين على الأقل في الأيام العادية وفي ليلة الجمعة بثلاث ساعات، فيتلو من القرآن ما لا يقل عن جزءٍ كامل، ويقيم صلاة الليل بقلبٍ خالٍ من التعلقات، لقد تصرّم من عمره الآن مائة عام ولم أره يوماً في نومٍ مضطرب، وإنما هي اللذة المعنوية التي حفظته في هذه الحالة... لا تمر ليلة دون أن يدعو لوالديه ويدعو كذلك لزوجة والده التي كان يحبها كثيراً

ويقول إنها كانت تعتني به وترعاه كثيراً، ولا تمر ليلة دون أن يذكر بدعائه جميع أرحامه ومن له حق عليه قريباً كان أو بعيداً، وهذا هو الذي يحيي القلب.

وعلى الإنسان الذي يُريد الوصول إلى هذه اللذائذ الإلهية العميقة عليه أن يقلل من اللذائذ المادية»(١).

آية الله العظمى السيد حسين البروجردي:

وقال: «كان آية الله البروجردي أعلى الله مقامه فقيهاً حقيقياً، أنا لم أعتد على تمجيد شخص في حياته، ولم أقم بذلك تجاه هذا العظيم عندما كان حياً ولكن وحيث قد رحل ولم تعد شبهة مطمع في الأمر أقول إنَّ هذا الرجل كان بحقٍّ فقيهاً ممتازاً وشاخصاً محيطاً متسلطاً على جميع اختصاصات العلوم الدينية تفسيراً وحديثاً ورجالاً ودرايةً وفقهاً وعلم الفرق الإسلامية»(٢).

«قبل مجيئه إلى قم، كنت أصل إلى خدمته عن قرب حيث ذهبت إلى مدينة بروجرد للتشرف بخدمته، كان رجلاً تقياً حقاً وموحداً صادقاً، لا تقولوا إن كل من أصبح مرجعاً للتقليد فهو موحدٌ بداهةً!! فالتوحيد له مراتب أيضاً، ولمراجع التقليد درجات في التوحيد أسمى بكثير من درجاتنا فيه، ولكنني عندما أقول كان البروجردي موحداً فمعنى ذلك أنه كان على درجة سامية للغاية من التوحيد كان معها يستشعر ويلمس مصاديق ومظاهر

---

(١) تزكية النفس: ص ١٧٥.

(٢) كتاب (الحق والباطل) للأستاذ المطهري، ص ١٧٠ - ١٧٢.

التوحيد في كافة شؤون حياته، كانت له ثقة عجيبة بالألطاف الغيبية وتوكلٌ قوي على الرعاية الإلهية»[١].

المرحوم الحاج الشيخ ميرزا علي الشيرازي:

قال رَحِمَهُ ٱللَّٰهُ: «أذكر أستاذي العالم الجليل المرحوم الشيخ الحاج ميرزا علي آقا الشيرازي أعلا الله مقامه، فهو من أعظم الشخصيات التي تعرفت عليها طوال حياتي وهو بحق نموذج للزهاد والعبّاد وأهل اليقين يذكرنا بالسلف الصالح الذين قرأنا عنهم في التاريخ.

في صيف عام (١٣٦٠ هـ.ق) ذهبت من قم إلى أصفهان وتعرفت على هذا العظيم لأول مرة فيها وانتفعت من فيوضات محضره، وهذه المعرفة تحولت فيما بعد إلى حبٍّ وتعلقٍ شديد من قبلي به ورعاية والطاف ومودة أبوية من قبله تجاهي.

... ووجدتُ نفسي في قبال رجل من أهل التقوى هو بحق ممن ينبغي أن تُشدَّ إليه الرحال - حسب الوصف السائد في الحوزة - [٢].

... إنني أُعدّ حضوري لديه إحدى الذخائر الثمينة من عمري بحيث لا أرضى أن أعوض عنها بشيء أبداً، ولا يمر عليّ ليل أو نهار حتى أتمثله في خاطري فأذكره بخير.

أتجرأُ فأقول: إنه كان بحق «عالماً ربانياً» بينما لا أتجرأ لنفسي على أن أقول: إني كنتُ «متعلماً على سبيل نجاة».

أتذكر أني حين التقائي به كنت أذكر كلام الكاتب والشاعر الإيراني

---

(١) (المقالات العشرة) للشيخ المطهري - ص ٩٩.

(٢) المصدر السابق، ص ٢٠١.

سعدي الشيرازي حيث يقول (تعريب شعره شعراً للشيخ هادي اليوسفي).

المرءُ كل المرء - يا إخواني

إن كان فهو العالم الرباني

أما الرجال العابدون الزاهدون

السالكون مسالك الإيمان

فهم بدرب الحق أبناءٌ له

والعالمون هداتهم ببيسان

لقد كان فقيهاً حكيماً وأديباً طبيباً، كان عالماً بالفقه والفلسفة والأدب العربي والفارسي والطب والحكمة القديمة حتى كان في بعض فروعها الأخصائي الأول.

كان يدرّس (كتاب القانون) في الفلسفة الطبيعية والحكمة الإلهية للشيخ الرئيس أبي علي الحسين بن علي بن سينا ببيان واضح، وكان يحضر درسه فضلاء عصره في مصره، ولكنه لم يكن من الممكن تقييده بدرس معين، بل لم يكن يلائمه أي قيد قط، اللهم إلا الدرس الوحيد الذي كان يجلس إليه بشوق ورغبة وهو درس نهج البلاغة فإنه كان يطيرُ به في آفاقٍ لم نكن نستطيع أن ندركها جيداً.

إنه كان يعيش بنهج البلاغة ويتنفس به، قلبه ينبض به وعروقه تفور بدمه، وكان هذا الكتاب ورده الذي يلهجُ به ويستشهد بجمله، وكثيراً ما كان إجراء كلماته على لسانه يقارنه إسبال الدمع من عينيه على محاسنه، لقد كان إندماجه في نهج البلاغة الذي يقطعه عنا وعن كل شيء حوله،

منظراً ذا إيحاء نفسي لذيذ، ولا غرو، فإن الاستماع إلى كلام القلب من ذوي القلوب خلاب ذو وقع على النفوس، إنه كان أنموذجاً صالحاً من ذلك السلف الصالح يصدق فيه كلام علي عليه السلام إذ يقول: «... ولولا الأجل الذي كُتِبَ لهم، لم تستقر أرواحهم في أجسادهم طرفة عين، شوقاً إلى الثواب وخوفاً من العقاب، عظُم الخالق في أعينهم فصغر ما دونه في أعينهم».

إن الأديب المحقق والحكيم الإلهي والفقيه الكريم والطبيب الكبير والعالم الرباني المرحوم: الشيخ الحاج ميرزا علي الشيرازي الأصفهاني (قدس الله سره)، كان بحق رجل الحق والحقيق، إنه ومع كل ما له من المقام العلمي الشامخ والشخصية الاجتماعية، كان إحساسه بالمسؤولية في هداية الناس وإرشادهم وعلاقته القلبية بمقام سيد الشهداء أبي عبد الله الحسين بن علي عليه السلام باعثاً له على الخطابة والوعظ والإرشاد، وحيث كان كلامه يخرج من قلبه كان يخترق القلوب فينفذ فيها ويستقر، حتى أنه كان كلما يقدم إلى مدينة قم المقدسة كان يطلب منه بإلحاح العلماء الكبار أن يرقى المنبر فيعظهم.

كان يتقي حتى إمامة صلاة الجماعة، إلا أنهم كانوا يطلبون منه بإصرار شديد أن يؤمهم في الجماعة في شهر رمضان المبارك من كل سنة في مدرسة الصدر في أصفهان، ومع أنه لم يكن يحضر لذلك بانتظام كان يشترك في صلاته جمعٌ كثيرٌ لم يجتمع لأحد قبله، فقيل إنه كان قد سمع بقلّه الناس في سائر صلوات الجماعة الأخرى فلم يتحمل الإدامة.

كان يعرفه ويحبه – على ما أعلم – جميع أهل أصفهان، كما كانت الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة، تحبه أيضاً، فكان حين وصوله إلى

هذه المدينة، يبادرُ إلى زيارته علماؤها كلهم، في حين أنه كان متحرراً من كل قيد من قيود الزيارات ورد الزيارات.

كان متحرراً من كل القيود ومنها قيد المريد والمراد رحمهُ الله رحمةً واسعة وحشره الله مع أوليائه[١].

المرحوم العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي:

وقال رحمه الله: «جناب استاذنا الأكرم العلامة الطباطبائي روحي فداه[٢]... هذا الرجل هو بحق أحد عظماء العاملين في خدمة الإسلام، والمجسدين بصدق للتقوى والسمو المعنوي ولقد طوى مقامات سامية للغاية في مسيرة تهذيب النفس، وكنت وما زلت ومنذ سنين طويلة أنتفع من فيض محضر هذا العظيم، ويعتبر كتابه «تفسير الميزان» من أفضل التفاسير المدونة، بل أستطيع القول إنه أفضل تفسير كُتب للقرآن الكريم - بين السنة والشيعة - مُنذ صدر الإسلام إلى الآن[٣].

لقد قضى العلامة الطباطبائي سنين طويلة من عمره الشريف في دراسة ومطالعة وتدريس الفلسفة، وأحاط - ببصيرة - بمختلف الآراء والنظريات وتعرّف بعمق أيضاً - إندفاعاً بالحب الفطري والذوق الطبيعي - على أفكار المحققين من فلاسفة أوروبا[٤].

إنه رجلٌ عظيمٌ وعظيمٌ للغاية... رجل يحتاج العالم إلى قرن آخر ليتمكن من مناقشة وتفسير أفكاره والتعرف على عمقها وقيمتها...

---

(١) كتاب (العدل الإلهي) ص ٢٥٠ - ٢٥١.

(٢) مقدمة كتاب (في رحاب نهج البلاغة).

(٣) كتاب (العدل الإلهي)، ص ٣٥٣.

(٤) كتاب (الحق والباطل) للشهيد المطهري، ص ٨٩ - ٩١.

وللعلامة الطباطبائي نظريات في الفلسفة قد تمضي خمسون أو ستون عاماً لكي تتضح قيمتها على الصعيد العالمي. . .

ولا تنحصر شهرة العلامة في حدود إيران بل تمتد لتشمل العالم الإسلامي وحتى غير الإسلامي، فهناك مستشرقون في أوروبا وأميركا مطلعون على المعارف الإسلامية يعتبرونه مفكراً عظيماً[١].

السيد الخميني (قدس سره):

قال رحمه الله: «أستاذي العظيم آية الله العظمى الخميني - مد ظله -[٢].

«. . . بعد هجرتي إلى قم وجدت ضالتي في شخصية أخرى، وعرفت أنها القادرة على ريِّ عطش روحي.

ورغم أنه في بداية هجرتي إلى قم لم أكن قد أنهيت بعد دراسة المقدمات ولم أكن مستعداً للدخول في دراسة العلوم العقلية، ولكن كان درس الأخلاق الذي كنت أحضره عند هذه الشخصية المحبوبة يومي الخميس والجمعة، يسكرني وآنس به كثيراً، فلم يكن درساً في الأخلاق بالمفهوم الجامد الذي لا روح فيه بل كان درساً في المعارف الإلهية ومنهاجاً في السير والسلوك العرفاني، ولا أبالغ إذا قلتُ إن هذا الدرس كان يجعلني أعيش تأثيره العميق في روحي إلى يومي الاثنين والثلاثاء من الأسبوع التالي:

كان لهذا الدرس والدروس التالية التي تلقيتها من ذاك الأستاذ الإلهي طيلة اثني عشر عاماً، الأثر العظيم في صياغة شطر كبير من شخصيتي

---

(١) مقدمة كتاب أصول الفلسفة.

(٢) كتاب (الحق والباطل) ص ٨٩ - ٩١.

الفكرية والروحية وإني لأجد نفسي على الدوام مديناً له بذلك، وحقاً إنه كان صنيعة الروح القدسية الإلهية...»(١).

وصيته

مقطع من رسالة كتبها الأستاذ الشهيد المطهري لإحدى بناته:

«نورُ عيني وعزيزتي.. إبنتي المحترمة.

لقد دعوتُ وأدعو الله تعالى على الدوام بأن يمنّ عليك بالسلامة والسعادة، وأحمدُ الله تعالى على استجابته لدعواتي لك في الأسحار، إذ تفضل عليك بالسعادة وحسن التوفيق، ورزقك زوجاً صالحاً وحياةً تحظى مني بغاية الرضا.

بنيتي العزيزة، يقولون شعراً: (ترجمة الشعر الفارسي الوارد في رسالة الشيخ).

«إن العاقل اللبيب ينبغي أن يعيش في هذا العصر مرتين

واحدةٌ يكتسب فيها الخبرة، والثانية ينتفعُ بما اكتسب»

بعض الأشخاص يتمتعون بدرجةٍ عاليةٍ من الحصافة والذكاء وكأنهم قد عاشوا في هذه الدنيا من قبل، ولكن هناك طائفة أخرى من الأشخاص لا ينتفعون بتجربة ويبقون على ما هم عليه حتى لو عاشوا في هذه الدنيا مراتٍ ومرات، وأدعو الله أن تكوني وسائر ذريتي من الطائفة الأولى.

إبنتي العزيزة: يقول الله عزّ وجلّ: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ١٧] ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ١٧]. أي أن معرفة قدر النعم

---

(١) كتاب (خدمات متقابل إسلام وإيران) للعلامة المطهري، ص ٢٢٤.

الإلهية وشكرها موجب لزيادتها وحلول نعمٍ جديدة، فيما أن جحود النعم الإلهية وكفرانها موجب لزوالها وتحولها إلى عذابٍ شديد؛ ورجائي هو أن يكون جميع بناتي وأبنائي من العارفين بعظمة النعم الإلهية الشاكرين لها، ليضاعف الله لهم أمثالها يوماً بعد آخر،

لقد بدأت حياتنا المشتركة (أنا ووالدتك) من الصفر - (ويقيناً لو كنت محل والدتك لما تحملت تلك الحياة) - وتطورت حياتنا يوماً بعد آخر وسنة بعد أخرى إلى الأحسن والأفضل من جميع الجهات ولله الحمد وكل ذلك التطور هو لأننا كنا شاكرين للألطاف الإلهية على الدوام؛ ولم نكن نعمل شيئاً بالجهل، بل كنا نلتزم عرى العقل بدلاً من العواطف اوالانفعالات.

إنني أحب أن تطلعيني على ما في قلبك، كتباً أو شفاهاً، وبشأن كل ما يعتلج في ذهنك دون تخصيص، وإن شئت أن لا أطلع عليه أحداً، فإني مستجيبٌ لمشيئتك، وأنت تعلمين أن الكذب لم يجرِ أبداً لا على قلمي ولا على لساني.

مرتضى مطهري ١٣٥٦/٧/٥(هـ. ش)

مقطع من رسالة للشيخ إلى أحد أبنائه:

ولدي العزيز وقرّة عيني المكرم... جناب علي المطهري وفقه الله لما يحب ويرضى...

أسأل الله تعالى أن يتفضل عليك بكامل السلامة والتوفيق وحسن العاقبة... أحوالنا ولله الحمد بخير وغالباً ما نذكرك، أرجو لك التوفيق الكامل في امتحاناتك...

ولدي العزيز... أرجو إبلاغ سلامي إلى أصدقائك وزملائك لا سيما الذين في غرفتك، ولو جئتم معاً إلى طهران فأجلبهم معك إلى المنزل ففي ذلك سرورنا.

ولدي... توخَّ كامل الدقة والحذر في اختيار أصدقائك، فما أكثر الأفاعي بظاهرٍ حسنٍ، وعليك كذلك بإثراء معلوماتك الإسلامية والإنسانية من خلال مطالعة ما يتسنى لك من الكتب النافعة، وإن كانت هناك اجتماعات ومحافل جيدة في تبريز فاشترك فيها، وإذا احتجت إلى كتابٍ من ذاك النوع فأخبرنا لنبعثه إليك.

ولدي... لا تتهاون عن تلاوة حزب واحد من القرآن يومياً - وهو لا يستغرق أكثر من خمس دقائق، وأهدِ ثوابه إلى روح الرسول الأكرم ﷺ، فهو سببٌ للبركة في العمر والموفقية - إن شاء الله؛ وما من حاجة للتذكير بضرورة توخي كامل الحرص في أداء الفرائض الدينية.

قد يحدث أحياناً أن تواجه أسئلة من بعض الجامعيين غير المتدينين دون أن يكون لديك جواب حاضر لها، فاكتب لي عنها - لإعداد الإجابات -.

أبعث إليك مع الرسالة مبلغ (١٥٠٠) ريال.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

مرتضى المطهري

١٩/ ٢/ ١٣٥٦ هـ. ش.

وصية السيد
عبد الأعلى السبزواري رحمه الله

التعريف بالسيد السبزواري رحمه الله

اشتهر السيِّد السبزواري رحمه الله بين النَّاس بأنَّه من أهل التقوى والورع، وأصحاب السير والسلوك إلى الله تعالى، ومن العرفاء المنقطعين إلى الله تعالى، والذين لهم كشوفات عن العالم الغيبي.

وقد كان قدّس سرُّه يقول: «كانت تنكشف لي بعض الحقائق في مرحلة من عمري» إلا أنّه لم يبين ما هي تلك الحقائق.

يقول عنه العلامة السيِّد محمد حسين الطالقاني حفظه الله: «عُرف الإمام السبزواري بين صفوف أهل العلم وغيرهم من أصناف الناس بالتقوى وشدة الورع والمحافظة والاحتياط، فقد كان عابداً متهجداً مواظباً على قراءة القرآن، والأدعية المأثورة، والأذكار المتداولة التي يحيى بها الأسحار، . . وقد كان من العرفاء الشامخين والأولياء المخلصين، نهج طريق السير والسلوك إلى الله تعالى منذ يومه الأول، فقد فتح عينيه على أستاذه المربي العارف الشيخ حسن علي الأصفهاني في خراسان ولازمه

ملازمة الظل عشر سنين يتبع خطاه ويقتفي أثره، ويضع قدمه في موضع قدمه، حتى طبع بطابعه. . . ولما سافر إلى النجف الأشرف اتصل بالحكيم الإلهي الشيخ محمد حسين الكمباني الأصفهاني، والعارف الرباني السيد حسين البادكوبي فتأثر كثيراً واتبع خطاهما وتعاليمهما ويُعرب عن ذلك قوله: «إن فعل بعض مشايخنا حجة علينا ومنه نأخذ الفعل المندوب وما كان يتركه فهو محرَّم أو مكروه».

وممَّا يدلُّ على سمو مقامه الرُّوحي تلك الكرامات التي صدرت منه في حياته وبعد موته، فإنَّ «الكرامات لأصحاب المقامات» وقد اشتهر الكثير منها بين النَّاس وتناقلها الثقات من سائر الطبقات.

وقبل ذكر كرامات السيِّد رحمه الله يعجبني في هذا المجال أن أنقل عبارة له من كتاب «مُهذب الأحكام» وهي قوله:

«مقتضى العرف والعادة في جميع المذاهب والأديان والملل والنحل أن يكون لعالمهم مقام إمامهم أو نبيهم جميع ما كان للإمام والنبي من الشؤون الدينية والمناصب مطلقاً إلا ما خرج بالدليل وبحسب هذا الإرتكاز يترقب النَّاس من العلماء صدور الكرامة والمعجزة أيضاً».

في العملية الجراحية لعينيه:

حدثني العلامة الحجَّة السيِّد علي السبزواري حفظه الله أن طبيب العيون قرّر إجراء عملية لعيني السيِّد قُدِّس سرُّهُ، ولما حان وقت العملية وأراد الطبيب تزريق السيّد بإبرة البنج رفض السيد رحمه الله ذلك لأنّه يرى أنّها تسبب الإغماء الذي يترتب عليه أحكام شرعية والتي منها إبطال

الوكالات التي أعطاها السيِّد لوكلائه، فأصرَّ الطبيب على وضع البنج لأنَّ عملية العين حساسة جداً كما هو واضح، فقال السيِّد علي حفظه الله للطبيب: إجر العملية كما يقول السيِّد، وهكذا حصل وعندها بدأ السيِّد بالتسبيح وأخذ الطبيب بإجراء العملية من دون تخدير وانتهت العملية بالنجاح.

ولا شك أنَّ من يتحمل إجراء عملية جراحية من دون ألم لانشغاله بالتسبيح لله تعالى لهو من أصحاب المقامات العالية الذين يعيشون الانقطاع إلى الله تعالى، وهو بذلك يشبه جدَّه أمير المؤمنين عليه السلام الذي كان يستغرق في عبادة الله تعالى إلى درجة أنه إذا أُصيب بالسهام في جسده تركوه حتى يُصلِّي فإذا توجه إلى الله تعالى في صلاته أخرجوا السهام من جسده بدون أن يشعر بالألم.

عبادته:

لقد شهد كل من عرف السيِّد السبزواري رحمه الله بكثرة تعبُّده لله تعالى وعدم التهاون في أداء الواجبات والمستحبات والابتعاد عن المحرَّمات والمكروهات.

يقول السيِّد الستّار: «واشتهر عنه أنه كان كثير العبادة ملازماً لذكر مولاه مراقباً لنفسه، لا يفتر لسانه عن التسبيح والاستغفار وسائر الأوراد والأذكار حتى أنَّه لم يكن يترك نوافل الظهرين مع إمامته للجماعة».

وسأذكر طرفاً من عبادته مع مراعاة التفصيل والتبويب لتكون مثالاً يُحتذى لمن أراد السير والسلوك إلى الله تعالى.

الصلاة:

لقد كان السيِّد السبزواري قدِّس سرُّه عاشقاً للصلاة فهي قُرَّة عينه ومعراجه إلى الله تعالى، ولذلك فقد كان يوصي أتباعه بالصلاة في أول وقتها لما في ذلك من التوفيق والبركة. وكان لا يترك النوافل اليومية مع إمامته للجماعة وإلى مرحلة متأخرة من عمره الشريف فإذا لم يؤدها في وقتها قضاها بعد الوقت، وقد رقد مدة في المستشفى على أثر مرضه الذي أُصيب فيه بـ(جلطة) في القلب فقضى النوافل التي لم يتمكن من أدائها في أثناء دخول المستشفى[1].

وأمَّا صلاته في الليل فكان له فيها شأن آخر، لأنَّه يرى فيها محلاً لعناية الله تعالى «وكم لله من نفحة عطرة يمنُّ بها على من يشاء، وجائزة موفرة يخصُّ بها من أخلص في الدُّعاء، وكم من عبادة فيه (وقت السحر) هبت عليه نسمات القبول، ودعوة من ذي طلبة مشفوعة ببلوغ المأمول، ومشكل مسائل اتضح بمصابيح الهداية، وعريض من المطالب افتتح بمفاتيح الهداية، فهو وقت العلماء العاملين والعرفاء والمتعبدين، والسعيد من سعد بإحياء هذا الوقت الشريف واستدر به أخلاف الكرام من الجواد اللطيف»[2].

ولشدة حبه لصلاة الليل فقد أدخل في موسوعته الفقهية كيفية صلاة الليل مع أدعيتها بالتفصيل، ولما سُئل عن إدراجه لصلاة الليل في الفقه الإستدلالي وهو عمل غير متعارف عند العلماء، قال: «لعلَّ الله يوفق من يطبعها في كتاب مستقل».

---

(١) ألطاف الباري: ص ٣٦.

(٢) مهذَّب الأحكام: ج٥، ص ٩٩، نقلاً عن كتاب الجواهر.

إضافة إلى ذلك فقد كان السيِّد قدِّس سرُّه مواظباً على صلاة جعفر الطيَّار وكان يؤدِّيها عند طلب الحوائج من الله تعالى، وكم قضى الله له حوائج متعسرة ببركتها وفضلها.

وكان قدِّس سرُّه، يُصلي في مساجد النجف المهجورة حتى لا تشتكي إلى الله تعالى كما كان يتصدى إلى قبور المؤمنين المندرسة كي يتقرب إلى الله تعالى عندها ولما ورد أنَّ نبي الله موسى عليه السلام سأل ربَّه: أين أجدك؟ فقال: «تجدني عند القبور المندرسة والقلوب المنكسرة»[١].

تلاوة القرآن الكريم:

لقد كان للسيِّد السبزواري قدِّس سرُّه ارتباط مستمر مع القرآن الكريم، لأنَّه يرى فيه أنه «مأدبة الله تعالى» «وإنَّ الله عزَّ وجلَّ تجلى لخلقه في كلامه» ولذلك فإنَّه كان يعيش معه في كل أوقاته، فقد كان يختمه في كل شهر ثلاث مرات، وأمَّا في شهر رمضان فكان يختمه عشر مرَّات، وكان يُوصي بقراءته ولو بمقدار ورقة واحدة بحيث لا يعد المسلم تاركاً له.

وكان يواظب على بعض الآيات القرآنية كآية الكرسي وآخر الآيات من سورة الحشر.

الدُّعاء:

كان رحمه الله دؤوباً على قراءة الأدعية والمناجاة وخصوصاً منها أدعية الصحيفة السجاديَّة التي كانت تلازمه في جميع الأوقات، ولشدة

---

(١) قال رحمه الله في شرح الحديث المذكور أعلاه: «أي كسرها حب الله جل جلاله وجبرها تجلّي المحبوب فيها فكسرت الهيبة الإيمانية جميع الحجب الظلمانية بل الجهات الإمكانية فاتصلت إلى معدن النور ومنبع الخير والسرور فاستعدت للإشراق فأشرق عليها المعارف الحقة والعلوم الغيبية» (مواهب الرحمن: ج٥، ص ٢٦٦).

عشقه للدُّعاء فقد جمع جملة من الأدعية في محفظته يحملها معه في حلِّه وترحاله فيقرؤها حين تسنح له الفرصة حتى أنَّه رحمه الله لم يترك دعاء ورد عن الأئمَّة عليهم السلام إلا وقرأه.

وكان شديد الإلتزام بالأحراز لا سيما (الحرز اليماني) الذي أخذه بإجازة من بعض مشايخه ويقول: إنَّ فيه شروطاً معينة وترتيباً خاصاً لا بُدَّ منه من الإجازة الخاصَّة.

الذكر:

كان السيِّد السبزواري قدِّس سرُّه لهجاً بذكر الله تعالى في ليله ونهاره فلا يحرِّك لسانه إلا بذكر الله تعالى فهو يرى أنَّ الذكر «من أجل مقامات العارفين، بل هو من أعظم مظاهر حب الحبيب لمحبوبه، فإنَّ من أحبَّ شيئاً أكثر من ذكره، ومن علامات الحبيب الاستمتاع بذكر حبيبه»[١].

ولذلك فقد كان يذكر كلمة التوحيد (لا إله إلا الله) عشرة آلاف مرَّة في اليوم وذلك لما ورد في الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «خير العبادة قول لا إله إلا الله»[٢].

وكان يلهج بالذكر اليونسي وهو «لا إله إلا أنت سبحانك إنِّي كُنتُ مِنَ الظالمين» ويقول: رأينا منه العجب العجاب.

ويُعتبر الذكر اليونسي من أهم الأذكار التي أوصى بالعمل بها كبار العرفاء والتي تترك أثراً نورانياً في قلب العبد خصوصاً إذا ذكره في حال السجود.

---

(١) مواهب الرحمن: ج٥، ص ٣٠.

(٢) مواهب الرحمن: ج٢، ص ١٥٩.

وكانت أوراده الخاصَّة مما أخذه من أساتذته الكِرَام في علم العرفان كالشيخ الأصفهاني والسيِّد البادكوبي وكان ضنيناً بها لا يبوح بها حتى لخلص أصحابه فليس من المبالغة في شيء أن يقال إنَّ الإمام السبزواري من أئمَّة العرفان وأرباب السلوك الكمل الكتومين الذي لا يبوحون بكُلِّ ما يعلمون أو لعلَّ أساتذته (قُدِّست أسرارهم) لم يأذنوا له في أن يعطيها لغيره، فمن تلك الأذكار ما ذكره السيِّد قدس سره أنَّه أعطاه السيِّد البادكوبي واشترط عليه قراءته في وقت الشدة فقط وكان مجرباً، ففي إحدى الحالات طرأت على السيِّد حالة مرضية شديدة وهو في طريقه إلى إقامة الصلاة في مسجده الخاص به في محلة الحويش فلم يتمكن من المسير فتذكر (الذكر) الذي خصَّه به أستاذه السيِّد البادكوبي فقرأه فقام من وقته وواصل مسيره إلى المسجد وصلى وبعد رجوعه إلى الدَّار أحضر له الطبيب وبعد فحصه قرر الطبيب بأنَّ مرضه شديد وكانت (جلطةً) صعبةً وتعجب كيف ذهب إلى الصلاة وأداها ورجع إلى الدَّار وكان المرض مهلكاً لولا ما تداركته العناية الربانيَّة ببركة ذلك الذكر الخاص.

الرياضة النفسية:

كان قدس سرُّه يجاهد نفسه ويروِّضها في كل حالاته اقتداءً بأمير المؤمنين عليه السلام الذي قال: «وإنَّما هي نفسي أروضها بالتقوى لتأتي آمنة يوم الخوف الأكبر»(١).

ولذلك فإنَّه كان قليل النوم بحيث أنَّه لا ينام في اليوم والليلة أكثر من ثلاث ساعات، وقليل الطعام تاركاً للمكروهات وفاعلاً للمستحبات، ولا يُعطي نفسه ما تشتهي من الأُمور المادية الدينويَّة.

---

(١) السير إلى الله: ص ١٥٩.

المداومة على الطهارة:

كان قدس سره مداوماً على الوضوء والإغسال المستحبة محافظاً على الطهارة في كل الأوقات، وذلك لأنَّه كان يرى في الطهارة نوراً فقد روي عن الإمام الصادق عليه السلام: «الوضوء على الوضوء نورٌ على نور»[1].

العزلة:

كان قدِّس سرُّه يُحبُّ الاعتزال ولا يميل إلى الاختلاط بالنَّاس وخصوصاً في مرحلة الشباب وكانت له أوقات يعتزل فيها ليعتكف في بعض المساجد البعيدة عن النَّاس.

وقد جاء في مدح العزلة عن الإمام الصادق عليه السلام أنَّه قال: «صاحب العزلة متحصّن بحصن الله ومتحرّس بحراسته فيا طوبى لمن تفرَّد به سراً وعلانية، وفي العزلة صيانة الجوارح وفراغ القلب وسلامة العيش وكسر سلاح الشيطان، والمجانبة من كُلِّ سوء وراحة، وما من نبي ولا وصي إلا واختار العزلة في زمانه إمَّا في ابتدائه وإمَّا في انتهائه».

الصمت:

من المعروف أنَّه قدس سره كان كثير الصمت ولا يتحدث إلا عند الضرورة وبالمقدار اللازم، وقد انعكس ذلك على أجوبته على المسائل الشرعية بحيث كان الجواب كلمات معدودة، كما انعكس على دروسه وأبحاثه الفقهية كما هو واضح في كتابه «مهذَّب الأحكام».

(١) نهج البلاغة: الكتاب ٤٥

التفكُّر:

كان كثير التفكُّر والتأمُّل والتدبُّر في القرآن الكريم.

كتمان الأسرار:

كان السيِّد العارف قدس سره كتوماً على أسراره العبادية، بل ولا يسمح بذكر حالاته ومكاشفاته.

والمتتبع لكلمات السيِّد رحمه الله يجد أنَّه رحمه الله كثيراً ما كان يتوقف في التوسعة في المباحث العرفانية ويقول: - مثلاً -: «والبحث نفيس لو وجدت لهذا العلم الشريف حملةً».

ويقول في بحث الدُّعاء: «ولم نذكر جملة أخرى منها لا مكان كونها من الأسرار».

الإرتباط بأهل البيت عليهم السلام:

علاقة السيِّد السبزواري قدِّس سرُّه بأهل البيت عليهم السلام لا توصف، فهو عاشقٌ لهم مولعٌ بذكرهم، ويتجلى ذلك بوضوح في كتابه «مواهب الرحمن» فهو لا يذكرهم إلا مع الألقاب الرفيعة، وحالات الخشوع والأدب تفوح من كلماته وقلمه.

وكان له ارتباط خاص بسيِّد الشُّهداء عليه السلام فقد كان كثير البكاء عليه وقد خرج ماشياً على قدميه - وهو في سن العشرين - من مشهد الإمام علي الرِّضا عليه السلام إلى مرقد أمير المؤمنين عليه السلام في النجف الأشرف، كما أنَّه كثيراً ما كان يخرج ماشياً من النجف إلى كربلاء لزيارة سيِّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام .

نصائحه ووصاياه

ولاشتهار السيِّد المقدس بالعرفان والكمال فقد كان الكثير من طلابه ومريديه يطلبون منه النصائح التي توصلهم إلى الله تعالى فكان رضوان الله عليه ينصحهم نصيحة الوالد المُربِّي حتى اشتهر بكثرة نصائحه وممَّا وصل إلينا من نصائحه:

١ - الصلاة في أول الوقت لما فيها من التوفيق الكبير.

٢ - قراءة القرآن.

٣ - المداومة على النوافل ويقول: إنَّها تمنح الصبر على الطاعة وترفع الدرجة.

٤ - المداومة على نية الخير فإنَّ الله مُطلع على القلوب فإذا أظهر الله نية العبد للملأ فإنَّه يكون في أبهى صورة فلا يخجل بما نواه.

يقول السيِّد محمد تقي الحجَّار حفظه الله: سألته مرة: كيف يمكن لي الوصول؟

فقال: عليك بالتقوى، والمثابرة على الطاعة، والعمل الصالح.

وقد جاء في وصيته إلى بعض وكلائه: «والوصية بملازمة التقوى، وسلوك سبيل الاحتياط».

نصائحه إلى طلبة العلم:

قال رحمه الله: «وعلى مرشدي الأُمَّة وطلاَّب العلم لا سيما علوم الدِّين أن يزكوا أنفسهم أولاً، ويتخلقوا بمكارم الأخلاق، وأن يكونوا داعين إلى الله تعالى علماً وعملاً، بل يكونوا داعين إلى الله بعملهم أكثر من دعوتهم إليه

بعلمهم ولا يخرجوا عن زي العبودية أبداً»[(١)].

وقد قُدِّس سرُّه في بيان صفات النائب عن المعصوم في عصر الغيبة: «الرابع: - وهو الأهم - إنسلاخه عن الماديات بتمام معنى الإنسلاخ وعلو همته من كل جهة، وكثرة اهتمامه بالدِّين وأهله، وجهده في الورع والتقوى، ومتنزهاً عن الصفات الرذيلة بل المكروهة - عند النَّاس - وعدم توهم الاعتلاء في نفسه على أحد، وكثرة مواظبته على العبادة من الخلوص، كالتهجد في الليل والمداومة على النوافل - ليأخذ الله تعالى بيده كما في بعض الرِّوايات ويلهمه بما هو صلاح النوع»[(٢)].

وكان طيب الله رمسه ينصح أهل العلم بمداومة المطالعة والتفقه في الدِّين فإنَّ المطلوب منهم عند الناس هو التفقه، فلا يرجعون جهَّالاً بعد برهة من الزمن امتثالاً لقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يزال الرجل عالماً ما طلب العلم فإذا ظنَّ أنَّه قد علم فقد جهل». وأن يصرفوا هممهم في كسب المكارم والإعراض عن الدُّنيا حتى تؤثر أقوالهم وأفعالهم في القلوب ويكونوا في مأمن من المكر الإلهي في الدُّنيا والآخرة. وكان يوصيهم بالورع والتقوى ثم التفقه فإنَّه لا تُنال أحكام الله تعالى إلا بالتشبه بأخلاق الله والتخلي عمَّا يبغضه جل جلاله والتجربة أكبر شاهد على صدق ما قاله رحمه الله. وكان يأمر أهل العلم أيضاً بالمراقبة لأقوالهم وأفعالهم حتى لا يجدهم الله تعالى في غير طاعته.

جاء في موسوعته الكبرى «مهذب الأحكام» (١٦/ ٢١٢ - ٢١٣) عند قول الماتن: «إنَّ طلب الرزق ينقسم بانقسام الأحكام الخمسة - الوجوب

---

(١) مهذب الأحكام: ج٧، ص ١٤٠.

(٢) مواهب الرحمن: ج٦، ص ١٠٤.

والحرمة والإستحباب والكراهة والإباحة - وكذلك طلب العلم ينقسم حكمه إلى الأحكام الخمسة وعند المزاحمة وفقد المرجَّح من كل جهة يرجح طلب الفقه».

إذ قال السيِّد رضي الله عنه معلقاً وشارحاً: لقول أمير المؤمنين عليه السلام: «أيُّها الناس اعلموا أنَّ كمال الدين طلب العلم والعمل به، ألا وإنَّ طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، إنَّ المال مقسوم مضمون لكم قد قسمه عادل بينكم وضمنه وسيفي لكم، والعلم مخزون عند أهله وقد أمرتم بطلبه من أهله فاطلبوه». ويشهد له قول أبي جعفر عليه السلام: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يقول الله تعالى: وعزتي وجلالي وكبريائي ونوري وعظمتي وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواه على هواي إلا شتتت عليه أمره ولبست عليه دُنياه وشغلت قلبه بها ولم أعطه منها إلا ما قدرت له، وعزتي وجلالي وعظمتي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه إلا استحفظته ملائكتي وكفلت السماوات والأرضين رزقه وكنت له من وراء تجارة كل تاجر وأتته الدُّنيا وهي راغمة».

وتشهد له التجربة والتأمُّل في حالات العلماء الماضين رضوان الله تعالى عليهم أجمعين لأنَّهم كانوا في نهاية الفقر الذي قد لا يتصور فوقه فقر وقد اختاروا طلب العلم واستقاموا في ذلك فكفاهم الله شؤون دنياهم وتلك سنة الله التي قد جرت في عباده ﴿وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾ [الأحزَاب: ٦٢] ﴿وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٧] ولو أردنا أن نذكر في ذلك بعض ما شاهدناه في أنفسنا ورأيناه من مشايخنا العظام لصار ذلك كتاباً مستقلاً وفي يسير من الكثير عبرة لمن اعتبر». انتهى كلامه قُدِّس سرُّهُ.

وصايا العارف
السيد أبو الحسن مولانا رحمه الله

تعريف بالسيد:

ولد في النجف الأشرف يوم الأربعاء الموافق ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٣٤٣ للهجرة.

ونشأ وترعرع على يد والده، وأمضى الثلاث سنوات الأولى من عمره مع أسرته بجوار أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في النجف الأشرف.

ثم انتقل مع والده إلى مدينة تبريز ليواصل فيها نشأته، حتى دخل المدارس هناك ودرس فيها مختلف العلوم.

وإلى جانب إنتظامه في المدارس الأكاديمية درس العلوم الحوزوية لدى والده وأساتذة آخرين، من بينهم:

١ - الحاج الشيخ علي أكبر النحوي.

٢ - الآقا ميرزا محمد الأنصاري.

٣ - الميرزا أبو الفضل الصديقي سرابي.

وعندما بلغ سن التاسعة عشر يمم نحو مدينة قم المقدسة ليواصل الدراسة الدينية في حوزتها العلمية، وتنقل على مدى أربعة عشر عاماً بين مدارسها (دار الشفاء) و(الفيضية) و(الحجتية) وأساتذتها لينال بعد هذا المشوار مكانةً مرموقةً في الأوسط العلمية.

وممن حضر لديهم في حوزة قم العلمية:

١ - الشيخ أسد الله المدني.

٢ - الشيخ موسى الزنجاني.

٣ - السيد محمد باقر السلطاني الطباطبائي.

٤ - الشيخ إسحاق آستارابي.

٥ - الشيخ عبد الكريم الخوئيني.

٦ - السيد محمد رضا الكلبايكاني.

٧ - السيد أحمد الخوانساري.

٨ - السيد شهاب الدين المرعشي.

٩ - السيد حسين القاضي الطباطبائي التبريزي.

١٠ - السيد محمد حسين الطباطبائي (حضر لديه الفلسفة وعلم الهيئة).

١١ - السيد محمد المحقق الداماد اليزدي (حضر لديه بحوث خارج الأصول مدة سبع سنوات).

١٢ السيد حسين البروجردي (حضر لديه درس خارج الفقه).

١٣ السيد محمد حجة الكوهكمري (حضر لديه بحوث الخارج).

١٤ - السيد محمد تقي الخوانساري.

١٥ - السيد الخميني.

ثم توجه إلى النجف الأشرف بغية الإستفادة من أعلامها، وحضر لدى علميها:

١ - الشيخ حسين الحلي.

٢ - السيد أبو القاسم الخوئي.

وبلغ مقاماً رفيعاً من العلم، وحصل على ملكة الاجتهاد، وشهد له بعض الأعلام بذلك، من بينهم:

١ - الشيخ محمد صالح المازندراني.

٢ - الشيخ علي الغروي العياري.

كما حصل على إجازات الرواية من الأعلام:

١ - السيد شهاب الدين المرعشي النجفي.

٢ - الشيخ محمد صالح المازندراني.

٣ - السيد محمد الوحيدي.

٤ - الشيخ آقا بزرك الطهراني.

٥ - السيد عبد الحسين شرف الدين، وغيرهم.

وقد صرف جل عمره في التأليف، ومما جاد به يراعه:

١ - أربعون حديثاً.

٢ - إستفتاءات.

٣ - الألفاظ المشكلة في القرآن.

٤ - إنتظار الفرج.

٥ - أنيس الأبرار في وظايف الأخيار.

٦ - البيان في تفسير القرآن.

٧ - باسخ به سؤالات: أي: الإجابة على الأسئلة.

٨ - تحقيق وتعليق على كتاب أحسن الدلالات: للمرحوم العلامة الشيخ محمد صالح الحائري المازندراني قدس سره.

٩ - تعليقة على رسائل الشيخ الأعظم.

١٠ - تعليقة على وجيزة الشيخ البهائي:

١١ - توضيح الأحكام: وهي رسالته العملية لعمل المقلدين.

١٢ - ثلاث مسائل: تقرير درس أستاذه المرحوم السيد حسين البروجردي الطباطبائي (قدس سره) في الشهرة الفتوائية والإجماع وخبر الواحد. وكلها بحوث استدلالية في مسائل من أصول الفقه.

١٣ - الحاشية على توضيح المسائل: للسيد أبو القاسم الخوئي (قدس سره).

١٤ - حاشية على رسائل الشيخ الأعظم.

١٥ - حاشية على العوامل.

١٦ - حاشية على منظومة السبزواري.

١٧ - حاشية على منهاج الصالحين: للسيد أبو القاسم الخوئي (قدس سره).

١٨ - الحلية في حرمة حلق اللحية.

١٩ - داستانهاى راستين. أي القصص الصادقة، وهو في مجلدين.

٢٠ - درّ تابناك در كلمات معصومين عليهم السلام : الدر المشع في كلمات المعصومين عليهم السلام .

٢١ - درر المطالب في شرح المكاسب: أو: در المطالب كما في موسوعة مؤلفي الإمامية (ج٢، ص ١٤٤).

٢٢ - درسهايى در أخلاق: أي: الدروس في الأخلاق.

٢٣ - راهنماى دين در أصول دين: أي: طريقب الدين في أصول الدين.

٢٤ - زندگى نامه آية الله السيد محمد مولانا.

٢٥ - شرح الكلمات القصار في نهج البلاغة: وهي دروس ومحاضرات كان يلقيها على الناس في القرى والأرياف وفي مسجده.

٢٦ - فاطمة الزهراء عليها السلام سرور زنان عالمين: أي: فاطمة الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين.

٢٧ - مسألة ولاية الفقيه.

٢٨ - الملاحم والفتن.

٢٩ - المهدي (عج) ومسألة الرجعة.

٣٠ - المهدي (عج) ومسالة الغيبة.

٣١ - مهدي (عج) نجات دهنده بشر: أي: المهدي (عج) منقذ البشرية.

٣٢ - نبي الإسلام عليه السلام وكثرة زوجاته.

٣٣ - النجم الزاهر في صلاة المسافر: وهو تقرير درس أستاذه السيد محمد الحجة الكوهكمري (قدس سره).

٣٤ - هدية دوستان: أي: هدية الأصدقاء.

وكان طوال مدة عمره مشتغلاً بالتدريس والتبليغ ونشر المعارف الحقة للمعصومين عليهم السلام بِلُغة الناس، ويشهد له مسجد الأستاذ والطالب في شارع الفردوسي بتبريز، إذ كان يدرس هناك.

ولقد كان صاحب خلق رفيع وكل من يلتقي به كان يكبر فيه تلك الأخلاق وينجذب إليه، وكان حلو المعشر، وكان في أعلى درجات التواضع، كما يقول فضيلة الشيخ علي الكريمي الجهرمي.

وكان دؤوباً في إحياء ثقافة الدعاء والزيارة في أوساط عموم المؤمنين، وبالأخص دعاء التوسل وزيارة عاشوراء والزيارة الجامعة الكبيرة، وكان يواظب على قراءتها ويحث الناس على قراءتها والإلتزام بها.

وقد أتعب نفسه في تهذيبها وتربيتها ومحاسبتها، وكان يسير بها نحو السمو المعنوي والكمال الروحي، هكذا عُرف عنه وشهد له.

وكان يعتقد أن النشاط الديني لا بدّ وأن يكون من خلال المسجد، وأن المجتمع لا بدّ وأن يرتبط بالمسجد؛ لذا ركّز جُل نشاطه في أحد المساجد القديمة في مدينة تبريز، والذي كان مهملاً على مدى أربعين عاماً، فقام بإعادة تأهيله وبناءه ثم إحياء البرامج الدينية فيه.

وإلى جانب النشاط المسجدي قام بتأسيس مؤسسة باسم (النصف من شعبان) وهو يوم ميلاد منقذ البشرية الإمام المهدي المنتظر (عج) هدفها إعداد البرامج والأنشطة وإحياؤها، ومن تلك الأنشطة والبرامج:

١ إحياء ذكرى النصف من شعبان.

٢ - إحياء موسم الفاطمية.

٣ - برنامج زيارة عاشوراء.

٤ - نشر الكتب المفيدة واللازمة.

٥ - تأسيس صندوق القائم (عج) للقرض الحسن.

٦ - برنامج الغدير للمطالعة والتحقيق.

٧ - برنامج (ميثاق با ياران شهيد) وذلك لتعميق العلاقة مع سنوات الحرب المفروضة والشهادة.

٨ - تأسيس المكتبة التخصصية حول الإمام المهدي (عج).

٩ - نشر مجلة سنوية حول الإمام المهدي (عج) تحتوي على مواضيع مختارة.

١٠ - عمل مسابقات دورية، وجلسات، في القرى والأرياف، وتوزيع مطبوعات مقروءة ومسموعة ومرئية وما إلى ذلك من الحوافز.

الأقوال في حقه:

وقد ورد الإطراء عليه في لسان الأعلامك، ومن بينهم:

١ - المرحوم الشيخ آقا بزرگ الطهراني رحمه الله الذي قال عنه: «السيد السند، العالم الفاضل، الكامل الورع، المعتمد المؤتمن، مولانا السيد أبا الحسن... وقد جدّ في الطلب، واجتهد في المطلب، حتى نال بما أراد وأتى بما فوق المراد».

٢ الشيخ جعفر السبحاني، قال: «العالم الرباني، الصديق العزيز والحميم، خادم الإسلام والتشيع، حضرة آية الله الآقا الحاج السيد أبو

الحسن مولانا، ثمرة طيبة من البيت الشريف (مولانا)، له قلم وبيان بليغ في ترويج معارف الإسلام».

٣ - الشيخ جواد الغروي العلياري، الذي قال: «إذ سيرة حياة هذا العالم الكبير مصداق واقعي للحديث الشريف: «رحم الله قوماً كانوا سراجاً ومناراً، وكانوا دعاةً إلينا بأعمالهم ومجهود طاقتهم».

وصاياه

وقد ترك لنا جملة من الوصايا تحت عنوان (أنيس الأبرار في وظائف الأخيار) ونحن نذكرها على نحو الإختصار:

١ - ملازمة التقوى، والتزام الأوامر الإلهية، واجتناب نواهيه.

٢ - المواظبة على صلاة الليل.

٣ - صلة الذرية العلوية، كما أوصى العلامة الحلي رحمه الله ولده.

٤ - تعظيم واحترام الفقهاء وعلماء الدين.

٥ - الإبتعاد عن غيبة أهل الله والمؤمنين وبالأخص السادة والعلماء.

٦ - صلة الرحم، فإنها سبب للتوفيق في الأعمال وطول العمر.

٧ تلاوة القرآن مع التدبر.

٨ - زيارة أهل القبور والتفكر في الأحول بين الأمس واليوم.

٩ المواظبة على زيارة المشاهد المشرفة للأنبياء والأئمة وأولادهم عليهم السلام.

١٠ الإحسان إلى الضعفاء والمحتاجين والأيتام.

١١ - المواظبة على زيارة عاشوراء والأدعية المعروفة، بالأخص دعاء كميل، ودعاء التوسل، وزيارة الجامعة الكبيرة، وأدعية الصحيفة السجادية وبالأخص دعاء: «يا من تحل به عقد المكاره ..» وهو الدعاء السابع.

١٢ - التزام الاحتياط كي لا تقع في الشبهات.

١٣ - قراءة القرآن وإهداء ثوابه لأرواح المؤمنين.

١٤ - المواظبة على قراءة هذا الدعاء: «اللهم إني أسألك بحق فاطمة وأبيها، وبعلها وبنيها، وبالسر المستودع فيها، أن تصلي على محمد وآل محمّد وأن تفعل بي ما أنت أهله ولا تفعل بي ما أنا أهله».

١٥ - حسن الخلق.

١٦ - محاسبة النفس ليلاً ونهاراً.

١٧ - الخوف من وجع المظلومين.

١٨ - مجالسة العلماء والمؤمنين والصالحين.

١٩ - أداء الحقوق الواجبة من الخمس والزكاة.

٢٠ - الصبر عند المصائب والشدائد والتوكّل على الله.

وصايا آية الله
الشيخ الوحيد الخراساني - حفظه الله -

التعريف بالشيخ الخراساني

هو أحد مراجع التقليد، ومن المدافعين عن خط التشيع.

الوصية:

١ - الصلاة عند أول وقتها.

٢ - قراءة دعاء «العهد» بعد صلاة الصبح في كل يوم.

٣ - قراءة سورة «يس» يومياً هدية للسيدة فاطمة الزهراء عليها السلام.

٤ - قراءة سورة «التوحيد» ١١ مرة بعد صلاة الصبح و١١ مرة قبل النوم.

وصايا السيد محمد صادق الصدر (قدس سره)

التعريف بالسيد

هو أشهر من نور على علم، فهو الفقيه، الأصولي، المفسّر. وكان على درجة عالية من العرفان والسلوك العملي، وقد تحدثت معه في إحدى اللقاءات حول العرفان فكان يرى أن عرفاء هذا العصر هم: السيد الخميني، والسيد عبد الأعلى السبزواري و...

وللإطلاع على فكره في العرفان يراجع كتاب «قناديل العارفين».

وصاياه

جاء في كتاب «قناديل العارفين» وهو مراسلات بين السيد وبين الشيخ اليعقوبي:

«أودّ الإيصاء بأمرين أخيرين:

الأول: حاول أن تكون على طهارة من الحدث من كلا نوعيه الأكبر والأصغر باستمرار، وارفع الحدث بعد حصوله مباشرة. وإن أمكن وهذا

دونه في الفضل - وهو البقاء على طهارة من الخبث أي النجاسات الاعتيادية، باستمرار لو أمكن ما عدا الضرورات كالمرض، أو الضيق النفسي وعدم التحمل.

الثاني: حاول أن لا تسمع راديو ولا تنظر إلى تلفزيون صورة ولا صوتاً بقصد مجرد اللهو، فإن اللهو مع الحاجة إليه يكفي فيه الكتب والعائلة والطعام والشراب والجهاد الأصغر ونحوه، ولا ينبغي أن يشمل الراديو والتلفزيون حتى وإن كان الشيء الصادر فيها حلالاً فضلاً عما إذا كان حراماً.

ولكن ممارستها المحللة بقصد راجح لا بأس به كما لو كان بقصد الاهتمام بأمور المسلمين أو البحث عن عبرة أو موعظة مقصودة أو غير مقصودة لقائلها، او الإطلاع على قوانين خلق الله سبحانه في الأرض والسماء، ولكن ذلك مهما كان لا ينبغي أن يحول دون التزام الرد بالجهاد الأكبر على أي حال»[1].

وقال: «يحسن التزامك بأمرين أحدهما عملي، والآخر قلبي.

أما العملي: فيحسن - أولاً - إكثار البكاء إمّا خوفاً من الله سبحانه أعني أسفاً من الذنوب والعيوب وشوقاً إلى (السلامة) منها، وإمّا حزناً على مصائب الإمام الحسين عليه السلام الذي هو رحمة الله الواسعة وباب نجاة الأمة.

وأنا أعلم أن البكاء ليس مما لا يتيسر دائماً بل لعله متعذّر دائماً إلا أنه يكفي منه (قصده) أولاً وممارسته ثانياً مع الإمكان في أوقات الخلوة وصفاء القلب.

---

(١) قناديل العارفين ص ٣٥.

كما يحسن ثانياً: الإكثار من السجود الطويل نسبياً، ففي ذاكرتي من الحديث الشريف عن ربيعة بن كعب السلمي أنه قال للنبي ﷺ: أسالك مرافقتك في الجنة، فقال: (أعني على نفسك بكثرة السجود).

ويحسن أن يكون الدعاء في السجود بهذا الدعاء المأثور: (إلهي عصيتك بلساني ولو شئت وعزتك لأخرستني وعصيتك بسمعي ولو شئت وعزتك لصممتني وعصيتك ببصري ولو شئت وعزتك لكمهتني وعصيتك بيدي ولو شئت وعزتك لكنعتني وعصيتك برجلي ولو شئت وعزتك لجذمتني وعصيتك بفرجي ولو شئت وعزتك لعقمتني وعصيتك بجميع جوارحي التي أنعمت بها علي وليس هذا جزاؤك مني يا كريم) ثم تقول: العفو ألف مرة.

فهذا هو الإلتزام العملي، وأما القلبي فيتكون من أربع صفات على الأقل: التوكل والرضا والإناة (بمعنى عدم استعجال العطاء) والذكر المستمر مهما أمكن (طبعاً الذكر القلبي).

ولكن - وهذه مسؤولية لا بد من تحملها الآن - أن تعلم أن من كانت طاعاته قلبية تكون ذنوبه قلبية أيضاً، ويحاسب على الخطرات، وتكون كربته منها شديدة، حتى يأذن الله بالفرج ويجعل الله لعبده فرجاً ومخرجاً، ولعل في الطاعات العملية والقلبية المشار إليها ما يخفف من حدة ذلك أو يزيله ولو نسبياً بإذن الله تعالى[١].

وقال رحمه الله: «وبمناسبة قول الشعر (يقطع) في عقلي أن أكتب إليك قصيدة سبق لي نظمتها بتاريخ ٢٢/٢/١٤٠٣هـ في الحث على السير في

---

(١) المصدر نفسه ص ١٣٣.

السلوك الحقيقي الصالح بعنوان (نصائح) وهي لمجرد الاطلاع وليس فيها فائدة تذكر بالنسبة إليك وأمرك إلى الله رب العالمين:

دع الأماني وابدأ دربك الرحبا

فليس شخص على هذا الطريق كبا

انر قناديل هذا المجد مشرقة

فليس قنديل مجدٍ في الضياء خبا

وبادر الفرصة الكبرى منمّقة

وثب لها - حيث كانت - بمن وثبا

من قبل أن تملأ الأوحال اربعنا

مقيتة تغمر السيقان والركبا

إذا الندامة ملأ القلب في جزع

هلا ضربت الخنا يوماً بمن ضربا

هلا تناسيت حزني حين صافحني

حلو النسيم وللقبا بنا اقتربا

هلا انفتحتَ ولم أغمض لموبقة

هلا انطلقتَ ولم اقعد بمن عُصبا

حتى امتلأت من الادران تنهشني

سود الأفاعي تحشو الهم والكَربا

فاعلقت من امامي كل بارقةٍ
وقوّضت من صروحي ما نما وربا

ما هكذا السير إذ تحدو الزمام به
وإذ تأمّل في المضمار أن تثبا

لا تحتقر نظرة في الخبر سانحة
لا تخش ضيماً ولا قهراً ولا وصبا

فاصعد هديت وبادر فرصة سنحت
أو نفحة نحوها هذا الفؤاد صبا

فكل ما قل أو قد زاد من سبب
يكون للغر في عليائه سببا

وكلما كانت الجُلّى مسدّدةً
فإنها تحرز الخير الذي طلبا

لكي تنال الذي ترجو بلا تعب
وتستريح لدى العليا مع النجبا

ولا تهوّن من الآهات - يا كبدي -
فربّ دقة قلب أوجبت عطبا

وربّ رقّة عين أورثت زللاً
ورب ضحكة وجد انتجت كربا

كم للدياجي شياطين سكنّ بها
ومكرها بفحيح النار قد سُكبا

لا ينتهي مكرها إلا بمكرمةٍ
من التأني بروح الله قد نَسبا

فلاحظ الأمر واستوعب جوانبه
ألا يكون به مما حفا ونبا

ولاحظ الجوّ في وقت تريد به
نيل الأماني والامال والرتبا

فإنك - اليوم - في دنيا منمقة
تستجلب القلب والأفكار والرّغبا

فإنها تحتوي سماً لمن طلبا
ونقمة تنزل البلوى بمن رغبا

أحوالها فوق حد الفكر مفجعة
تستنزل الذل والآهات والعطبا

وليس ذا كل ما فيها فإن له

دواء سقم لذيذ الطعم منسكبا

وإنما داؤها الأدهى تقاعسها

عن الصعود إلى العلياء مجتنبا

ومنعها الفردَ إذ ما قد الـمّ بها

واعمل الفكر فيها ممعناً حَدِبا

أن يصعد المجد أو أن يرتقي درجاً

إلى العلا أو يرى النور الذي حجبا

فإنها تقطع الآمال عامدة

تثبط العز في الفرد الذي وثبا

تبدّل النور ليلاً والعلا خَمَلاّ

والصفو كدراً وأنواع المنى سَلبا

فأي عقل تمناها إذا منعت

عن الطريق سوى العقل الذي سُلبا

وأي همّة فردٍ نحوها اقتربت

إذا لهمة ذاك المجد ما اقتربا

فبدّل الحال من دنيا يلوح بها

سوء الفساد إلى الحال الذي طلبا

وبادر الشوق درباً والعلا هدفا

والنور جوا وكل المجد مضطربا

وابرأ من الدون درباً والهوى هدفاً

والمال جواً يغطي قلبك الكربا

فليس ثمة ميزان يرجّحه

إلا لمن كان خلو العقل مضطربا

إلا لمن كان في أنفاسه وهج

أو كان عند فحيح النار مقتربا

أو قاسي القلب أو في الوهم مندمج

ولستَ - يا كبدي - ممن صبا وكبا

وبدّل الجدّ مما أنت تفعله

لكي ترى الكرب والبلوى وقد ذهبا

ماذا ترى المال مما أنت تجمعه

والحلي تعمله والدر والذهبا

مــاذا تــرى الــنــفــس فــي غــلــواء شــهــوتــهــا

إن أوجــبــت لــك فــي درب الــعــلا عــطــبــا

مــاذا تــرى الــقــلــب فــي أقــصــى مــهــمــتــه

إن لــم يــسِــرْ نــحــو أنــوار الــعــلا ســربــا

مــاذا تــرى الــيــد إن لــم تــأخــذ الــثــنــا؟!

مــاذا تــرى الــعــيــن إن لــم تــنــظــر الــعــجــبــا

مــاذا تــرى الــوجــه إن لــم يــتــجــه أبــداً

فــي دربــه فــوق أفــلاك الــعــلا وثــبــا

وأقــفــل الــقــلــب عــن هــم يــعــيــش بــه

لــكــي يــكــون ســلــيــمــاً قــد حــلا وربــا

فــفــي الــســلامــة ذاك الــعــز مــنــفــتــح

وعــنــدهــا ســفــر الأنــوار قــد وجــبــا

بــادر لــهــا فــهــو درب الأنــبــيــاء ومــن

فــي روضــهــم كــان يــرجــو الــخــيــر والــنــجــبــا

هــذا هــو الــدرب لا مــا قــد نــمّــقــه

دفــاتــر الــســوء مــمــن حُــمّ أو جــربــا

درب بــه أولــيــاء الله قــد صــعــدت
أكــرم بــه هــدفــاً أكــرم بــهــا رتــبــا

وكــل مــن كــان ذا عــلــم ومــعــرفــة
قــد نــال مــنــه بــمــقــدار الــذي طــلــبــا

هــذا هــو الــدرب يُــعــلــي شــأن صــاحــبــه
فــي كــل نــور وبــاقــي الــعــالــمــيــن هــبــا

فــلا تــؤجــل وبــادر فــرصــة ســنــحــت
فــإن عــمــرك بــالآهــات قــد ذهــبــا

الــســت تــمــلــك عــقــلاً هــاديــاً أبــداً
بــفــضــلــه حــمــم الإرهــاق مــا رهــبــا

الــســت تــمــلــك قــلــبــاً خــافــقــاً ويــداً
بــدون ســكــة ذاك الــمــجــد مــا رغــبــا

فــإنــك الــكــامــل الــمــعــطــى هــدايــتــه
مــهــيّــئــاً لــيــنــال الــمــجــد مــقــتــربــا

ولــســت نــاقــص عــضــو كــي تــكــون عــلــى
وتــيــرة الــظــلــم والأحــزان مــغــتــربــا

فبادر المجد مما قد خَلقت له

وارفض سوى دربه مهما علا رُتبا

فإنه درب ربي جلّ خالقه

إذ يجعل الله في إنسانه سببا

فاحفظ - هديت - كلامي كي تطبّقه

ولا تبدل به شيئاً وإن صعبا

وكن كمن سمع الأقوال رائقة

فاختار أحسنها من نبعها شربا

وكن كمن عرف الأفعال عادلة

فراح يتقنها نوراً بها جلبا

هذي الهداية والباري مسدّدها

إلى المعالي وباقي العالمين هبا[١]

---

(١) المصدر نفسه ص ١٢٢.

وصايا الشيخ حسن زاده آملي

التعريف بالشيخ:

هو من كبار الفلاسفة والحكماء في عصرنا الحاضر، وله مؤلفات كثيرة في شتى العلوم العقلية والنقلية. منها: ١ - الإنسان الكامل. ٢ - تكلمة شرح نهج البلاغة. ٣ - عيون مسائل النفس. ٤ - رسالة في لقاء الله تعالى.

وصاياه:

يقول حفظه الله تعالى: فلنأتِ بعدَّة أمور من مواعظ الله سبحانه ومواعظ رسوله وأهل بيته ممَّا لا محيص عنها للسائر إلى الله تعالى فنقول:

القرآن الكريم صورة الإنسان الكامل الكتبية، أعني أنَّهُ صورة الحقيقة المحمدية ﷺ: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩]، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١] فبقدر ما قربت منه قربت من الإنسان الكامل، فانظر إلى حظك منه فإنّ حقائق آياته درجات ذاتك ومدارج عروجك، ومن وصية إمام الثقلين أبي

الحسنين علي عليه السلام لابنه محمد ابن الحنفية عليه السلام كما رواه صدوق الطائفة المحقة في الفقيه: «وعليك بتلاوة القرآن والعمل به، ولزوم فرائضه وشرائعه وحلاله وحرامه وأمره ونهيه، والتهجّد به وتلاوته في ليلك ونهارك، فإنَّهُ عهدٌ من الله تعالى إلى خلقه فهو واجبٌ على كل مسلم أن ينظر في كل يوم في عهده ولو خمسين آية، واعلم أنَّ درجات الجنَّة على عدد آيات القرآن فإذا كان يوم القيامة يُقال لقارىء القرآن: اقرأ وأرق، فلا يكون في الجنَّة بعد النبيِّين والصدِّيقين أرفع درجة منه»[١].

روى أنَّ مولانا الصادق عليه السلام كان يتلو القرآن في صلاته فغشيَّ عليه فلما أفاق سئل ما الذي أوجب ما إنتهت حالك إليه؟ فقال عليه السلام ما معناه: «ما زلت أكرر آيات القرآن حتى بلغت إلى حال كأنَّني سمعتها مشافهة ممَّن أنزلها على المكاشفة والعيان، فلم تقم القوَّة البشرية بمكاشفة الجلالة الإلهية».

المحافظة على الطهارة:

عن النبيِّ صلى الله عليه وآله قال: قال الله تعالى: «من أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني، ومن أحدث وتوضأ ولم يصلِّ ركعتين فقد جفاني، ومن صلَّى ركعتين ولم يدعني فقد جفاني، ومن أحدث وتوضأ وصلَّى ركعتين ودعاني فلم أجبه فيما يسأل من أمر دينه ودنياه فقد جفوته ولست برب جافٍ».

واعلم يا حبيبي أنّ الوضوء نور، والدوام على الطهارة سببٌ لارتقائك إلى عالم القدس، وهذا الدستور العظيم النفع مجرّب عند أهله جداً، فعليك بالمواظبة عليها ثمّ عليك بعلوّ الهمة وكبر النفس، فإذا صليت

---

(١) الوافي: ج١٤، ص ٦٤

الركعتين فلا تسأله تبارك وتعالى إلا ما لا يبيد ولا ينفد ولا يفنى، فلا تطلب منه إلا إياه.

فإذا صليت فقل ساجداً: «اللهُمَّ ارزقني حلاوة ذكرك ولقائك، والحضور عندك» ونحوها.

الجوع:

قال عزّ من قائل: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١] واعلم حبيبي أنَّ فضول الطعام يميت القلب بلا كلام، ويفضي إلى جموح النفس وطغيانها، والجوع من أجل خصال المؤمن، ونِعم ما قال يحيى بن معاذ: «لو تشفعت بملائكة سبع سماوات، وبمائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبيٍّ وبكلِّ كتاب وحكمة ووليٍّ على أن تصالحك النفس في ترك الدُّنيا والدخول تحت الطاعة لم تجبك، ولو تشفعت إليها بالجوع لأجابتك وانقادت لك».

عن الإمام الصادق عليه السلام: «إنَّ البطن ليطغى من أكله، أقرب ما يكون العبد من ربه عزّ وجلّ إذا خفّ بطنه، وأبغض ما يكون العبد إلى الله عزّ وجلّ إذا امتلأ بطنه».

قلة الكلام:

إيَّاك وفضول الكلام فقد روى شيخ الطائفة الناجية في أماليه بإسناده عن عبد الله بن دينار عن أبي عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فإنّ كثرة الكلام بغير ذكر الله قسوة القلب، إنَّ أبعد النّاس من الله القلب القاسي».

محاسبة النفس:

وعليك بالمحاسبة.

عن أبي الحسن الماضي صلوات الله عليه - يعني الإمام الكاظم عليه السلام - قال: «ليس منَّا من لم يحاسب نفسه في كل يوم، فإنْ عَمِل حسناً استزاد الله، وإنْ عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه».

في وصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لأبي ذرّ الغفاري رحمه الله: «يا أبا ذر لا يكون الرجل من المتقين حتى يحاسب نفسه أشدَّ من محاسبة الشريك شريكه؛ فيعلم من أين مطعمه، ومن أين مشربه، ومن أين ملبسه، أمن حلّ ذلك أم من حرام».

والمراقبة لله تعالى، وهي العمدة في الباب، وهي مفتاح كل سعادة ومجلبة كل خير وهي خروج العبد عن حوله وقوّته مراقباً لمواهب الحق ومتعرضاً لنفحات ألطافه ومعرضاً عمَّا سواه، ومستغرقاً في بحر هواه ومشتاقاً إلى لقائه، وإليه قلبه يحنُّ، ولديه روحه يئنُّ، وبه يستعين عليه، ومنه يستعين إليه، حتّى يفتح الله له باب رحمة لا ممسك لها ويغلق عليه باب عذاب لا مفتحّ له، بنور ساطعٌ من رحمة الله تعالى على النفس به يزول عنها في لحظة ما لا يزول بثلاثين سنةً بالمجاهدات والرِّياضات، يبدّل الله سيئاتهم حسنات، للذين أحسنوا الحسنى وزيادة والزِّيادة حسنات ألطاف الحق، وذلك فضل الله يؤتيه ما يشاء.

فعليك بالمراقبة، وعليك بالمراقبة، وعليك بالمراقبة.

ففي الباب التاسع والثلاثين من «إرشاد القلوب» للديلمي رضوان الله عليه: قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب: ٥٢]، وقال

النبيّ ﷺ لبعض أصحابه: «أعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فهو يراك» وهذا إشارة إلى المراقبة، لأنَّ المراقبة «علم العبد باطلاع الرب عليه في كلّ حالاته» وملاحظة الإنسان لهذا الحال هو المراقبة، وأعظم مصالح العبد استحضاره مع عدد أنفاسه أنَّ الله تعالى عليه رقيب ومنه قريب، يعلم أفعاله ويرى حركاته ويسمع أقواله ويطّلع على أسراره وأنَّهُ ينقلب في قبضته وناصيته وقلبه بيده وأنَّهُ لا طاقة له على الستر عنه ولا على الخروج من سلطانه.

قال لقمان لابنه: «يا بني إذا أردت أن تعصى الله فاطلب مكاناً لا يراك فيه» إشارة منه لأنَّك لا تجد مكاناً لا يراك فيه فلا تعصه وقال تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحَديد: ٤].

وكان بعض العلماء يرفع شاباً على تلاميذه كلهم، فلاموه في ذلك فأعطى كل واحد منهم طيراً وقال: اذبحه في مكان لا يراك فيه أحد، فجاؤوا كلهم بطيورهم وقد ذبحوها، فجاء الشاب بطيره وهو غير مذبوح، فقال له: لِمَ لَمْ تذبحه؟ فقال: لقولك لا تذبحه إلا في موضع لا يراك فيه أحد، ولا يكون مكان إلا يراني الواحد الأحد الفرد الصمد، فقال له: أحسنت ثم قال لهم: لهذا رفعته عليكم وميزته منكم.

ومن علامات المراقبة إيثار ما آثار الله، وتعظيم ما أعظم الله، وتصغير ما صغّر الله، فالرجاء يحثُّك على الطاعات والخوف يبعد عن المعاصي، والمراقبة تؤدّي إلى طريق الحياة وتحمل على ملازمة الحقائق والمحاسبة على الدقائق، وأفضل الطاعات مراقبة الحق سبحانه وتعالى على دوام الأوقات.

ومن سعادة المرء أن يلزم نفسه المحاسبة والمراقبة وسياسة نفسه

باطلاع الله ومشاهدته لها، وأنَّها لا تغيب عن نظره ولا تخرج عن عمله» انتهى كلامه قدس سره.

قلت: ومن آداب المراقب أن يراقب أعمال الأوقات من الشهور والأيام، بل الساعات، بل يواظب أن لا يهمل الأنات ويكون على الدوام متعرضاً لنفحات أُنسه ونسائم قدسه كما قال عليه السلام: «إنَّ لربكم في أيام دهركم نفحات ألا فتعرّضوا لها ولا تعرضوا عنها».

وللعلم الآية المرزا جواد آقا الملكي التبريزي قدس سره الشريف كتاب في «مراقبات أعمال السنة» وهو من أحسن ما صُنع في هذا الأمر فعليك بالكتاب.

الأدب مع الله تعالى:

الأدب مع الله تعالى في كلِّ حال، وقد كان بعض مشايخي وهو العالم المتنزّه المتأله والحكيم العارف الموحّد البارع الآية السيِّد محمد حسن القاضي الطباطبائي التبريزي الشهير بالإلهي أعلى الله تعالى مقاماته ورفع درجاته وجزاه عنّي خير جزاء المعلِّمين كثيراً ما يوصيني فيما يوصي بالمراقبة لله تعالى، والأدب معه، ومحاسبة النفس لا سيما بالأولى منها، ولا أنسى نفحات أنفاسه الشريفة وبركات فيوضاته المنيفة.

قال عيسى روح الله وكلمته عليه السلام: «لا تقولوا العلم في السماء، من يصعد فيأتي به، ولا في تخوم الأرض، من ينزل فيأتي به، العلم مجعول في قلوبكم، تأدَّبوا بين يدي الله بآداب الرُّوحانِّيين، وتخلقوا بأخلاق الصدِّيقين، يظهر في قلوبكم حتى يعطيكم ويغمركم».

قال الإمام الجواد عليه السلام كما في الباب ٤٩ من إرشاد القلوب للديلمي

في الأدب مع الله تعالى: «ما اجتمع رجلان إلا كان أفضلهما عند الله آدبهما فقيل: يابن رسول الله قد عرفنا فضله عند النَّاس فما فضله عند الله؟ فقال بقراءة القرآن كما أنزل، ويروى حديثنا كما قُلنا، ويدعو الله مغرماً».

وفي ذلك الباب: قد روي أنَّ الله تعالى يقول في بعض كتبه: «عبدي أمن الجميل أن تناجيني وتلتفت يميناً وشمالاً ويكلِّمُك عبدٌ مثلك تلتفت إليه وتدعني؟ وترى من أدبك إذا كُنتُ تحدث أخاً لك لا تلتفت إلى غيره فتعطيه من الأدب ما لم تعطني فبئس العبد عبدٌ يكون كذلك».

وفيه أيضاً: روي أنَّ النبيِّ ﷺ خرج إلى غنمٍ له وراعيها عريان يفلي ثيابه فلما رآه مقبلاً لبسها، فقال النبيِّ ﷺ: «امض فلا حاجة لنا في رعايتك، فقال: إنا أهل بيت لا نستخدم من لا يتأدَّب مع الله ولا يستحي منه في خلوته».

والأدب مع الله بالاقتداء بآدابه وآداب نبيهُ ﷺ وأهل بيته عليهم السلام وهو العمل بطاعته، والحمد لله على السرَّاء والضرَّاء والصبر على البلاء، ولهذا قال أيوب: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٣] فقد تأدَّب هنا من وجهين:

أحدهما: أنَّهُ لم يقل أنك أمسستني بالضر.

والآخر: لم يقل ارحمني بل عرض تعريضاً فقال: وأنت أرحم الراحمين وإنَّما فعل ذلك حفظاً لمرتبة الصبر.

وكذلك قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشُّعَرَاء: ٨٠] ولم يقل إذا مرضتني حفظاً للأدب.

وقال أيوب عليه السلام في موضع آخر: ﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي

مَسَّنِيَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ﴾ [ص: ٤١]، أشار بذلك إلى الشيطان لأنَّهُ كان يغري الناس فيؤذونه.

وكل ذلك تأدَّب منهم مع الله تعالى في مخاطبتهم.

قلت: وتأدب آدم وزوجه عليهما السلام بقولهما: ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣] وترك إبليس الأدب معه تعالى بقوله: ﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الأعراف: ١٦].

العزلة عن الناس:

والعزلة، قال الإمام الصادق عليه السلام: «صاحب العزلة متحصن بحصن الله تعالى ومتحرس بحراسته، فيا طوبى لمن تفرَّد به سراً وعلانية، وفي العزلة صيانة الجوارح وفراغ القلب وسلامة العيش وكسر سلاح الشيطان والمجانبة من كل سوء وراحة، وما من نبي ولا وصي إلا واختار العزلة في زمانه إمَّا في ابتدائه وإمّا في انتهائه». نقلناه من مصباح الشريعة.

وفي كشكول العلامة البهائي (ص ١٥٥ من طبع نجم الدولة) عن سفيان الثوري قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد يقول: «عزَّت السلامة حتى لقد خفي مطلبها فإن تكن في شيء فيوشك أن تكون في الخمول، فإن لم توجد في الخمول فيوشك أن تكون في التخلي وليس كالخمول، وإن لم تكن في التخلي فيوشك أن تكون في الصمت وليس كالتخلي، وإن لم توجد في الصمت فيوشك أن يكون في كلام السلف الصالح، والسعيد من وجد في نفسه خلوة».

وتأمّل في قوله تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا

سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾﴾ [مريم: ١٦-١٨]، والعزلة هي «الخروج عن مخالطة الخلق بالإنزواء والانقطاع» وأصلها عزل الحواس بالخلوة عن التصرف في المحسوسات، فإنَّ كل آفة وفتنة وبلاء ابتلى الرُّوح بها دخلت فيه بروازن الحواس فبالخلوة وعزل الحواس ينقطع مدد النفس عن الدنيا والشيطان وإعانة الهوى والشيطان.

التهجد:

والتهجّد، قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِى مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِى مُخْرَجَ صِدْقٍ وَٱجْعَل لِّى مِن لَّدُنكَ سُلْطَٰنًا نَّصِيرًا ﴿٨٠﴾﴾ [الإسراء: ٧٩-٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ﴿٧﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ﴿٨﴾﴾ [المزمل: ١-٨].

وروى الشيخ الصدوق - قدس سره - في باب معنى التوحيد والعدل من كتاب التوحيد (ص ٨٤) عن سلمان الفارسي رحمه الله تعالى أنَّهُ أتاه رجلٌ فقال: يا ابا عبد الله إنّي لا أقوى على الصلاة بالليل، فقال: لا تعصِ الله بالنَّهار.

وفيه أيضاً: جاء رجلٌ إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال: يا أمير المؤمنين إنّي قد حُرمت الصلاة بالليل، فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: «أنت رجلٌ قد قيدتك ذنوبك».

وروى الكليني - قده في باب الذنوب من كتاب الإيمان والكفر

(ج٢، ص ٢٩٠ من المُعرَّب) بإسناده عن ابن بكير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «إنَّ الرجل يذنب الذَّنب فيحرم صلاة الليل وإنَّ العمل السيء أسرع في صاحبه من السكين في اللحم».

روى الشيخ الصدوق رحمه الله في الأمالي بإسناده عن المفضل قال: سمعت مولاي الصادق عليه السلام يقول: «كان فيما ناجى الله عزوجل به موسى بن عمران أن قال له: يا ابن عمران كذب من زعم أنَّهُ يُحبني فإذا جنه الليل نام عنِّي، أليس كل محبٍّ يحبُّ خلوة حبيبه؟ ها أنا ذا يا ابن عمران مطلعٌ على أحبائي إذا جنهم الليل حوِّلت أبصارهم من قلوبهم، ومثَّلت عقوبتي بين أعينهم يخاطبوني عن المشاهدة ويكلِّموني عن الحضور، يا ابن عمران هب لي من قلبك الخشوع ومن بدنك الخضوع، ومن عينيك الدموع في ظلم الليل وادعني فإنَّك تجدني قريباً مجيباً».

التفكّر:

والتفكّر، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وروى الكليني في الكافي (ص ٤٥ من المُعرَّب) عن أبي عبد الله عليه السلام قال: «أفضل العبادة إدمان التفكر في الله وفي قدرته».

وروي عن معمَّر بن خلاّد قال: سمعت الرِّضا عليه السلام يقول: «ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم، إنَّما العبادة التفكُّر في أمر الله عزوجل ».

وروي عن ربعي قال: قال أبو عبد الله عليه السلام : «قال أمير المؤمنين عليه السلام : إنَّ التفكُّر يدعو إلى البر والعمل به».

وروى العلامة البهائي في الحديث الثاني من كتابه الأربعين بإسناده عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من عرف الله وعظمه منع فاه من الكلام، وبطنه من الطعام، وعنى نفسه بالصيام والقيام، قالوا: بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله هؤلاء أولياء الله قال: إنَّ أولياء الله سكتوا فكان سكوتهم فكراً وتكلموا فكان كلامهم ذكراً، ونظروا فكان نظرهم عبرة، ونطقوا فكان نطقهم حكمة، ومشوا فكان مشيهم بين الناس بركة، لولا الآجال التي قد كتبت عليهم لم تستقرّ أرواحهم في أجسادهم خوفاً من العذاب وشوقاً إلى الثواب».

ذكر الله تعالى:

وذكر الله تعالى في كلِّ حال قلباً ولساناً قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ فِى نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ ٱلْجَهْرِ مِنَ ٱلْقَوْلِ بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسْجُدُونَ ﴿٢٠٦﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٥-٢٠٦].

وروي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ارتعوا في رياض الجنة، فقالوا: وما رياض الجنة؟ فقال: الذكر غدواً ورواحاً فاذكروا، ومن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده فإنَّ الله تعالى ينزل العبد حيث أنزل الله العبد من نفسه، ألا إنَّ خير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها عند ربكم في درجاتكم وخير ما طلعت عليه الشمس ذكر الله سبحانه وتعالى أخبر عن نفسه فقال: «أنا جليس من ذكرني» وأي منزلة أرفع من منزلة جليس الله تعالى. (الباب الثالث عشر من إرشاد القلوب للديلمي).

وفي كتاب الدُّعاء من الكافي: فيما ناجى الله تعالى به موسى عليه السلام قال: «يا موسى لا تنسني على كل حال فإن نسياني يميت القلب»[١].

وفيه أيضاً قال الله عزّ وجلّ لعيسى عليه السلام: «يا عيسى اذكرني في نفسك أذكرك في نفسي واذكرني في ملاءك أذكرك في ملإٍ خير من ملإ الآدميين، يا عيسى ألن لي قلبك وأكثر ذكري في الخلوات، واعلم أنَّ سروري أن تبصبص إليَّ وكُن في ذلك حيّاً ولا تكن ميتاً»[٢].

وفي الباب الأول من توحيد الصدوق رحمه الله: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما قلت ولا قال القائلون قبلي مثل لا إله إلا الله».

وفيه أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «خير العبادة قول لا إله إلا الله».

وفيه أيضاً قال أبو عبد الله عليه السلام: «قول لا إله إلا الله ثمن الجنة».

وفيه أيضاً قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: يقول الله جل جلاله: «لا إله إلا الله حصني فمن دخله أمن من عذابي».

وفيه أيضاً عن زيد بن أرقم عن النبيّ صلى الله عليه وآله وسلم، وكذا بإسناده عن محمد بن حمران، عن أبي عبد الله عليه السلام: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنَّة وإخلاصه أن يحجزه لا إله إلا الله عمَّا حرم الله عزّ وجلّ».

والذكر هو «الخروج عن ذكر ما سوى الله بالنسيان عن غيره» وكلمة «لا إله إلا الله» ذك معجون مركّب من النفي والإثبات، فبالنفي تزول المواد الفاسدة التي يتولد منها مرض القلب وقيود الرُّوح، وبإثبات «إلا الله» تحصل صحة القلب وسلامته عن الرذائل من الأخلاق.

---

(١) الكافي: ج٢، ص ٣٦١

(٢) الكافي: ج٢، ص ٣٦٤.

الرياضة النفسية بالعلم والعمل:

والرِّياضة في طريقةالعلم والعمل على النهج الذي قرره الشريعة المحمدية ﷺ فحسب، فدونها لا يوجب إلا بعداً، وماذا بعد الحق إلا الضلال لما قد دريت آنفاً ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

وصاياه

إنَّ الحسن بن علي عليه السلام خطب الناس فقال: «أيُّها الناس أنا أخبركم عن أخ لي كان من أعظم الناس في عيني، وكان رأس ما عظم به في عيني صغر الدُّنيا في عينه، كان خارجاً من سلطان بطنه، فلا يشتهي ما لا يجد، ولا يكثر إذا وجد، كان خارجاً من سلطان فرجه فلا يستخف له عقله ولا رأيه، كان خارجاً من سلطان الجهالة فلا يمدُّ يده إلا على ثقة لمنفعة، كان لا يتشهى ولا يتسخّط ولا يتبرّم، كان أكثر دهره صماتاً فإذا قال بذّ القائلين، كان لا يدخل في مراء، ولا يشارك في دعوى، ولا يدلي بحجَّة حتى يرى قاضياً، وكان لا يغفل عن إخوانه ولا يخص نفسه بشيءٍ دونهم، كان ضعيفاً مستضعفاً فإذا جاء الجد كان ليثاً عادياً، كان لا يلوم أحداً فيما يقع العذر في مثله حتى يرى اعتذاراً، كان يفعل ما يقول ويفعل ما لا يقول، كان إذا بتزّه أمران لا يدري أيُّهما أفضل نظر إلى أقربهما إلى الهوى فخالفه، كان لا يشكو وجعاً إلا عند من يرجو عنده البرء، ولا يستشير (يسترشد) إلا من يرجو عنده النصيحة، كان لا يتبرّم ولا يستخّط ولا يتشكى ولا يتشهّى ولا ينتقم ولا يغفل عن العدو، فعليكم بمثل هذه الأخلاق الكريمة إن أطقتموها، فإن لم تطيقوها كلها فأخذ القليل خير من ترك الكثير، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

العبودية:

كُن عالي الهمة، على حدّ لا تعبد إلا إياه تعالى، ولا تكن في إعراضك عن متاع الدُّنيا وطيباتها معاملاً ولا في عباداتك أجيراً، وكُن كما نطق به الناطق بالصواب ميزان يوم الحساب، وفصل الخطاب أمير المؤمنين وسيِّد الوصيِّين علي عليه السلام: «ما عبدتك خوفاً من نارك، ولا طمعاً في جنتك بل وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك».

التوبة:

التوبة، وهي لا تنفك عمَّن استبصر وإلا فليس بمستبصر، ولا أنسى عذوبة كلام سيِّدنا الأستاذ محمد حسن الإلهي المقدم ذكره قدس سره، ولطافة بيانه في التوبة حيث قال: التوبة الحقيقية أن تتوب من خيرك وشرك، وبعد تأمّل قليل قلت له: أما التوبة من الشر فلا كلام فيها، وأمَّا التوبة من الخير فما مراد جنابك منها؟ فقال رضوان الله عليك: ما نحسبها خيراً من صلاتنا وصيامنا وقراءتنا القرآن ودراستنا وغيرها لو تأمّلنا فيها لرأيناها مخدجة غير كاملة ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٤] فيجب على المستبصر أن يتوب من هذه الأعمال الناقصة، وأن يقصد الإتيان بها على النحو الكامل الذي يتقبل الله ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المَائدة: ٢٧]، فما حسبناه خيراً ليس بخير حقيقة، فطوبى لمن وفق بالتوبة مما حسبه خيراً وعمل ما هو خير واقعاً.

والتوبة تذهب بدرن القلب، وتزيل رينه فإذا يستبصر التائب بدائه ودوائه ويخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه، قال الإمام الباقر عليه السلام: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له»، وإذا تخلّصت النفس من الرذائل وتنزهت من أوساخ الذُّنوب فقد قبلت توبته.

عن أنس بن مالك قال: خرج رسول الله ﷺ يوم الأحد في شهر ذي القعدة فقال: يا أيُّها الناس من كان منكم يريد التوبة؟ قلنا: كلنا يريد التوبة يا رسول الله فقال ﷺ: «اغتسلوا وتوضأوا وصلُّوا أربع ركعات واقرأوا في كل ركعة فاتحة الكتاب مرة و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] ثلاث مرات والمعوذتين مرة، ثم استغفروا سبعين مرة ثم اختموا بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم ثم قولوا: **يا عزيز يا غفار اغفر لي ذنوبي وذنوب جميع المؤمنين والمؤمنات فإنَّه لا يغفر الذُّنوب إلا أنت**».

ثم قال ﷺ: «ما من عبدٍ من أمتي فعل هذا إلا نودي من السماء: يا عبد الله استأنف العمل فإنَّك مقبول التوبة مغفور الذنب، وينادي ملكٌ من تحت العرش: أيُّها العبد بورك عليك وعلى أهلك وذريتك، وينادي منادٍ آخر: أيُّها العبد ترضي خصماؤك يوم القيامة، وينادي ملك آخر: أيُّها العبد تموت على الإيمان، ولا أسلب منك الدين، ويفسح في قبرك وينوّر فيه، وينادي منادٍ آخر: أيُّها العبد يرضى أبواك وإن كانا ساخطين وغفر لأبويك ذلك ولذريتك وأنت في سعةٍ من الرزق في الدُّنيا والآخرة، وينادي جبرائيل عليه السلام: أنا الذي آتيك مع ملك الموت عليه السلام أن يرفق بك ولا يخدشك أثر الموت إنَّما تخرج الرُّوح من جسدك سلاً (سلاما).».

قُلنا: يا رسول الله لو أنَّ عبداً يقول في غير الشهر؟

فقال ﷺ: مثل ما وصفت وإنما علمني جبرائيل عليه السلام هذه الكلمات أيام الله ربي (أيام أُسري بي)[١].

(١) لاحظ السير إلى الله: من ص ١٤٣ إلى ص ١٨١

أيضاً للشيخ حسن زاده آملي رسالة إلى صديق

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

«ولَهُ الحمدُ، والسلامُ علينا، وعلى عباده الصالحين».

مشتاقٌ يطلب برنامجاً من وقح، يحب أن يسمع كلاماً من فم من لا لسان له، يتمنى ما لديه من الأجنبي، الخوف، - إذا لم أمتثل - أن ينكسر خاطره.

برنامج عمل الإنسان وفقط، وفقط القرآن الكريم، وسنة الرسول الخاتم ﷺ، وما سواه هوى وهوس، إذا كان لدينا كلام، فهو الحقائق التي تأتي بقالب ألفاظ أخرى بمقدار فهمنا، ونظرنا.

الوقت الآن ليل يوم الخميس (٢٠/ ٤/ ١٣٤٩ هـ.ش)، أنا مشغول بتسويد أوراقي هذه، الحبر في رأس القلم يسود وجه الورق من ناحية، ومن ناحيةٍ أخرى عيوني تغسل وجهي الأسود، فماذا أكتب؟ أنا هل تقدمت خطوة حتّى آخذ بيد شخصٍ آخر.

في عصر يوم الأحد (٣١/ ٣/ ١٣٤٩هـ.ش) في قم، قلت: أخيراً، حسن! أنت لم تنشء سفراً.

أخيراً إلى حريم القلب لم تعبر.

أخيراً لم تنل من شجرتك ثمراً.

غير أن صرت في أفواه الخلقِ سمراً.

وقلت أيضاً:

أرأيت حسن لست بنفسك عارفاً.

أرأيت حسن لست نداً لهذا الطريق.

أرأيت حسن أنت لست رجل السحر.

وإلا فلماذا لست مقبولاً في البلاط.

بسم الله، هذه عدة كلماتٍ وبرنامجٍ للعمل - بحسب قولك في ليلة يوم السبت في (١٣٤٩/٣/٣٠) في قم قلت:

عند ذاك الهمّة أولاً ثم الطلب

لا بُدَّ للسالك من هذه الأربعة أصول

وإلاَّ الوصول إلى مراد القلب عجب.

وفي صباح يوم الإثنين أيضاً في (١٣٤٩/٤/١) في قم قلت:

كل من يهوى طريق الحبيب

ليدَعْ من رأسه كل ما في الرأس

وإلاَّ لو اعتكف ألف مرة

لا يستفيد فهو كافر النفس.

أخي الخطوة الأولى في السلوك، التوبة، والطهارة من المعصية، والبعد عن قول السوء، والأعمال، والأفكار الفاسدة، والأخلاق المذمومة. تدبّر جيداً في كلام الله الغفور الرحيم الذي قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البَقَرَة: ٢٢٢]، اسعَ لتكون محبوباً للخالق، واذكر قول الشيخ العارف الشبستري:

ما لم تبعد عنك موانع الشرور

لن يدخل بيت القلب نور

الموانع في هذا العالم أربعة

الطهارة منها أيضاً أربعة

الأول الطهارة من الأحداث والأنجاس

الثاني من المعصية وشر الوسواس

الثالث الطهارة من الأخلاق الذميمة

التي بها الآدمي كان بهيمة

الرابع طهارة السِّر من الغير

التي ينتهي هنا بها السير

إذا كنت سالكاً، فاعلم أن طي المراحل، وقطع المنازل ليس ميسوراً إلا بخطوات النفي والإثبات، وهذا المعنى لا يوجد إلا في الكلمة الطيِّبة «لا إله إلا الله». قال أهل الله: لا أثر لأيٍّ نوعٍ من أنواع الأذكار، والعبادات في ارتقاء الدرجات، والمقامات المعنوية كهذه الكلمة الطيِّبة، لهذا قال رسول الله ﷺ: «كُلُّ حسنةٍ يعملُها الرجُل تُوزنُ يوم القيامة، إلا شهادةً أن لا إله إلا الله، فإنَّها لا تُوضعُ في الميزانِ، لأنَّها لو وُضعت في الميزان ووضعت السماواتُ، والأرضُون السبعُ، وما فيهن، كان لا إله إلا الله أرجح من ذلك».

كنايةً عن أنَّ ثواب هذه الكلمة لا نهاية له، ولا يحصى، ولا شيءٌ يوازيه.

الآن بما أنَّك بحمد الله محشورٌ مع «لا إله إلا الله» فهنيئاً لمن حشر مع الحبيب على الدوام، أيُّها الحبيب فلتكن ذا همةً عالية وبكمال الإخلاص:

حبيبي قل حبيبي قل حبيبي حبيبي

حتى ترى كل ما كان هو هو

اسمح لي أن تسمع كلامي:

همةٌ يا روحي سير السموات

قال الله، ولا تطلب الكشف والكرامات

حاجة سالكي الطريق ليست إلا وصل الحبيب

مالك وللحاجات اطلب قبلة الحاجات

اهتم بالحضور والأدب، الهمَّة ثم الطلب

أوقف على هذه الأربعة كل الأوقات

جاء صوت نداء الملاك في الأذن الذكية

اسعَ إلى معمورة طريق الخرابات

الطاعة العادية تبعدك عن الحق

القرب موجود في مخالفة العادات

أين المصلي أين مناجي الحبيب

آه! لأنَّكَ لم تعرف سرَّ العبادات

دولة فقرك تجعل مستطيعاً أيُّها المحفظوظ

كعبة وصله اطلب والميقات

رجل الطريق واحد الظاهر والباطن

نور الحقيقة لدى تارك الظلمات

العلم حجابٌ إذا رأيته زينتك

إن قلت جواهراً أو إشارات

توجه إلى القرآن ما دام في القلب كل آية منه

تفهم معنى درك المقامات

أيُّها الكتاب المبين ويا أيُّها الإمام المبين

الآية الكبرى، خالق الآيات

من سر الإخلاص اطلب سورة الإخلاص

لكي من نفيها تجد فائدة الإثبات

مثل حسن في السحر اضرب على الراس والصدر

اشتمَّ! ليعطيك إلهك ذوق المناجاة

أخي لا تتكلم بهذا الكلام وذاك الكلام، اقطع نَفَسَكَ، شاهد، واعتبر، فكّر بنفسك.

مدَّ يد التوسّل بخاتم الأوصياء، والأولياء، إمام الزَّمان، المهدي الموعود، الحجَّة ابن الحسن العسكري عَلَيْهِ السَّلَامُ، أمامك عقبات كؤود، ومهولة، وذاك الإمام العظيم هو أمير القافلة. تورع عن الإفراط والتفريط. قل: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]، إحذر من طاعة النفس، ابتعد عن الأراذل، اعمل بمضمون الرسالة التي سبق وقدمتها لك، واهتم بما ذكرته لك شفاهاً، واعتن به، كُن حارس حرم القلب.

يا سالك الطريق كُن عارفاً بنفسك

قُطَّاع الطريق كثيرون في كل كمين

وجه القلب بذكر الحبيب إلى جهة واحدة

كي تكون من المحبين

لا تنسَ مناجاة المحبين للإمام زين العابدين وسيِّد السجادين عليه السلام: «بسم الله الرحمن الرحيم، إلهي مَنْ ذا الذِي ذَاقَ حَلاوَةَ مُحَبَّتِكَ فَرَامَ مِنْكَ بَدَلاً...».

في ٢٦/ ٤/ ١٣٤٩، بعد أن كنت حاضراً عندكم، في الطريق قلت:

غير لطفك إذا كان لدي مذهب

فالراحة كلها تعب واللذات ألم

غير ظل لطفك يجب أن لا يكون في فكري

إذا تركت - دفعةً - ما سواك فهنيئاً لي

روى ثقة الإسلام الكليني رحمه الله في «الكافي» عن أبي جعفر الإمام محمد باقر علوم النبيِّين عليه السلام.

أنَّهُ: سُئل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: أي المؤمنين أكيس؟

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أكثرهم ذِكراً للموت، وأشدّهم له استعداداً».

مدح الله تعالى نوحاً النبي عليه السلام في القرآن فقال: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبۡدٗا شَكُورٗا﴾ [الإسراء: ٣].

روى ابن بابويه رحمه الله في كتاب من لا يحضره الفقيه عن كشّاف الحقائق الإمام الناطق بالحق. جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أن حفص البختري نقل عن الإمام عليه السلام أنَّ نوحاً النبي عليه السلام كان يدعو بهذا الدُّعاء كل صباح ومساء عشر مرات، لهذا سُمي عبداً شكوراً:

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْهِدُكَ أَنَّهُ ما أَصْبَحَ وَأَمْسَى بِي مِنْ نِعْمَةٍ وَعَافِيَةٍ، في دِينَ

أَوْ دُنْيَا، فَمِنْكَ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ، لَكَ الْحَمْدُ، وَلَكَ الشُّكْرُ بِهَا عَلَيَّ حَتَّى تَرْضَى، وبَعْدَ الرِّضَا».

اسعَ لأن يقول القلب أولاً، ثم اللِّسان: أنا فداءٌ لمن كان قلبه ولسانه واحداً[1].

---

(١) كنوز العرفان: ص ٥٥.

وصية جامعة

جاء في كتاب «تزكية النفس وتهذيبها» ما يلي:

يوصي بعض أهل المعرفة بالقيام بالأمور التالية لإجتياز هذا الطريق:

أولاً: يغتسل بقصد التوبة، وحين الغسل يتذكر ذنوبه ومعاصيه ويقول لله: إلهي! قصدتك تائباً من ذنوبي مصمماً على عدم العودة إليها، وكما غُسِّل بدني بالماء فطهر قلبي ونفسي من الأخلاق السيئة أيضاً.

ثانياً: يسعى لرؤية نفسه في محضر الله وأن يذكر الله في كل حال فلا يغفل عنه أبداً.

ثالثاً: يمكنه أن يجهز نفسه لتلقي الإفاضات الإلهية من خلال تهذيب النفس وتصفية الباطن، فينتخب ساعة في الليل والنهار للتوجه والتفكر في نفسه. يبحث في أمور نفسه ويحاسبها ويدقق في صفاتها وأحوالها لعله يكون مورد غاية الله المتعال فيفيض عليه تمثلات وإفاضات لا تكون من سنخ الأمور المتعارفة.

رابعاً: يراعي السكوت ولا يتحدث إلا بمقدار الضرورة ويتجنب فضولات الكلام.

خامساً: يتجنب الإمتلاء والتخمة في تناول الطعام.

سادساً: يبقى دائم الوضوء، فيتوضأ كلما بطُل وضوؤه.

قال النبي ﷺ: «يقول الله تعالى: من أحدث ولم يتوضأ فقد جفاني ومن أحدث وتوضأ وصلى ركعتين ودعاني ولم أجبه فيما سألني من أمر دينه ودنياه فقد جفوته ولست برب جافٍ»[١].

أن يكون على وضوء عند النوم قال رسول الله ﷺ: «من بات على طهر فكأنما أحيا الليل»[٢].

سابعاً: أن يستيقظ وقت السحر فيتوضأ ويتخذ خلوة ويصلي صلاة الليل مع حضور القلب ويطيل قنوت الوتر، فيدعو لنفسه وللمؤمنين ويطلب لهم المغفرة ويكرر: «أستغفر الله ربي وأتوب إليه» سبعين مرة، ويسعى لآداء صلاة الليل بتوجه وحضور قلب كامل، ثم يقرأ آية السخرة سبعين مرة مع حضور القلب وهي مفيدة ومجربة لتحصيل اليقين ونفي الشك ونفي الخواطر. وآية السخرة هي:

﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف: ٥٤-٥٦].

ثامناً: أن يجعل ذكر «يا حي يا قيوم، يا من لا إله إلا أنت» ورداً يكرره على لسانه فيقرأه عند الفراغ مع حضور القلب.

---

(١) وسائل الشيعة: ج١، ص ٢٦٨

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.

تاسعاً: أن يسجد سجدة طويلة في الليل والنهار وأن يكرر خلالها ذكر: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ما أمكنه ذلك.

عاشراً: أن يحدد ساعة في الليل والنهار ويكرر ذكر: «يا غني يا مغني» كثيراً، مع التوجه وحضور القلب.

أحد عشر: يقرأ مقداراً من القرآن كل يوم مع حضور القلب، ويتفكر ويتدبر في معاني الآيات.

إذا لم تكن لديه همة وقدرة أداء كل هذه الأمور دفعة واحدة في البداية، فليبدأ بشيء منها ثم يضيفها تدريجياً.

لا بد من القيام بهذه الأمور المذكورة أربعين يوماً متوالياً، وأن يكرر طلب الشهود والمعرفة من الله تعالى، ويمكن أن لا يفتح له باب الغيب في هذه المدة لعدم توجه الله إليه، عليه أن ييأس بل يبدأ بأربعين يوماً ثانية مع تصميم أكبر وجد أكثر. إذا لم يوفق أيضاً يكرر ذلك أربعين ثالثة ورابعة و... ويستمر في ذلك ولو اقتضى الأمر منه سنوات حتى تشمله الألطاف الإلهية. عليه أن لا يتوانى أبداً عن العمل والجد والجهد فيطلب المدد من الله، وقد قيل: مَن جد وجد. يجب علينا تأدية المطلوب منا والباقي في عهد الحكيم الرؤوف، إذا أراد أعطى وإن لم يُرد لم يعطِ.

وصايا الشيخ حبيب الكاظمي (حفظه الله)

في الوصايا الأربعين:

قال الشيخ حفظه الله: رغبة منا في أن نلتحق بركب الصالحين فيما كتبوا - وإن لم نكن منهم - فإنني قد لّخصت ما استفدته من القرآن الكريم، ومن مدرسة أهل البيت عليهم السلام من خلال مراجعة أحاديثهم الشريفة، ومن خلال ما استفدته من كلمات الأعاظم، ومن تجارب الحياة المختلفة، في ضمن أربعين وصية مركّزة، وذلك لكثرة ما رأيت من السلبيات في الذين يرومون شيئاً من مدارج العلماء فتراهم تارة:

- يعيشون حالة من الوهم، فيصورون لأنفسهم واقعاً من نسج خيالهم، لغلبة هوىً أو غضب.

- يعيشون حالة الباطنية، وتصوير الشريعة في ضمن أسرار ورموز لم نعهدها في سيرة المعصومين عليهم السلام.

- يعيشون حالة من التقوقع وعزلة الرهبانية، فيتركون بذلك ما كلفهم المولى تعالى من التكاليف الاجتماعية، وبذلك يفرقون بين أجزاء الشريعة، فيأخذون منها ما يلائم مزاجهم.

يعيشون حالة من الرغبة في المحورية والقطبية، وجمع المريدين،

وبالتالي يتحول أحدهم إلى إِله يُعبد من دون الله تعالى: وهل العبودية إِلا الطاعة من دون دليل؟

وبملاحظة مجموع ما ذكر، فقد لخصّنا الرؤية الأخلاقية - بشكل جامع ومتوازن - في ضمن نقاطٍ مركزة، ليسهل قراءتها ومراجعتها بين فترة وأخرى، وهي في ضمن أربعين وصية:

١ - إِخلاص النية

إن إِخلاص النية في كل قول وفعل، أساس لمرضاة الرب المتعال.. وينبغي البحث عن كل دواعي الشرك الخفي في العبادة.. فمن تلك الدواعي الخفية:

- تحقيق الذات.
- الإِحساس باللذة، بما لا يستند إِلى رضى المولى.
- التخلص من المشاكل الخاصة في الحياة، لا رغبة للتفرغ للعبودية بل لمجرد الدعة والراحة.

ومن المعلوم أن التخلص من الشوائب بجميع أقسامها، يحتاج إلى بصيرة بالنفس أولاً، وبتلك الشوائب ثانياً.. وذلك مما لا يُوفّق له إِلا الذين دخلوا تحت دائرة الرعاية الإِلهية المباشرة.

٢ - وضوح الخطة والجادة

إن وضوح الخطة والجادة أمر لازم للسائرين، فما لم تكن الخطة واضحة في مقدماتها ونهاياتها، وما لم يعلم السائر بالعوائق والموانع، فإِن كل شبهة في الطريق تجعله يتقهقر إلى الوراء، حيث إنتقام الشياطين التي غاظتها حركة السائر إلى الله فتصادر المكتسبات الماضية، مع عدم السماح

لمحاولة جديدة، فيلزم على السائر إلى الحق المتعال، أن يتمثل في نفسه عميلة السير التكاملي في الأنفس، كما يتصور عملية السير المكاني في الآفاق، إذ أن هناك:

- زاد لا بد أن يتزود به قبل السفر.
- منازل لا بد أن يتعرف عليها في سفره.
- رفقة طريق لا بد أن يختارهم أولاً، ثم يتعرّف عليهم ثانياً.
- عقبات وموانع تعترضه، إضافة إلى الأعداء الذين يتربصون به الدوائر.

٣ - لزوم التحلي بالصبر

إن الاعتقاد بلزوم التحلي بالصبر في الوصول لبعض مدارج الكمال، تدفع عن صاحبها حالة اليأس. . فالعجول في قطف الثمار، ليست لديه القدرة على مواصلة الطريق ذات الشوكة، ومن هنا كان الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد.

٤ - التدبير والتقدير

إنِ معنى (الحوقلة) هو التبرّي من كل حول وقوة، وهذا لا ينافي السعي البشري في تحقيق النتائج. . فعلى العبد التدبير، ومن الحق المتعال التقدير، فالإمداد الغيبي خير رفيق في الطريق، ولطالما أخذ بيد السائرين، وخاصة الصادقين الذين لم يدخلوا الطريق استمزاجاً واختباراً، ولكنه مع ذلك ينبغي عدم الركون للمدد الغيبي، فذلك من شؤون الحق ولا يُعلم وقتُه وسببه بشكلٍ قاطع، فعلى الزارع أن يعتمد على ما يستخرجه من الماء، لا على ما ينزل من الغيث.

٥ - الشمولية والموازنة

ينبغي مراعاة الشمولية والموازنة في العمل بكل حذافير الشريعة، فللإسلام أحكامه الاجتماعية والفردية، والبدنية والمالية، والعلمية والعملية.. فلا ينبغي التحيّز إلى جهة على حساب جهة أخرى، وإلا كان صاحبها ممن يؤمن ببعض ويكفر ببعض، فينمو عنده جانب بشكل غير متوازن، فيقع في دائرة الإفراط والتفريط، كما وقع لكثيرٍ من السائرين في درب الهدى.

٦ - الكذب في التقرب

إن ارتكاب الحرام المتعمد - ولو في ادنى درجاته - يعكس حالة عدم الصدق في التقرب إلى الحق المتعال.. فكيف يمكن التقرب لمن نثير سخطه بشكل متعمد؟!.. وخاصة مع النظر إلى مبدأ: لا تنظر إلى ما عصيت وانظر إلى من عصيت، وقد أمرنا أن لا نحتقر عبداً فلعلّه هو الولي، ولا نحتقر طاعةً فلعلها هي المنجية، ولا نحتقر معصيةً فلعلها هي المُهلكة.

٧ - الأنس بالقرآن

الأنس بالقرآن الكريم: قراءة وتدبراً وتطبيقاً، من سمات الصالحين.. وكيف يمكن قطع الصلة بكلام رب العالمين وفيه تبيان لكل شيء وشفاء لما في الصدور؟!.. إن الالتزام بالتلاوة الواعية يوجب انفتاح أبواب المعرفة القرآنية الخاصة، وإن لم يكن صاحبها متوغلاً في علوم القرآن، فللقرآن إشاراته ولطائفه ورموزه، وكل ذلك يحتاج إلى شرح الصدر.. ومن عوامله ما ذكرناه من التلاوة الواعية.

٨ - عدم الإِحساس بالتميز

إِن النجاح في بعض المراحل يهب صاحبها شعوراً بالتميز والتفوق على الآخرين، وخاصة إذا كان يعيش مع من هو دونه في هذا المجال.. وهنا فلنعلم إِن الأمور إِنما هي بخواتيمها، وأنّى لنا إِحراز العاقبة الحميدة؟! أضف إلى جهلنا بواقع الآخرين، فَلِم الإِحساس بالتفوق؟!.. إِن هذا الإِحساس كفيلٌ في بعض الحالات بسلب الهبات المدخرة للعبد، إِضافة إلى سلب هباته الفعلية، وهذا معنى الإِنسلاخ من الآيات، الذي وقع فيه أمثال بَلعَم.

٩ - الكدح والمجاهدة

إِن السير في الطريق من دون كدح ومجاهدة، ضرب من ضروب الخيال.. فالذي يريد الدعة والراحة، وموافقة جميع ما يجري لمزاجه وهواه، عليه أن يعلم إِن الكدح والمجاهدة هي سُنّة الله تعالى في خلقه، ولن تجد لسُنّة الله تبديلاً، ولو كان الإِعفاء من ذلك لطفاً، لكان الأنبياء عليهم السلام أولى بهذا اللطف.

١٠ - البنية العلمية

البنية العلمية القوية، وخاصة في مجال: العقائد، والفقه، والقرآن، والحديث، والسيرة، نِعْم المعين لمعرفة ما أرداه المولى من عبده.. أضف إلى أنها حماية لعدم الوقوع في الهفوات المعهودة في مجال المعرفة النظرية.

١١ - المزاجية في التعامل

ينبغي الاحتراز عن المزاجية في التعامل من النفس ومع الغير.. فلا

يصح الترجيح بين أفراد الواجب، أو أفراد المستحب، أو بين أنواع المستحب، على أساس موافقة المزاج الذي قد يُخلقه المرء - من تلقاء نفسه - في نفسه، فالله تعالى يريد أن يطاع من حيث يريد هو، لا من حيث يريد العبد، فإن الهوى إذا كان دافعاً وسائقاً للعبد، إنقلب إلى إله معبود من دون الله عزّوجلّ ، وإن كان ما أمر به الهوى حسناً، ومثاله الذين يحترفون خدمة الخلق بدوافع ذاتية، فإنه لا يعيشون أدنى درجات القرب الشعوري من الحق المتعال.

١٢ - لزوم المشورة

المستبد برأيه سواء في الموضوعات الحياتية أو السلوكية، أقرب إلى الخطا والزلل من غيره.. فمع إحراز من يوثق برأيه وأمانته، فإن المشورة الواعية مع التعقل، ضمان لتقليل نسبة الخطأ في السير، وخاصة مع استلهام الحق في المشورة.. ومشاورة ذوي العقول في هذا المجال إنما هي مشاركة لهم في عقولهم.

١٣ - حالات التذبذب

إن حالات التذبذب بحسب الزمان والمكان والبيئة، أمر معهود ومتعارف في حياة العباد.. والمهم في الأمر أن لا ينزل العبد إلى ما دون المستوى المتعارف، حيث حالة الإعراض عن الذكر، بل النفور منه.. فإن هذه الحالة، علامة الخطر الأكيد، فالقرآن الكريم يشير إلى حالة المعية بقوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] التي إذا تحققت في نفس العبد لم يعش حالة التذبذب في الخلوة والجلوة.. فعين الرقيب الذي لا تأخذه سنة ولا نوم لا تدع مجالاً لإهمال تلك الرقابة.. ومن هنا نرى العبد

المُراقب لا يتغير سلوكه في مواطن الطاعة أو مواسمها بشكلٍ مُلفت، وذلك لوحدة المُلتَفت إِليه، وإِن اختلف الزمان والمكان.

١٤ - دور الصلاة

إِن الصلاة لها دورها الأساس في عملية إِعادة التوازن للعبد، من موعد فريض إلى موعد فريضة أخرى، إِذ أن العبد بين الفترتين عُرضة لكثير من الغفلات والخطايا، التي لو تراكمت لأطفأت ذلك النور الذي يتلمس به الطريق، ومن لا يتقن الحديث مع الرب الودود، بعيدٌ كل البعد عن المراحل الخاصة بالتكامل، ولو كان للحق التفاتة إلى العبد، لتحققت، الإلتفاتة من جانب العبد إلى الرب، فهو - على رحمته - لا يعبأ بغير الداعي.. وما حال عبدٍ لا يعبأ به سيده؟!.

١٥ - المراقبة الشديدة

المراقبة الشديدة في القول والفعل ضمان أكيد لضبط السلوك في المجالين.. ومَنْ لا مراقبة له، لا يُؤمن منه صدور الأخطاء الفادحة التي قد تستنزل غضب الرب بما قد يكون طارداً له عن أصل الطريق، ولا نعني بالمراقبة: المراقبة المتقطعة وبشكلٍ عابر، وإِنما المراقبة الدقيقة الدائمة، فإِنّ العدو المتربص لا يحتاج إلى غفلة مطبقة في كل الأوقات، بل يكفيه الغفلة في برهة من الزمان، ليقضي على ما أقامه من حواجز في ساعة يقظته.

١٦ - الشكورية مع الحق والخلق

العبد الملتفت إلى نفسه شكورٌ في التعامل مع الخلق والخالق، تخلّقا بأخلاق الرب المتعال، ويتجلى ذلك من خلال تقدير أي إحسان من أي

أحد وفي أي مجال.. ولهذا لا يمكنه التفريط بحقوق الأرحام (وخاصة الوالدين)، وذوي الحقوق من المؤمنين، إن التفريط بالحقوق، يعكس حالة الكفران الممقوت عند الربّ المتعال.. والكفور مع الخلق لا يُؤمن منه أن يكون كفوراً مع الحقّ المتعال.

١٧ - الإستغفار الدائم

الإستغفار وِرْدٌ دائم للمؤمن، لأنه قاطع بأنه لا يؤدي حق المولى كما يريده في كل لحظة من لحظات حياته، فينقلب لحظات الحياة عنده إلى لحظات متكررة من التقصير مع الحق أو الخلق أو كليهما، فلزم الإستغفار المتواصل بحالة من الجدية لا يراد منها إسقاط التكليف فحسب.

١٨ - التثاقل من الخلق

إن الأنس بالحق - وخاصة في حالاته الشديدة، يهيئ العبد لحالة من التثاقل من الخلق، بداهة أن الألذ يُشغل عن اللذيذ، فكيف إذا فقد اللذيذ لذّته، ولكن ذلك لا يعني حالة النفور والتعالي الذي يفوّت عليه واجباته الاجتماعية، إضافة إلى سلبية حالة النفور من المؤمنين نفسها.

١٩ - الانشغال بالغافلين

الإنخراط في صفوف الغافلين والاشتغال بأباطيلهم، علامة واضحة لعدم الاستقامة والثبات، فاستحضار المعية الإلهية في الجمع والخلوة، أمر لابد منه لينتظم العبد في سيره مع كل التقلبات، ومن المعلوم أنّ معاشرة الغافلين توجب تعدية رذائلهم الخلقية بشكلٍ تدريجي ومن دون إلتفات.. أضف إلى أن مجالس الغفلة من مظان إعراض الحق، وماذا بعد إعراض الحق إلا القسوة والضلال؟!.

٢٠ - الابتلاء من السنن

إن من سنن الله تعالى في عباده، هو ابتلاؤهم في الأبدان والأموال والأنفس.. فمن ليست له القدرة على تحمل الصعاب برضىً وتسليم، فإنه سيعيش - شاء أم أبى - حالة من السخط من قضاء الله وقدره، وهو كاف لشقاء العبد.

٢١ - لحظات الخلوة

لابد وأن يكون للعبد لحظات من الخلوة يختلي فيها مع نفسه، بعيداً عن زحمة الحياة والأحياء.. وجوف الليل من أفضل الساعات التي يمكن أن يحقق فيها هذه الخلوة، ليستعيد كتابة جدول حياته اليومي والفصلي والسنوي.

٢٢ - الرفق بالنفس

إن هذا الدين متين فاوغل فيه برفق.. فإن القسوة في التعامل مع النفس والبدن وإجبارهما على بعض الطاعات من دون رغبة - ولو متكلفة - قد يحدث ردة فعل في النفس.

٢٣ - تأثير الأذكار

إن الإلتزام بذكر معين - إنِ كان مأثوراً مما يعمّق من آثاره، ويوضح من مفاهيمه، ويعلّم صاحبها حالة ضبط النفس بشكل منتظم على العمل الذي اقتنع به، مما يهيئ العبد لضبط النفس الدائم فيما هو أهم.

٢٤ - أرزاق زمان الغيبة

إِن الأرزاق المادية والمعنوية في عصر الغيبة يجريها الرازق على يدي وليه المنتظر (عج)، كما هو مقتضى النصوص المختلفة.. وعليه فإِن الارتباط العاطفي والعقائدي الوثيق به (صلوات الله تعالى عليه) من موجبات مضاعفة تلك الأرزاق، إِذ أننا نعتقد أن رعايته عليه السلام للأمة كرعاية الشمس من وراء السحاب، ولا يُعقل أن يُهمل ولي الأمر النفوس المستعدة التي تطلب الكمال بلسان حالها أو مقالها، وإِن عناياته عليه السلام في زمان الغيبة من الأمور المتواترة والمسلمة لمن يتأمل ذلك.

٢٥ - التأثر الشعوري

إِن التأثر الشعوري بمصائب أهل البيت عليهم السلام، في مختلف المناسبات، من مصاديق التولي، وإِحياء الأمر، ومودة ذوي القربى.. وهذه العناوين لها دورها الحاسم في التسديد والمباركة، وخاصة مع الإِلتزام بحالة التأسي التي يفترضه الولاء والمحبة الصادقة.

٢٦ - المحطات العبادية

يحتاح العبد إلى محطات عبادية متميزة في كل عام متمثلة: بالحج، والعمرة، أو زيادة إِحدى المشاهد المشرفة، إذ فيها خروج عن المألوف من الحياة المادية، إضافة إلى التعرض للنفحات المركزة في تلك المشاهد، ولكن يشترط القيام بهذه العبادة بشرطه وشروطها كأية عبادة أخرى، فالتقصير في المعرفة النظرية، أضف إلى الغفلة العملية في تلك المشاهد مما يوجب الحرمان من الفيوضات المتاحة لمستنزلي الفيض.

٢٧ - كتمان الحالات

كتمان الحالات الروحية المتميزة عن عامة الخلق، من دواعي إبقاء تلك الحالات، إضافة إلى تجنيب صاحبها من آفة الرياء المقترن بالعمل، أو العجب اللاحق للعمل وكلاهما من مُحبطات الأجر.

٢٨ - سير الصالحين

مراجعة سِيَر الصالحين - وخاصة المتأخرين منهم - في العصور القريبة، يمنح العبد الأمل المشرق، وخاصة مع بداية حالات اليأس.. لأن هؤلاء الصالحين شقّوا دروبهم في ظروف مشابهة من حيث المقتضيات والموانع، ولا شك أنّهم حججٌ على باقي العباد يوم القيامة لئلا تبقى حجة للمتذرعين: بجبر البيئة، ومقتضى الزمان، وغلبة الأقران.

٢٩ - موجبات الالتهاء

تكثّر موجبات الالتهاء في الحياة اليومية سواء في مجال: المسكن والملبس والمأكل، يكثّف الحجب على النفس، ويدفع العبد إلى حالة من اللاتركيز في وقت يكون أحوج ما يكون فيه إلى التركيز في تقربه إلى المولى المتعال..

إن الروايات المختلفة تؤكد على أنّ العبد في هذه الحياة بمثابة ضيف حلّ بدارٍ وهو يعلم بالرحيل عنها بعد حين، فهل رأينا عاقلاً ينشغل بعمارة وتزيين دارٍ نزل فيها مسافراً، مع علمه بأنه من الممكن أن يرحل عنها في كل آن، من دون سابق إنذار؟!..

٣٠ - الإكثار من القول

الإكثار من القول يعرّض صاحبه للإكثار من الخطأ، وهو بدوره من موجبات قسوة القلب وموته أخيراً فالصمت عما لا يعني العبد هي الحالة الطبيعية، بينما الكلام يحتاج إلى دليل ومجوز.. وكثرة موارد المؤاخذة على الكلام يوم القيامة، لا تقاس بموارد المؤاخذة على الصمت..

٣١ - تأثير الطعام

إِن الطعام وإِن كان قوتاً للبدن، إلا إِنه دخيل في الحالة النفسية، فالتحرز من الشبهات والحرام، له دوره في: رقة القلب، وشفافية الروح، وغزارة الدمعة، وكلها تصب في سرعة التكامل نحو الحق المتعال، وقد علّلت الروايات بعض صور الحرام بامتلاء البطن من الحرام، أضف إلى أن الطعام خُلق ليكون زاداً وقوتاً لإِدامة العيش، وبشكلٍ عام فإِنّ المؤمن يتزود من الدنيا دائماً وغيره يتمتّع منها.

٣٢ - الثمار المعجلة

قد يصادف العبد في سيره إلى الحق المتعال، بعض البركات الظاهرية المتصلة بعالم الغيب، وقد تكون هذه - إِذ لم تكن وهماً - بعض الثمار المعجلة تشجيعاً لصاحبه على السير..

إِلا أن العبد الملتفت، عليه أن ينشغل بها لأنها ليست من العبودية في شيء، فهمّ العبد أن يصلح ما بينه وبين ربه، ولا يهمه ما العطاء بعد ذلك؟!..

إذ التدخل في شؤون الربّ الحكيم، نوع سوء أدبٍ قد لا يغفر لصاحبه، وخاصة إذا كان في المراحل العليا من التكامل.

٣٣ - خبرة الشيطان

إن الشيطان أخبر الخبراء في إغواء العباد، وهو العالم بنقاط ضعف كل عبد تفصيلاً، لأنه واكب حياة العبد من أولها إلى آخرها..

وعليه فعلى العبد أن يكتشف نقاط ضعفه بنفسه، سواء في مجال الشهوة والغضب أو غيره، ليقطع الطريق على العدو الذي أقسّم بعزّة الحق على إغواء الجميع إلاّ المخلَصين منهم، وأين هم؟!.

٣٤ - النوافل والجماعة

إن النوافل اليومية - وخاصة صلاة الليل - وكذلك صلاة الجماعة، من المستحبات التي قلما ورد التأكيد في مستحب مثلهما.. ومن هنا لزم الالتزام قدر الإمكان بهذين الندبين، إذ أنهما من موجبات النظرة الإلهية الخاصة بالعبد، ولطالما يحتاج العبد إلى هذه النفحات التي توجب له الطفرة في السيرة.

٣٥ - طول الأمل

طول الأمل من روافد الخسارة الكبرى، فإن المتبقي من العمر وإن بدا للوهلة الأولى طويلاً، إلا أن كرّ الليل والنهار، يطوي صفحة الحياة بسرعة، وخاصة أن فرص التعالي الروحي، تزامن فترة النشاط البدني، وهي المرحلة المتوسطة من العمر..

نعم في المرحلة المتقدمة من الحياة تتم عملية التنضيج والتثبيت لما

قد بُني أساسه في المرحلة السابقة.. ولهذا قلّما وجدنا حالات الطفرة والإِنابة واليقظة في المراحل المتقدمة من العمر، بل الشيطان يمسح على وجهه - بعد تكاثر الذنوب - قائلاً: «هذا وجهٌ لا يُفلح أبداً».

٣٦ - التكامل للجميع

إِن من الخطأ الفادح أن نحصر السعي المركز لحيازة رتب العبودية العالية بفئة من الناس.. فإِن الحق المتعال وعد بعدم تضييع عمل عامل من ذكر أو أنثى، فالمهم أن يكون العبد عاملاً لا خاملاً، والشريعة إِنما جاءت لتكامل الجميع، فالتلقين النفسي أنّ العبد دون مستوى حتى التفكير بهذه الأمور، من السبل الشيطانية لتثبيط العبد.. والتاريخ يعرض لنا صوراً بليغة من التكامل سواءً في مجال: النساء أو الرجال، الأحرار أو العبيد.

٣٧ - توزيع الاهتمام

إِن التفكير في المشاكل اليومية يوزّع اهتمام العبد كثيراً، والحل الأمثل في مثل هذه الحالات هو تفويض الأمر إلى الخبير القدير، مع عدم الإِتيان بما ينافي رضاه في المجال الذي فوض الأمر إِليه، فهو الذي يرزق بغير حساب، وهو الذي يجعل للعبد المخرج بما لا يخطر على البال، فالإِضطراب النفسي تجاه أمور الدنيا والمعاش لا يدع مجالاً للتركيز الشعوري والذهني لما يعود إلى المبدأ والمعاد، وخاصة بعض المشاكل التي تشكّل عنصر توترٍ دائم في الحياة: كالمشاكل الزوجية والعائلية.

٣٨ - مرور الفرص

إِن الفرص تمر كما تمر السحاب، فقد تمر على العبد فترة تفتح فيها

شهيته لبعض الموائد الربانية، ولكن عدم التزود وعدم الإقبال على الرزق المعنوي، يزيل الشهية أولاً، ثم يوجب رفع المائدة ثانياً إلى غير رجعة.

٣٩ - قضاء الحوائج

إن من موجبات منّة الحق على عبده، هو الاهتمام بحوائج العباد الذين هو عيال الله تعالى، وإدخال السرور عليهم: سواء فيما يتعلق بالمادة أو المعنى.. ومن المعلوم الأثر الأعظم لإدخال السرور على الملك الحق المبين.

٤٠ - هداية الآخرين

لا ينبغي الإنشغال بالنفس عن الغير، وكذلك العكس.. فالكثيرون لا يعرفون أوليات الشريعة في حلالها وحرامها، فشكر نعمة الهداية يقتضي الأخذ بيد من يمكن هدايته وعلى الخصوص الأقربين، فمن أفضل سبل التقرب إلى الحقّ المتعال وهو تحبيب العباد إليه بذكر آلائه ونعمه.

اللهم اهدنا فيمن هديت.. وخذ بأيدينا إليك، إذ لا هادي لمن أضللت ولا معز لمن أذللت..

اللهم اجعلنا في درعك الحصينة التي تجعل فيها من تريد..

اللهم تقبل منا أنك أنت السميع العليم.. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

حبيب الكاظمي

١٨ ذو القعدة ١٤٢٢

الفهرس

الموضوع | الصفحة

صدر للمؤلف

١ - زيارة الإمام الحسين عليه السلام في رحاب الإمام المهدي عليه السلام.
٢ - كفاية الزائرين.
٣ - ضياء المؤمنين.
٤ - الروح بين العلم والعقيدة.
٥ - النور المبين في فضل الصلاة على محمد وآله الطاهرين.
٦ - خدمة الناس في سيرة أهل البيت عليهم السلام.
٧ - المنهج العبادي للأنبياء والأوصياء والعرفاء.
٨ - النظام الصحي بين الطب الإسلامي والطب الطبيعي.
٩ - حياة السيد المسيح عليه السلام.
١٠ - كيف تواجه الابتلاء.
١١ - بحوث في الإمامة والولاية
١٢ - جمال السالكين السيد عبد الأعلى السبزواري رحمه الله.
١٣ - كيف تقرأ القرآن الكريم.
١٤ - وصايا العلماء.
١٥ - غياث الملهوفين في التوسل بمحمّد وآله الطاهرين.
١٦ الشفاء في الغذاء في طب النبي صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام.
١٧ الأحلام نافذة على عالم الغيب.
١٨ يوم القيامة ونسبية الزمن بين العلم والقرآن الكريم.
١٩ جواهر الأخبار في ما ورد عن النبي وآله الأطهار.
٢٠ مواعظ وعبر من حياة الأنبياء والأوصياء والأولياء.

٢١ - تكريم الناس.

٢٢ - الفضائل العلوية.

٢٣ - الكمالات العلوية.

٢٤ - البيت السعيد.

٢٥ - أعمال الحج والعمرة.

٢٦ - قضاء الحوائج.

٢٧ - الصدقة نور في الدنيا والآخرة.

٢٨ - الدين المعاملة وفن العلاقات الاجتماعية.

٢٩ - الشفاء في الصيام مقارنة بين الصوم الديني والصوم الطبي.

٣٠ - كيف ننفع الأموات؟

٣١ - ادخال السرور على أهل القبور.

٣٢ - زجر النَّفس: المنسوب للنبي إدريس عليه السلام.

٣٣ - كيف تحاسب نفسك؟

٣٤ - كلمات سيد الأوصياء لمناسبات الموت والعزاء.

٣٥ - المحاضرات الأخلاقية.

٣٦ - البرنامج العبادي.

٣٧ - النذر.

٣٨ - أسرار جزاء الأعمال.

٣٩ - في رحاب الله.

٤٠ - الشفاء بالماء.

٤١ - المجالس البيتية.

٤٢ - صلاة الجماعة.

٤٣ - عشاق الولاية

٤٤ صلاة الجماعة.

٤٥ - الطريق إلى عالم الملكوت

٤٦ - الطريق إلى النجاح.

٤٧ كيف تغير حياتك؟

٤٨ الارتقاء الروحي.

٤٩ طاقة النور.

٥٠ - زاد المعاد.

٥١ - تعرف إلى العالم الآخر.

٥٢ - وصايا النبي محمد ﷺ لكل زوج وزوجة.

٥٤ - سراج القبور.

٥٥ - الأم والطفل.

٥٦ - الاحتياط سبيل النجاة.

٥٧ - اعرف أهمية حياتك.

٥٨ - سر الذبيحة والعقيقة.

٥٩ - يا أبناء الأربعين.

٦٠ - التسامح والغفران.

٦٠ - الاحتياط سبيل النجاة.

٦١ - الهدايا الإلهية.

٦٢ - الإمام علي عليه السلام حياة العارفين.

٦٣ - في رحاب الأسماء الحسنى.

٦٤ - الشفاء بالرقية الشرعيَّة.

٦٥ - خطايا اللسان.

٦٦ - الحصن الحصين.

٦٧ - كيف تكون روحانياً خلال أربعين يوماً؟

٦٨ - وصيَّة المسلم.

٦٩ - موسوعة الأحاديث القدسية.

٧٠ - المواعظ الأخلاقية في شرح الأحاديث القدسية.

٧١ تزكية النفوس.

٧٢ تعرف على نفسك.

٧٣ الوصول إلى الله تعالى.

٧٤ المقدسات الدينية.

٧٥ لماذا نتألم.

٧٦ عشاق الشهادة.

٧٧ الله أهل المغفرة والمحبة

٧٨ أسرار وكرامات كشف عنها العلم الحديث

٧٩ - كيف تكون ربانياً.
٨٠ - قصص أذهلتني.
٨١ - الشفاء بالقرآن الكريم.
٨٢ - أضواء علمية على الحياة بعد الموت.
٨٣ - اقترب عصر النور.
٨٤ - علم السرّ.
٨٥ - افتح بصيرتك.
٨٦ - القوانين الإلهية.
٨٧ - القوى الروحية.
٨٨ - كيف تموت مطمئناً.
٨٩ - قصص تبكي العيون.
٩٠ - الدعوة والتبليغ.
٩١ - أبشر أيها المريض.
٩٢ - زاد الخطباء لمناسبات الموت والعزاء.
٩٣ - إلى أهل العزاء.
٩٤ - النذورات المجربة.
٩٥ - آثار وبركات اسم الإمام علي عليه السلام.
٩٦ - ٢٠ قصة عجيبة في زيارة عاشوراء.
٩٧ - ٢٠ فائدة في الصلاة على محمد وآل محمد.
٩٨ - كيف تكتب رسالة استغاثة إلى الله تعالى.
٩٩ - كيف تكتب رسالة إلى الإمام المهدي عليه السلام.
١٠٠ - البرنامج العبادي لشهر رمضان المبارك.

تُطلب الكتب من المؤلف: جنوب لبنان عديسة

تلفون: ٠٣/٦٤٩١٣٦ ٠١/٢٧٩٥٨١